كتاب اليوم

يصدر عن مؤسسة أخبار اليوم

ابراهيم البعثي

شخصيات عربية معاصرة

كتاب اليوم
ثقافة اليوم وكل يوم
يصدر عن مؤسسه اخبار اليوم
العـدد ١٩
المحرم ١٣٩٠ - ابريل (نيسان) ١٩٧٠
الاداره : دار اخبار اليوم ٦ شارع الصحافة القـاهرة
ت : ٧٧٧٧٧ (سبعة خطوط)

الاشتراكات

البريد العادى :

		مليمـج	
المجموعه الاولى	:	١٫٠٠٠	ج٠ع٠م٠ واتحاد البريد العربى
المجموعة الثانيه	:	١٫٥٠٠	باقى دول العالم

البريد الجوى :

		مليمـج	
المجموعة الاولى	:	١٫٢٥٠	(سوريا - لبنان - الاردن)
المجموعة الثانيه	:	١٫٥٠٠	(دول اتحاد البريد العربى)
المجموعة الثالثه	:	٣٫٠٠٠	(دول أوربا)
المجموعة الرابعه	:	٥٫٥٠٠	(أمريكا الشمالية - الهند - دول جنوب أفريقيا)
المجموعة الخامسة	:	٦٫٥٠٠	(أمريكا الجنوبية - اليابان)

حافة بالقاهرة - تليفون : ٧٧٧٧٧ ٧٧٨٦٠

اهداءات ٢٠٠١
ا.د. محمود دياب
جراح بالمستشفى الملكي المصري



يصدر عن مؤسسة أخبار اليوم

شخصيات عربية معاصرة



ابراهيم البعثى

رسم الغلاف الفنان حسين بيكار



الارض العربية غنية والحمد لله ، لا بالبترول والمعادن والمحاصيل الزراعية والآثار فقط ، وانما هى ايضا غنية بالنساء والرجال الموهوبين المجتهدين الذين قدموا ويقدمون للانسانية والامة العربية خدمات رائعة فى مختلف الميادين ·

ولكن قلة منهم فقط مع الاسف شقت اسماؤهم طريقها على نطاق واسع الى اسماع وقلوب ابناء الامة العربية مثل الاساتذة الدكتور طه حسين وتوفيق الحكيم ونجيب محفوظ وام كلثوم ومحمد عبد الوهاب ·

عبد الرزاق نوفل الكاتب الاسلامى الذى ربط بين الدين والعلم الحديث ، الانسان العربى الذى تدرس كتبه فى جامعة جوجوكرتا باندونيسيا والذى تطلب كتبه من وزارة التعليم العالى فى الجمهورية العربية المتحدة لترجمتها فى تركيا وماليزيا والفلبين والمانيا وغيرها ··

عبد الرزاق نوفل ·· ماذا يعرف عنه المواطن العربى ؛

المهندس ابراهيم زكى قناوى ·· الرجل الذى شارك فى بناء كل القناطر والسدود طوال نصف قرن واصبح الخبير الاول فى مشاكل الرى والصرف فى الارض العربية كلها ··

حافظ جميل شاعر العراق الكبير الذى يعتبر امتدادا رائعا لشاعر النيل حافظ ابراهيم ··

الدكتور احمد رياض تركى ·· الدكتور عبد الكريم خليفة · الدكتور محيى الدين صابر · السيد محمد الفاسى · الفاضل بن عاشور · منجى الشاملى · ميخائيل نعيمة · الشيخ احمد حسن الباقورى · الدكتور سامى الدروبى · الدكتور ابراهيم

حلمي عبد الرحمن • محمود السعدى • المهندس الدكتور عزت سلامة • عثمان الكعاك • عبد الحميد جودة السحار • الدكتور لويس عوض• أنيس منصور • محمد القبانجى • المهندس عثمان احمد عثمان • الشيخ عبد الله العلايلى • صـــالح جودت • الدكتور عبد المحسن سليمان • محمد أحمد محجوب • محمد عبد المنعم ابو بثينة • أنطون غطاس كرم • الدكتور صــادق النهيوم • الدكتورة بنت الشاطىء • الشيخ حسن خالد • الانبا شنودة • فائق حسن • محمد عبد المنعم رخا • زكي طليمات • الدكتور احمد فخرى • الدكتور سيد كريم • امين نخلة • الشيخ محمد البنا • حمد الحضرانى سامى الكيالى • جلال الدين النقــاش • خالد محمد خالد • عبــد الكريم غــلاب • محمد الفيتورى • وغيرهم •• وغيرهم ••

لقد تعودنا ان نكرم الناس بعد وفاتهم وان نكتشف امجادهم ونحن نرثيهم • فلماذا لا نكرمهم فى حياتهم ؟

هذه الدراسة التى اقدمهــا فى هذا الكتاب ــ وفى الكتب التاليه ــ يهمنى أن أوضح أنها :

● ليست معالجة لامور شخصية ، فحياة كل من كتبت عنه او اعتزم الكتابة عنه تعتبر دوريا يحسن ان يقتدى بها شباب الجيل الحالى والاجيال القادمة •

● ليست رأيا خاصا لى فى كل منهم ، فكل منهم له ميزاته ومفاخره . وكل منهم له عيوبه وأخطاؤه . فلا يوجد انســـان يمكن أن يكون معصوما من الخطا • ولكن الصورة التى اقدمها هى الصورة المشرقة لهم •• النواحى التى افادتنا سواء على المستوى العالمي أو العربى ••

واذا كتبت عن شخصية عربية تشغل مركزا رسميا فى اى بلد عربى . فارجو الا يتصــور احد اننى اكتب عن هذه الشخصية للمنصب الذى تشغله ، فالمناصب الى زوال •

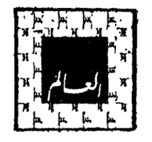
ولا شك انه كان بودى أن اقدم هذه الدراسة عن جميـــع الشخصيات العربية المعاصرة فى كتاب واحد لولا كثرة عددهم وضخامة أعمالهم من ناحية ، وعدم لقائى بعد بالكثيرين منهم ممن لم اسعد بزيارة بلادهم حتى الآن •

بقى أن اقول ان الامة العربية وان كانت تمر باقسى محنــة فى تاريخها الحديث ، فان الامل كبير فى الخلاص مهما اشتد الظلام مادامت الأرض العربية غنيــة ــ ليست فقط بالبترول والمعادن ــ وانما ايضا بالنساء والرجال •

ابراهيم البعثى







الكبير الذى اختـــارته ثلاث من اكبر أكاديميات العلوم فى العالم عضوا بها٠
الدكتور أحمد رياض تركي الذى اختير أول وزير للبحث العلمي فى مصر ، والذى شغل أعلى المناصب العلمية بها٠
الرجل الذى تخرج على يديه مئات بل الوف من المصريين وأشــقائهم العرب الذين يعمـلون فى حقــل العلوم فى المؤسسات والجامعات العربيـة وممن آثروا الهجرة للعمـل فى جامعات أوربا وأمريكا ٠٠

السـطر الاول من حيـاته سجلته دفاتر المواليـد فى طنطا عام ١٩٠٢ ٠

الوالد كان مزارعا متوسط الحال من قرية ميت غزال ٠

والقرية تبعد عن طنطا تسعة كيلو مترات ، ولهذا كان الوالد يتردد على طنطا كثيرا فى أوقات فراغه أو لاعمـال تتعلق بزراعة أرضه •• وهناك تعرف على أسرة لها سمعتها الطيبة واختـار احدى بناتها زوجة ثانية له •• فالوالد كان متزوجا وله أولاد فى قريته ميت غزال • ولهذا اتفق مع أسرة زوجته الثانية على أن يعد لها بيت الزوجية فى طنطا •

وفى أقل من ثمانى سنوات رزق من زوجته الثانية بثلاثة صبيان وبنت •• وكان ترتيب احمد رياض تركى بينهم الثانى •

وفجأة ـ وعندما بلغ احمد السادسة من عمره ـ توفى والده•

ولكن الأم عوضته وأشقاءه عن وفاة أبيهم فى هذه السن المبكرة•

قررت أن تتفرغ لتربيتهم • رفضت الزواج رغم صغر سنها •

وبدأت عيناه تتفتحان يوما بعد يوم على الجو الذى يعيش فيـه مع أمه واخوته •• كانت والدته من أسرة خليفة السيد البدوى ، ولهذا كانت الاسرة محافظة متدينة •• ولكن التعليم فى الاسرة لم يكن يزيد على حفظ القرآن ودراسة التفسير وبعض تاريخ الأئمة وآرائهم •

وآثرت الأم أن تدفع بأولادها الى المدارس ليتسلحوا بالعلم جنبا الى جنب مع الدين •

وفى المرحلة الابتدائية كان احمد رياض تركى تلميذا عاديا ، بل انه رسب فى امتحان الشهادة الابتدائية

وفى المرحلة الثانوية تحسن مستواه فى الدراسة رغم انه كان قد بدأ يتابع الحركات الوطنية مع غيره من الشباب ، كانوا يعجبون بما يكتبـه عبد العـــزيز جاويش ، وكانوا يلتهمون كتب الزعيم مصطفى كامل ويبذلون جهدا كبيرا للحصول عليها بعد أن صدرت الاوامر بتحريم تداولها •

وكان احمد رياض تركى يتميز عن زملائه فى الدراســة بميل خاص نحو متابعة المناقشـــات التى كانت تدور بين فريد وجدى وشبلى شميل حول الانتقادات الادبية المعاصرة • ولم يكن يتوقف عند هذا الحد ، بل انه كان يلجأ الى مكتبة بلدية طنطا ليقرأ الكتب العلمية والادبية •

وهكذا يمكن أن نقول أنه كان يثقف نفسه بنفسه ••

وهكذا ـ عندما حصل على البكالوريا عام ١٩١٩ كان قد حصل على ثقافة لا بأس بها فى العلوم والادب والدين •

ولكن الى أين يتجه فى تعليمه الجامعى ؟

كان مجموع درجاته فى البكالوريا عاليا ، ولهذا تقدم الى كلية الطب كما يفعل كل المتفوقين فى البكالوريا •

ولكنه بعد شهور وجد نفسه يواجه وضعا مثيرا لا ترتضيه نفسه التى تذوب رقة •

رأى نفسه ملزما بدخول غرف التشريح ورؤية الجثث أو بعض اجزائها ، بل انه وجد أن الدراسة تحتم عليه أن يلمسها ويجول بمبضع الجراح فيها ، كما كان عليه أن يأخذ أجزاء منها الى منزله

وحاول صادقا أن يقنع نفسه بأن هذا شىء طبيعى وضرورى ، ولكنه بعد تردده على غرفة التشريح بضع مرات أيقن أن من المستحيل عليه أن يواصل دراسة الطب •

وكانت أحداث ثورة سنة ١٩١٩ مستمرة ، وكانت كلية الطب ـ كغيرها من طوائف وفئات الشعب ـ تشارك مشاركة ايجابية فى الثورة ، ولهذا صدرت الاوامر بتعطيل الدراسة فى الكلية قبل الامتحان بشهرين تقريبا •

فى هذه الفترة كان الطالب احمد رياض تركى ـ كغيره من شباب مصر ـ متحمسا لالمانيا رغم هزيمتها فى الحرب العظمى الاولى ، كان معجبا بهندنبرج ، وبمحاولة المانيا ضرب بريطانيا العظمى وحلفائها ، كان متحمسا لا حبا فى المانيا بقدر ما كان كرها فى الانجليز والاستعمار •

وكانت السلطات البريطانية لا تسمح للطلبة المصريين بالدراسة فى المانيا ، ولكن هذا لم يفت فى عضد احمد رياض تركى وزميل له ••

لقد استخرج كل منهما جواز سفره على أنه تاجر بمعاونة من الدكتور محجوب ثابت والاستاذ فريد وجدى •

وسافرا بالبحر الى تريستا ثم ركبا القطار قاصدين المانيا رغم أنهما كانا يجهلان اللغة الالمانية جهلا تاما • ولكن القدر ساق اليهما فى عربة القطار ممثله المانية تعرف الانجليزيه ووكيل أعمالها ومدرس ألمانى بالمدارس الثانوية كان قد وقع فى أسر

الحلفاء ثم أفرج عنه • وفى رحلة عودته بالقطار اشـــفق على الطالبين المصريين فذلل لهما مشكلة المسكن وعاونهما حتى التحقا بكلية العلوم فى جامعة ميونيخ •

وكانت للمدرس الالمانى نصيحة وعده أحمد رياض تركى بالأخذ بهـا ، وهى أن يبتعد عن العرب والمصريين ســتة اشهر حتى يتقن اللغة الالمانية أولا ، ثم يختلط بمن يشاء •

احترم وعده للمدرس الالمانى ، وفعلا اتقن اللغة الالمانية بسرعة مما ساعده على أن يحصل على البكالوريوس ثم الدكتوراه فى الكيمياء غير العضوية بعد ست سنوات تقريبا •

وفى أواخر عام ١٩٢٨ كان فعـلا قد أصبح حاملا للدكتوراه ولكنه لم يكن قد استقر على رأى بشأن مستقبل حياته •

وقرر أن يعود الى بلده ليبدأ حياته العملية بها •

وأحاله الى رئيس القســم ـ وكان انجليزيا ـ فدهش لهـــذا الشاب الذى يتقدم لهذه الوظيفة بدون وســاطة أحـد الكبراء أو الوزراء ، وبعد أيام استدعاه رئيس القسم الانجليزى وسأله قائلا :

ـ التدريس هنا اللغة الاساسية فيه هى الانجليزية فهل انت مستعد للسفر بضعة شهور الى انجلترا على نفقتك لتتحسن لغتك الانجليزية ؟••

ووافق الدكتور أحمد رياض تركى ••

كان واضحا أن رئيس القسم الانجليزى حريص على أن يزيل من نفسه صورة الانبهار والاعجاب بألمانيا وأن يجعله يرى كيف أن انجلترا لا تقل تفوقا عنها •

وكانت هناك امرأة أخرى قد ظهرت فى حيــاته اثناء مرحلة الدراسة • كان قد تزوج من ألمانية شابة أصبحت على مدى السنين ـ وحتى اليوم ـ أكبر سند له فى تنظيم وقته واتاحة الهدوء له وتوفير كل ما يلزم العالم للدرس والبحث •

ولكن هل انتهت العقبات فى حياته ؟

أبدا •• لقد ذاق حلاوة البحث والدراسة فى المعامل الضخمة المتوافرة فى الجامعات الاوربية ، ولكنه عندما عاد وجد جامعـــة القاهرة ـ الجامعة المصرية وقتئـــذ ـ تفتقر الى الكثير مما يلزم

الباحث أو المدرس · ولكنه لم ييأس، فقد دأب على التنقيب والتفتيش عن أحسن طرق التدريس والبحث مع ضآلة وتواضع الاجهزة الموجودة فى الكلية ·

وذاق مرارة التجمد فى درجة واحدة ، ويكفى أنه بقى ١٤ عاما فى وظيفة مدرس ، كان الانجليز يفضلون الحاصل على الدكتوراه من انجلترا·· وهكذا أصبحت دراسته فى ألمانيا سببا فى عذابه، ولكنه لم ييأس ولم يهرب ، بل واصل التفرغ للبحث والعمل · كانت الصعوبات والملاحقات تدفعه الى المزيد من العمل · كان حريصا على أن يثبت وجوده ، وأن يساهم فى خلق وتربية جيل جديد من الباحثين والعلماء المصريين والعرب ·

وبعد عام ١٩٤٨ تقريبا اصبحت جامعـــة القاهرة فى أيدى المصريين ، وقع عليه الاختيار عميدا لكلية العلوم عام ١٩٥٣ ·

وبعد عام تقريبا أختير مديرا للمـركز القومى للبحوث · ثم توالت الوظائف العامةالتى شغلها ولكنه منذ ذلكالحين كان دائما يعمل أستاذاغير متفرغ فى كلية العلوم · ولهذا فهو لم يترك كلية علوم القاهرة منذ عين بها معيدا فى عام ١٩٢٨ حتى اليوم ·

عمل عميدا للدراسات العليا فى الجامعة ·
وكان أول وزير للبحث العلمى ·
ثم رئيسا للمجلس الاعلى للبحث العلمى ·

وغير ذلك من أكبر المراكز العلمية ·· ولكنه على مدى ٤٢سنة وهو يلقى المحاضرات فى الجامعة بانتظام ·

وكان ميدانه دائما الذى ينبغ فيه هوالكيمياء الكهربائية ، وهو علم هام يلعب دورا كبيرا فى حيـــاة الشعوب الآن وتستخدمه الدول الكبرى بذكاء · علم يتعلق بظواهرالصدأ والمعادن والفلزات ·· الحديد والصلب والنحاس والنيكل والفضة ·

والكيمياء الكهربائية لها مدرسة قوية على المستوى العالمى ·

والدكتور أحمد رياض تركى يعتبر رائد هذه المدرسة فىالوطن العربى كله ·

ويقول عن تلاميذه بكل تواضع العالم الجليل :

● كثيرون من تلاميذى فيهم من يبذنى ويتفوق على ولكنهم لا يجدون من يتيح لهم الفرصة ·

● كثير من الاختراعات والمكتشفات العلمية التى تفخر بها أوربا وأمريكا وراءها علماء عرب يعيشون هناك بأجسادهم وقلوبهم هنا • ومنهم من هاجر حبا فى البحث العلمى قبل حبه للمال •

● المركز القومى للبحوث اتاح الفرصة لأبناء الاقطارالعربية ووفر للأمة العربية قاعدة علمية عريضة لو تجمعت ونظمت لأمكن الاستفادة منها فوائد كبرى تجعلنا نساهم مساهمة عربية فعالة فى التقدم الحضارى •

● التعليم العالى وحده لا يكفى لنهضة العرب ، ولكى نقفز الى الإمام ونلحق بركب الحضارة يجب أن نهتم كثيرا ونرصد الاموال اللازمة للبحث العلمى •

ان الدكتور أحمد رياض تركى الذى أصبح رائدا من رواد العلم الحديث فى المنطقة العربية تعترف به وبعلمه وبتفوقه جامعات وأكاديميات العالم •

فهو عضو بأكاديمية العلوم فى الاتحاد السوفيتى •

وعضو فى أكاديمية العلوم فى ليوبولينا •

كما انه عضو فى أقدم أكاديميات المانيا وهى أكاديمية هلا •

والاكاديمية الاخيرة نصفها ألمان ونصفها من خارج المانيا •• ولهذا يكون اختيار الاجانب فى عضويتها دقيقا وصعبا •

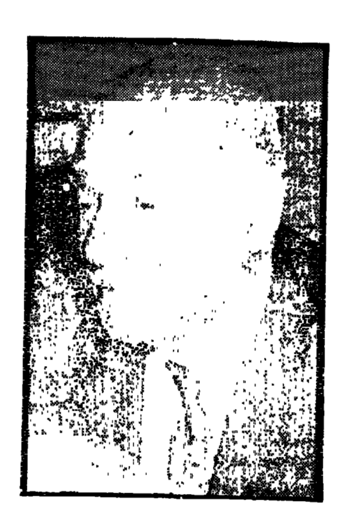
وتمضى السنوات والعالم الكبير يعمل فى صمت •

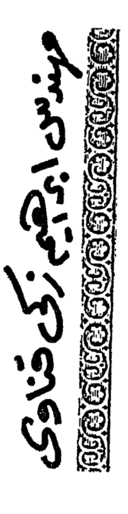
سعيد بتلاميذه فى مختلف أنحاء العالم، ويحرص علىالاجتماع دائما بهم •

فخور لا بالمراكز الرسمية التى شغلها ولكن بلقب واحد هو: الباحثأحمد رياض تركى •

يتابع فى شغف نحو مائتى صنف من الصبار لا مثيل لها فى أكبر حدائق العالم زرعها فى حديقة منزله بمصر الجديدة •

اما ولده الوحيد الدكتور عادل فقد نجح فيما لم ينجح فيه الوالد •• درس الطب وصمد لمناظر الجثث فى غرف التشريح وان كان قد آثر التخصص فى الطب المهنى •• طب العمال •







السنوات العشر الماضية التقيت به أكثر من عشرين مرة كانت كلهـــا أما فى مكتب متواضع جنوب خـزان أسوان ، واما فى موقع من مواقع العمـــل فى السد العالى ٠

وكان موعد كل لقاء من هذه اللقاءات ثابتا دائمـا لا يتغير هو ٠٠ السادسة صباحا٠ هذا التبكير فى العمل لم يكن فقط بسبب ضغط العمل فى السد العالى خلال الاعوام الاخيرة ، انما هو عادة صاحبته والتزم بها المهندس ابراهيم زكى قناوى منذ فتح عينيه على الدنيا فى بداية القرن العشرين ٠

وحتى بعد ان اصبح وزيرا للرى فى الجمهورية العربية المتحدة ظل حريصا على أن يستيقظ فى الخامسة صباح كل يوم ، ولـمـا

كان لا يستطيع الذهاب الى مكتبـــه فى وزارة الرى قبل الموعد الرسمى للعمل ، فانه يقضى الفترة بين السادسة صباحا والثامنة الا الربع فى دراسة التقارير واعداد المذكرات ٠

وفى الثامنة تماما يدخل مكتبه بالوزارة قبل كثير من الموظفين٠

ويتمنى المهنـــدس ابراهيم زكى قناوى الذى بلغ الســـابعة والستين من عمره أن يستيقظ ملايين العرب فى الخامسة صباحا وأن يبدأوا عملهم فى السادسة ٠٠ أو السابعة على الاكثر ٠

والعادات لا تورث وانما تكتسب ، فكيف اكتسب هذه العادة ؟

لكى نجيب علىهذاالسؤال يحسن أن نعود الى شريط ذكرياته٠

● واللقطة الاولى فى شريط ذكرياته تبـــدو مهزوزة غير واضحة ٠٠ فى شبين الكوم حيث ولد ، وحيث كان والده يعمل « باشكاتب » مديرية المنوفية ٠

● واللقطة الثانية اكثر وضوحا ٠٠ فى أسيوط ٠

الوالد أصبح وكيلا للمديرية ٠٠

الاسرة تقيم فى منزل على النيل له حوش كبير فى ركن منـه حظيرة بها «دوكار» بحصانين٠٠لم تكن مصر قد عرفت المرسيدس أو السيارة نصر ٠٠ ولذلك كان الدوكار والحصـــان أرقى وسائل الانتقال فما بالك بالدوكار مع حصانين ؟

والآسرة كانت كبيرة العدد : خمسة صبيان وثلاث بنات ٠

وترتيب ابراهيم بينهم الخامس ٠

والوالد يستيقظ مبكرا فى الصـــباح قبل أن « يهجم » الحـــر ليكتب التقارير بخط جميل ، فلم تكن الآلة الكاتبة قد عرفت بعد ٠

وتستيقظ الاسرة كلها مبكرة أسوة بالوالد : البعض يلبى طلباته والبعض يطلب من الوالد ما يحتاج اليه قبل أن ينشغل بالعمل

وأصبحت مغادرة الفراش فى الخامسة صـــــباحا عادة عند ابراهيم زكى قناوى منذ طفولته ٠

● واللقطة الثالثة فى شريط ذكرياته اليمة ٠٠ وكئيبة ٠

ان لحظات وأيام الســعادة والطفولة المرحة لم تدم طويلا ٠٠ فقد توفى الأب فجأة٠٠ورغم أن ابراهيم كان فىالسادسة والنصف

من عمره الا أنه لم ينس هذا اليوم أو على الاصح هـذه الليلة ، فقد نقل جثمان الأب بقطار الليل الى العاصمة • والمسافة بين أسيوط والقاهرة يقطعها الديزل اليوم فى ٦ ساعات ولكن ـ زمان ـ كان يقطعها القطار فى ليلة كاملة •

ويصرخ القطار فجاة فى الليل بين وقت وآخر وكأنه يشارك الاسرة أحزانها ، فيقشعر جسد الطفل ابراهيم ويلتصق باخوته وأمه ثم يبكى كما يبكون ••

لم يكن يقدر وقتئذ مدى جسامة خسارته وخسارة الاسرة بوفاة الوالد ، ولكنه كان يخاف الليل والصفير والعويل والصرخات • كان المشهد قاسيا وطويلا تختلط فيـــه الآهات والدموع بصفير القطار الكئيب •• كانت الرحلة تعسة • كانت كما يسميها حتى الآن •• رحلة الموت •

● واللقطة الرابعة فى شريط الذكريات لقطة مهزوزة كالاولى •• الاسرة استقر بها المقام فى حى لا يذكره من أحياء القاهرة ،

وكل هذا كان عام ١٩٠٨ •

واختارت له الاسرة مدرسة « خليل أغا الابتدائية » •• وكانت أصعب المدارس وأشدها عناية بالنظام والتعليم • كان فيها أحسن المدرسين وأصغر التلاميذ •

ولكن حياته الدراسية بدأت بصدمة عنيفة ، فقد أصيب قبـــل الامتحان بثلاثة أشهر بمرض الجدرى فلزم الفراش • ولم يشف الا قبل الامتحان بأيام ، وطبعا رسب فى امتحان السنة الاولى ، ولكنه انتظم فى الدراســـة بعد ذلك وحصـــل على الشـــهادة الابتدائية •

وقبل أن يكمل ابراهيم العاشرة من عمـــره أخطأ فى حق أمه مرتين ندم عليهما ندما شديدا ••

الأولى : عندما كان مريضا بالجدرى ، فقد فتح عينيه فجأة ليجد أمه جالسة تحملق فى وجهه ، ولكن يبدو أنها كانت شاردة الذهن ، وبشقاوة الاطفـــال ناداها بصوت عال أشـــبه بالصراخ فأصابها برعب شديد •• وأغمى عليها •

ولما عادت الى صوابها سألوها عن سبب هذا الاغماء فتطلعت اليه فى حنان مشوب بالعتاب قائلة :

ـ ولا حاجة • ولا حاجة أبدا •

والثانية : عندما مرض مرة أخـــرى فى بورسعيد والاسرة تقضى الصيف على الشاطىء وايضا لزمت أمه حجرته لترعاه ، واستيقظ ليجدها جالسة ممسكة بكوب من الماء لتبلل له وجهـه بين وقت وآخر ، وأراد أن يعـــبر لها عن شكره ولكنه فعل ذلك بطريقة خاطئة ، فقد صاح فيها قائلا :

ـ هو كل ما أقوم من النوم القاك صاحية ؟ لازم تنامى •

ونتيجة للمفاجاة ، ومن فرط اضطرابها للهجة الحادة التى حدثها بها سقط كوب الماء من يدها وكسر ، ثم انفجرت باكية •

واحس بغلطته فقام من فراشه وقبلها فبكت ثانية •• وبكى •

ومنذ هذه اللحظة تاب توبة نهائية عن الحديث مع أمه بلهجة حادة ، بل أنه تعلم وتعود كيف يحدث الناس جميعا بهدوء ورقة

وبعد الشهادة الابتدائية التحق بالمدرســـة الخديوية ، وكل ما يذكره فى هـــذه الفترة هو زمالته للفنان الكبـــير المرحوم سراج منير •

ولم يطل به المقام فى الخديوية ، فقد نقلته الاسرة الى القسم الداخلى بمدرسة طنطا الثانوية ، كان شقيقه الاكبر قد تخرج فى كلية الطب وعين فى دشنا بالصعيد ، فأخذ والدته لتعيش معه •

وهكذا فقد والده فى سن مبكرة ، ثم حرم من حيـــاة الاسرة وحنان الأم وهو فى بداية المرحـــلة الثانوية ، ولكن كل هذا لم يمنعه من أن يتفوق فى دراسته ، فقد اتخذ من زملائه فى الداخلية أسرة جديدة له وجعل من الكتب الرفيق والصديق •

وفجأة وجد نفسه مفتونا بهواية جـديدة هى : المظاهرات • فقد بدأت ثورة سنة ١٩١٩ • وطلب منـــه زملاؤه أن يقوم بقطع أسلاك التليفونات لمضايقة الانجليز وعرقلة اتصالاتهم ، ونجح فى المهمة الاولى فكررها وكررها حتى أصبح متخصصا فيها •

وأراد الانجليز أن يستعرضوا عضلاتهم فنظموا عرضـا يخترق شوارع طنطا ، فتجمع طلبة المدرسة الثانوية على أحد الارصفة ، وفجاة اعطوا ظهورهم للعرض مما أثار ثائرة الانجليز •

ولكن هـذه المواقف « الهادئة » لم تعد تشـبع وطنية وحماس

الشاب ابراهيم قناوى وزملائه ، فقد علموا أن الانجليز قبضوا على اثنين من الطلبة فقام بالاشتراك مع زملائه باقتحام قسم أول طنطا فى ميدان الساعة وأفرجوا عن الزميلين ، ثم اتجهوا الى محطة السكة الحديد، وهناك كان الانجليز ينتظرونهم متحصنين وراء مدفع مترولوز ، ولم ترهبهم النيران فتقدموا ، ولم يرع الانجليز أنهم طلبة عزل فاطلقوا المترولوز الذى حصد منهم ومن سائر طوائف الشعب التى انضمت اليهم مائة وخمسين شهيدا •• فى لحظات •

وأصيب ابراهيم فى ساقه برصاصة مزقت جلده •• ونجا من الموت بأعجوبة •

ولم يمنع الحماس للوطن الطالب ابراهيم من أن يذاكر •• ويتفوق •

كان يستيقظ فى الخامسة صباحا ويذاكر حتى التاسعة أو العاشرة ثم يبدأ فى مشاركة زملائه فى الثورة

وعندما سمح لهم بامتحان البكالوريا كان مجموعه ح له بدخول كلية الطب ، ولكنه اثر الالتحاق بكلية الهندسة •

وهكذا عاد الى القاهرة ليعيش مع شقيق له فى حى المنيرة •

ولم تكن ثورة سنة ١٩١٩ قد انتهت ، وكان طلبة الهندسة مع طلبة مدرسة السعيدية الثانوية يكونون قوة ضاربة ترهب قوة الاحتلال ، فطلبة الحقوق كانوا يتقنون الخطابة واثارة الجماهير ، ولكن طلبة الهندسة كانوا يتفننون فى قطع أسلاك التليفونات وقطع السكك الحديدية وغيره من وسائل المقاومة •• كانوا يستخدمون ما تعلمونه فى الهندسة لضرب الانجليز •

واصل ابراهيم المشاركة فى العمل الوطنى مع الاستذكار بانتظام حتى حصل على البكالوريوس فى عام ١٩٢٤ •• وكان عمره وقتئذ ٢٢ سنة •• وهى سن مبكرة فى ذلك الحين •

وبدأ حياته العملية بوظيفة مهندس فى كبارى السكة الحديد •

ولكنه كما صدم فى بداية حياته الدراسية بالرسوب فى السنة الاولى الابتدائية ، صدم أيضا فى بداية حياته العملية ، فقد تخطوه فى بعثة الى الولايات المتحدة كان قد رشح لها •

ولم تعقده الصدمة ، فسافر على نفقته الى انجلترا حيث حصل على دبلوم ثم سافر الى الولايات المتحدة فحصل على شهادة الـ M.I.T

تخصص فى الاعمال الانشائية الكبرى وتوليـــد الكهرباء من الماء وقام ببحـــوث الانشاءات المعقد والانشاءات الخـرسانية

وعاد من الخارج فى عام ١٩٣١ محملا بالشهادات والدراسات، ولكن مصلحة السكة الحديد عاقبته • اضطهدته • ففصلته بحجة انقطاعه عن العمل •

والتقطه المهندس أحمد خيرى ليعمل معه فى التعليـة الثانية لخزان أسوان •

ومنذ هذا اليوم بدأت صفحة طويلة من حياته •• مع النيل •

اشترك فى عمل أول «جسات» لخلف خزان أسوان عام ١٩٢٤•

اشترك فى تنفيذ مصرف القليوبية الرئيسى •

عمل فى بناء قناطر محمد على بالقناطر الخيرية •

اشترك فى عمل مسح للمياه الجوفيـة من مرسى مطروح الى العلمين حتى الفيوم •

ومن ذكريات العمل فى تعلية خزان أسوان أن الظروف كانت تحتم على المهندس ابراهيم زكى قناوى وزملائه أن يسيروا يوميا على أقدامهم اثنى عشر كيلومترا فى الشمس المحـــرقة للذهاب والاياب مرتين من والى موقع العمل •• هذا بخلاف الوقوف فى موقع العمل تحت لهيب الشمس •

وعندما نقول أن الشمس كانت محرقة وقاتلة لا نبالغ ، فقـد وصلت حرارة الشمس فى عام ١٩٣٢ فى الظل الى ٥٤ درجة ، وهو ما لم يحدث فى تاريخ مصر •• الحديث على الاقل •

ويرى المهندس ابراهيم زكى قناوى أن جيل اليوم أصبح مرفها بطريقة تثير ضيقه ، فقد كان ـ سواء هو أو زملاؤه ـ يعمل فى التخطيط والتنفيذ والتفتيش والمتابعة بل وأحيـــانا يقوم بعمـل المخزنجى اذا تغيب •• ومن كل هذا تعلم الكثير ، بل انه يرى انه تعلم فى هذه المرحلة أكثر مما تعلم من الكتب فى الجامعات •

وعلى جسور النيل وعنـــد الكبارى من أسوان الى دميـاط ظل يتنقل دون ملل أو يأس رغم أنه بقى فى الدرجة السادسة حوالى ١٦ سنة مع أن غيره كان يرقى بعد ثمانى سنوات •

وكانت هذه هى الصدمة الثالثة فى حياته ، ولكنها لم تؤثر على جهده فى العمـــل

ورغم أنه بقى فى الدرجة السادسة هذه المدة الطويلة الا أنه حصل على نيشان النيل فى عام ١٩٣٩ لجهـــوده فى بناء قناطر محمد على .. وهى من المرات النادرة التى حصل فيها موظف على نيشان النيل وهو فى الدرجة السادسة .

ورويدا رويدا أصـــبح خبيرا فى كل شئون الرى والصرف . وكان الجميع ـ رؤساء ومرءوسون ـ يحترمون نصائحه ويقرون علمه ويعجبون برأيه ونشاطه فى العمل وأصبح واثقا من نفسه .

ولكنه لا ينكر أنه خاف مرتين :

● الاولى ـ فى عام ١٩٤٦ عندما فوجىء وزملاؤه بفيضان النيل وقد زاد فجأة لدرجة كادت تغرق البلاد وتخربها .

● والثانية ـ فى ١٩٦٤ عندما أصبح لزاما أن يتم اغلاق جسم السد العالى فى فترة زمنية كان مقررا لها ٢٥ يوما تسبق وصول الفيضان ثم يتم استكمال بناء السد الامامى فى الاشهر الاربعة التالية ، وكان المفروض أن يعملوا على أساس منسوب ١٢٥ مترا ولكن الوقت لم يسمح ، فغامر وقرر على عاتقه أن يقلل المنسوب الى ١٢١ مترا ، واستمر العمل ليلا ونهارا طوال ٢٥ يوما على هذا الاساس وهو يخشى أن يقفز المنسوب فجأة فيدمر كل أعمال المرحلة الاولى .

كانت هناك استحالة فى أن يجرى العمل على أساس منسوب ١٢٥ فالوقت لم يكن يسمح والمعدات لم تكن كافية ، وعاش فى ذعر حتى تم اغلاق جسم السد على أساس منسوب ١٢١ ، وجاءت ذروة الفيضان فبلغت ١١٨ مترا فقط .

هل كان قراره مستندا الى العلم أو التجربة ؟
أبدا كان الهاما من الله كما يقول .

وتجارب ابراهيم زكى قناوى وخبراته ليست مقصورة على مصر فقط ، فقد عمل فى السودان وفى سوريا ، وآخر تجربة له فى أرض عربية كانت فى الجزائر منذ وقت قريب ـ أثناء عمله كوزير للرى فى مصر ـ فقد واجهت الجزائر مشكلة فى رى الاراضى التى تبعد عن الشاطىء بحوالى سبعين كيلومترا داخل الصحراء .. هذه الاراضى لا تسقط فيها الامطار أكثر من شهرين فى السنة ـ وهى

فترة غير كافية لرى محصول القمح ولذلك يجنى القمح ولا تنبت سنابله ويضطر الفلاح الجزائرى لاستعماله كعلف للماشية •

وعلى أرض الجزائر وبين أبنائهـــا المهتمين بالزراعة والرى والصرف عاش ابراهيم زكى قناوى أياما درس خلالها كل البيانات الخاصة بالمياه الجوفية وعمقها ونسبة تخزينها •

ونجح فى التوصل ـ مع المختصين الجزائريين ـ الى حلول عملية لمشكلة الرى هناك •

ولكل منطقة فى أرض مصر وسوريا والجزائر عمل بها صفحة أو لقطة فى شريط ذكرياته ، ولكن اكثر ما يعتز به هو دوره فى بناء قناطر محمد على ثم دوره فى بناء السد العالى •

وحياته كلها للهندسة والرى والقناطر والسدود ، ولكنه يقرأ كثيرا فى النظم السياسية والاقتصاد الســـياسى •• من زاويته الخاصة •

حرب فيتنام مثلا •• يتـابع كفاح شعبها البطولى من أجـــل استقلاله ، ولكنه دائما يربط بين هذه الحرب وبين زراعة الارز فى مصر ، وهو يرى أننـــا نتوسع فى زراعـــة الارز لسد حاجة السوق العربية ولتصدير الباقى الى دول اخرى فى العالم حتى بلغ ما نزرعه منه مليونا وأربعمائة ألف فدان تقريبا ، وبالتالى أصبحنا دولة من دول الصف الاول فى زراعة الارز ، ولكنه يرى أن تخطيطنا يجب أن يكون مستعدا لضغط المساحة التى نزرعها أرزا ، فيوم تنتهى حرب فيتنام ويعود شعبها الى زراعة أرضـــه لن تحتاج الاسواق العالمية الى كل ما نصدره من الارز •

هكذا يفكر دائما حتى عندما يدرس السياسة أو الاقتصاد •

وابراهيم زكى قناوى مهندس يعيش حياته كلها للعمـــل ولكنه يتمتع بروح مرحة فاذا سألتــه مثلا عن الشخص الذى لا يعجبـــه قال لك فورا :

ـ الذى «يكشر» أمام الناس وخاصة مرءوسيه ليكتسب وقارا زائفا • هذا الشخص فاشل وضعيف أمام زوجته فى منزله •







تكون من هواة الموسيقى وعشاق الشعر فى صباك ثم تصبح بعد ذلك عالما فى الطبيعة أو فى الذرة فهذا شىء معقول ومن الجائز أن يحدث فى أى مكان فى العالم .

ولكن أن تنقلب من هواية الموسيقى وعشق الشعر الى المتفانى الكامل طوال حياتك فى العلم والبحث لدرجة تجعلك راهبا فى محراب العلم فلاتستمتع بشبابك ولا يقع اختيارك على شريكة لك فى الحياة .. فهذا هو الشىء الذى يندر حدوثه .

ولكن هذا هو ما حدث مع الدكتور حامد عبد الفتاح جوهر.. أحد العلماء القلائل والبارزين فى علوم البحار لا فى الشرق العربى فقط بل فى العالم كله .

والرجل الذى يصغى اليه امبراطور اليابان وولى عهده بشغف واهتمام كما يصغى ملايين العرب الى ام كلثوم ٠

والرجل الذى اختاره همرشولد سكرتير عام الامم المتحـــدة الاسبق معاونا له ٠

والسطر الاول فى كتاب عمر الدكتور حامد عبد الفتاح جوهر كتب فى ١٤ نوفمبر سنة ١٩٠٧ عندما ولد فى حى سوق الســلاح بالدرب الاحمر فى القاهرة ٠

الوالد كان تاجرا للاخشاب ٠

الابتدائى درسه فى الجمعية الخيرية الاسلامية ٠

والثانوى فى الخديوى اسماعيل الثانوية ٠٠ الملكية يومئذ ٠

وكان الصبى حامد عبد الفتـــاح جوهر معروفا بين اسرته وزملائه بالهــــدوء ٠٠ والرقة ٠٠ والأدب ٠٠ وكان من هواة الموسيقى وعشاق الشعر ٠

ولكنه عندما وصل الى التعليم الجامعى احس بميـــل شديد لدراسة الطب والتحق فعلا بكليـــة العلوم فى الجامعة المصرية « جامعة القاهرة الان » وكان النظام يقضى وقتئذ بأن يقضى الطالب السنة الاولى فى كلية العلوم ثم يختـــار اما الطب أو الاستمرار فى الدراسة بكلية العلوم ٠

ولكنه فى السنة الاولى درس الصفحات الاولى من كتب علوم الحياة فاحبهـــا ولم يكتف بالكتب الجامعية فبدأ يشترى من مصروفه كتبا ثقافية تشبع نهمه نحوالمعرفة وخاصة علومالحيوان والنبات والكيمياء ٠

واجتاز مراحل الدراسة بتفوق رشحه لان يعين معيدا فى كلية العلوم بمجرد تخرجه عام ١٩٢٩ ٠

وبعد عامين حصل على الماجستير ٠

ولكن الدراسة الاكاديمية لم تعد تكفيه ، والكتب الثقافيـــة لم تعد تشبع جوعه العلمى ، فقـــرر أن يبدأ الدراسات الميدانية ، وفعلا سافر الى الغردقة كباحث زائر ٠٠ كانت مصر تنشىء وقتئذ محطة لعلوم البحار كانت فى الواقع المحطة الاولى والوحيدة فى البحر الاحمر والمحيط الهندى ، والثانية فى المحيـــط الهندى والهادى ٠

وفى الغردقة ٠٠ وعلى شاطىء البحر الاحمـــر وقف الشاب حامد عبد الفتاح جوهر يتطلع الى الشاطىء والى الماء فى رهبة وخشوع ، أحس انه يقف أمام عالم ملىء بالاسرار والكنوز ٠ كان جمال الطبيعة جزءا بسيطا من الحقيقـــة التى تمثلت أمامه ، بهرته الطبيعة وذكرته بأيام صـــباه عندما كان يهوى الموسيقى ويعشق الشعر ، ولكن ما رآه بالعين المجردة على الشاطىء ثم تحت سطح الماء جعله يفكر كثيرا وكثيرا ٠

وقرر أن تكون اجازاته كلهـــا فى هذه المنطقة ٠٠ أســـقط الاسكندرية وبورسعيد ومرسى مطروح ورأس البر من حسابه ٠ لا مصيف ولا مرح بل دراسة وعمل جاد ٠

وكان مدير المحطة وقتئذ انجليزيا ورأى أن ظروف العمل تحتم تعيين مساعد له ولكنه تصور أن هـــذا المساعد لابد أن يكون انجليزيا وكتب فعلا الى الجامعة ـ يطلب تعيين مساعد انجليزى، وعرف الشاب حامد عبد الفتاح جوهر بتفاصيل الموضوع فتقدم أيضا الى الجامعة عارضا استعداده للعمل فى الغردقة ٠

لم يكن فى الغردقة فنادق ولا مساكن مريحة ٠٠

لم يكن فيها ما يغرى اى انسان بالذهاب اليها والحياة بها ٠٠

ولكن حامد عبد الفتاح جوهر :

- ايمانا منه بالعلم وحماسا له ٠

- ورغبة منه فى أن يثبت أن المصرى قادر على الحياة فى اى مكان ٠٠ ومهما كانت الظروف ٠

ضحى بالحياة فى القاهرة ٠٠ ضحى بالعمـــل فى مدرجات الجامعة ٠

أقدم على هذه الخطوة وهو لا يدرى أنه كتب بداية هامة لحياة لم تخطر له على بال ٠

انتقل الى الغردقة فى عام ١٩٣٤ ليقيم بها ٠

وبعد عامين زارالمنطقة مجموعة من أساتذة جامعة كمبردج، فأثار العالم المصرى الشاب اهتمامهم واعجابهم ٠ وجهوا اليــه الدعوة لزيارة جامعة كمبردج ٠ لم تكن مدة الزيارة منحة علميــة فهذه كان لها اجراءات واجراءات ، ولكنهم من فرط اعجابهم به نظموا له ـ ولاول مرة ـ منحة استضافة ٠

وبعد زيارته لجامعة كمبردج قام بزيارة كل مناطق الاحيـاء المائية فى انجلترا واستكلندا وفرنسا والمانيا والنمسا وايطاليا •

ومنذ هذه اللحظة أطل على ثقافة العالم فى علوم البحار وتعمق رويدا رويدا فى هذا الفرع من العلوم ، ولذلك لم يكن غريبا أن يكون موضوع الدكتوراه التى حصل عليها فى عام ١٩٤٠ هو « الحيوانات المرجانية » •

وانتهت مدة خدمة المدير الاجنبى لمحطة الغردقة للاحياء المائية، وتحولت المحطة الى معهـد • وعين الدكتـور حامد عبد الفتـاح جوهر أستاذا بالجامعة ومديرا للمعهد • ومرة أخرى حدث تعديل، فقد انفصل المعهد عن كلية العـلوم عام ١٩٤٦ وأصبح تابعا لجامعة القاهرة • وواصل العالم المصرى جهده ودراساته وابحاثه فى حماس • وشعر بالراحـة وهو يتطلع الى المعهد وهو ينمو ويزدهر ، ويصبح قبلة أنظار كل علماء البحار فى العالم •

وعادت الى ذهنه اللحظة التى قرر فيها أن يقبل التحدى ويثبت أن الشاب المصرى قادر على الحياة والعمل فى أى مكان ومهما كانت الظروف •

ولكنه تنبه فجأة الى أنه نسى نفسه •• نسى شبابه •• فقفزت سنوات عمره فتخطى الاربعين دون أن يتزوج • صحيح أن الفكرة راودته ولكنه صرفها من ذهنه بسرعة لسببين :

كان منهكا فى معركة من أجل العلم •

وكان يخشى أن تعطله زوجته عن مستقبله • عن مواصلة البحث والعلم ، فمن هى التى ترضى بالحياة فى منطقة نائية كالغردقة ؟•

وفكر بسرعة •• لقد وهب شبابه للعلم، وقد حقق لبلده وللعلم الكثير ولكن مازال أمامه الكثـير • والانسانة التى ستشاركه حياته سيكون لها حقوق يجب أن يعطيهـا لها •• ولو أن الامر سيكون مقصورا على المال لما تردد ، ولكنها ستأخذ وقته •• ووقته كان للعلم • لقد وهب نفسه للعلم منذ فجر الشباب • فليواصـل اذن تضحيته • ليكمل رسالته • آثر أن يكون راهبا مدى الحياة فى محراب العلم •

وفى عام ١٩٥٦ قررت الجمعية العامة للامم المتحدة وضع قانون دولى للبحار واتخذت الجمعيـة قرارا بتفويض السكرتير

العام المرحوم المستر همرشولد باتخاذ الاجراءات اللازمة لاعداد التشريع اللازم على أن يستعين بمجموعة من المستشارين المتخصصين فى القانون •

وواحد من علماء المصايد ·· وكان من الهند •

وواحد لتمثيل الناحية العلمية فى علوم البحار ·· وكان هو الدكتور حامد عبد الفتاح جوهر •

وظل العالم الدكتور حامد عبد الفتاح جوهر اكثر من عامين يعمل مساعدا لسكرتير عام الامم المتحدة •

وبعد ان كان يمتص من ثقافة العالم فى علوم البحار أصبح يقدم للعالم بين وقت وآخر الابحاث والدراسات التى أثارت اهتمام واعجاب العلماء بل وكل المتصلين بعلوم البحار •

وفى مقدمة المعجبين بالدكتور حامد عبد الفتاح جوهر جلالة امبراطور اليابان وولى عهد اليابان وزوجته ، وهم من المهتمين بعلوم البحار ، وقد دعى الدكتور حامد عبد الفتاح جوهر الى القصر الامبراطورى فى عام ١٩٦٢ حيث ألقى محاضرة استمرت اكثر من ساعتين حضرها ولى العهد وزوجته وعدد من كبار علماء البحار اليابانيين ، وقد استمرت زيارة الدكتور جوهر لليابان شهرين كان خلالهما ضيفا يتسابق الجميع على تكريمه والحفاوة به •

وعندما بلغ الدكتور حامد جوهر الستين من عمره فى عام ١٩٦٧ عين مستشارا لوزارة البحث العلمى فى الجمهورية العربية المتحدة •

ويرى الدكتور حامد جوهر أن العلاج الوحيد لمشكلة الانفجار السكانى التى تهدد العالم هو الاتجاه الى البحار ·· وثروة البحار •

فاليوم يعيش ٣٠٠ مليون انسان فى حالة تقترب من الجوع ·· بل والصيام •

وفى كل يوم ـ كما تقول الاحصاءات ـ يموت فى العالم ١٠ الاف نسمة ـ بسبب الجوع • وبعد ٣٠ سنة سيتضاعف عدد السكان ، فالعدد اليوم حوالى ٣٢٥٠ مليون انسان وينتظر أن يصل عدد سكان العالم الى ٦٥٠٠ مليون نسمة فى عام ١٩٩٥ •

وهكذا يجب أن تتضاعف كمية الطعام ..

وطبعا لن نتمكن من أن نجلب طعاما من القمر ، وليس أمامنا اذن الا أن نتجه الى البحر ، فالبحر ليس عبارة عن ماء وملح وثروات معدنية وبترول وأسماك انما هو ايضا هذه القوة الهائلة التي يمكن استغلالها في توليد الكهرباء، فمحطات توليد الكهرباء التي تستفيد من حركة المياه خلال فترات المد والجذر اصبحت فعلا مصدر الطاقة الهائلة فى فرنسا .. والاتحاد السوفيتى .. وكندا .

وبجانب كل ذلك هناك الكائنات الحية التى تعتبر مصدرا لكثير من المواد الغذائية والكيمائية بل والمواد الطبية .

ويرى الدكتور حامد عبد الفتاح جوهر أن فى المحيطات كنوزا هائلة . واذا كانت الولايات المتحدة قد حصلت على الكثير من البحر - إلا أنها انفقت ايراد المحيط على بحوث الفضاء

ويرى الدكتور حامد جوهر أن السمك مازال حتى الان طعام الأسر المرفهة ، فسعر السمك ما زال مرتفعا بالنسبة للمستلك العادى ، وهذا لا يجعله الطعام الشعبى الذى يدخل كل بيت مع أن المعروض أن يكون هو الوجبة الشعبية .

ويؤمن الدكتور جوهر بأن العلاج ليس فقط فى التوسع فى أساطيل الصيد ، وانما يرى ادخال نوع جديد من الزراعة .. هو الزراعة السمكية .

وهى فكرة بسيطة يمكن تطبيقها فى الاراضى الزراعية . الارض تغرق بالماء وتربى فيها أنواع من الاسماك لها القدرة على النمو السريع والزيادة فى الوزن. فى هذه الحالة نستفيد كميات كبيرة من الاسماك تستخدم كغذاء للناس .

وفى نفس الوقت يمكن الاستفادة من فضلات الاسماك فى تسميد الارض التى تزيد خصوبتها حتما عندما تتبخر المياه ويتم زراعة الارض كالمعتاد .

وهكذا يمكن زراعة الارض بمجموعة محاصيل .. منها محصول السمك .

وقد طبقت هذه الفكرة بالفعل أكثر من دولة منها اليابان .. والصين .. وأخيرا يوغوسلافيا .

وقد أحيل الدكتور حامد عبد الفتاح جوهر الى المعاش ولكنه ما زال حتى اليوم :

- استاذ غير متفرغ فى كل علوم جامعة القاهرة .
- رئيس جمعية علم الحيوان فى الـ ج . ع . م .
- رئيس جمعية علوم البحار .
- عضو الاكاديمية المصرية للعلوم .
- عضو المجمع المصرى للثقافة العلمية .
- عضو الاتحاد العلمى المصرى .
- رئيس اللجنة القومية لعلوم البحار .
- عضو اللجنة القومية للعلوم البيولوجية .
- عضو مراسل فى الجمعية الهندية لبيولوجيا البحار .
- عضو فى اكاديمية علماء المصايد ومقرها روما .

انه أحيل الى المعاش .. ولكنه لايجد دقيقة واحدة يرفه عن نفسه فيها فهو يقرأ ويكتب ويلقى المحاضرات .

لقد أعطى عمره للناس .. ومازال يقدم الكثير للانسانية بصفة عامة وللوطن العربى بصفة خاصة .

وأخطر ما ينبه اليه الاذهان فى الوطن العربى بل فى البلاد النامية هو الزحف الاستعمارى المستتر وراء العلم . فهو يهدف الى نهب الثروات الكائنة فى الافريز القارى لكل الدول العربية والنامية التى تطل على البحار .. ان الثروة الراسبة فى قاع البحر الاحمر مثلا تقدر بحوالى بليون ونصف بليون دولار عبارة عن ذهب وفضة وزنك ونحاس وكوبلت ويورانيوم .

ويقول الدكتور جوهر أن هناك دولا تنبهت الى ضخامة الثروة الكامنة فى قاع البحر الاحمر فبدأت ـ تحت ستار صيد السمك ـ تسعى وراء هذه الثروة وتقوم بالبحوث الكبرى متخذة من ميناء مصوع فى الحبشة مركزا هاما لنشاط سفن البحث التابعة لها .

هذه الدول هى :

الولايات المتحدة ـ هولندا ـ اثيوبيا ـ اسرائيل .

وما يقال عن البحر الاحمر يقال عن الخليج العربى والبحر الابيض المتوسط والمحيط الهندى •

ولكن من المؤسف أن الدول العربية لم تحاول تكوين شركات كبرى مشتركة لاستخراج خيرات بحارها •

ويرى الدكتور حامد جوهر أن الخطر كل الخطر ليس فقط فى نهب خيرات البحار العربية ولكن هناك ايضا ما هو أشد خطرا •

فحصول الدول الرأسمالية والاستعمارية على المواد الخام من البحار سيجعلها تستغنى عن المواد الخام المنتجة من أرض الدول النامية ، أو سيجعلها تتدلل فى شراء هذه المواد الخام ، وهذا الخطر يهدد الدولى التى لهـا سواحل والتى ليس لهـا سواحل لانها لن تجـد مشتريا لمواردها الخـام بأسعار تغطى احتياجاتها من السلع الاخرى •

والخطر الثالث أن الدول الكبرى ستعمل على حماية بحوثها ونهبها للافريز القارى الذى يحيط بالدول النامية الساحلية مما يهدد استقلالها ، لن تهددنا بالمدافع والصواريخ فقـط ، وانما سفن البحث كلها أو أغلبها عبارة عن سفن تجسس مثل «ليبرتى» الامريكية •• ستقف هذه السفن ـ وهى تقف حاليا فعلا ـ خارج مياهنا الاقليمية باسم البحث العلمى وهى تحقق هدفا أخطر وهو التجسس على كل ما يجرى فى أرضنا ، فالحصول على الاستقلال ورفع العلم سيكون دائما مهددا مادام الاستعمار الجديد قد بدأ فى غزو شواطئنا متسترا وراء البحث العلمى •

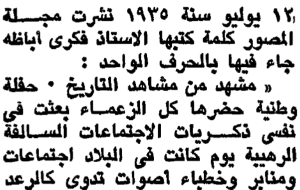
★ ★ ★

هذه قصة العالم العربى الذى افنى عمره راهبا فى محراب العلم ، ومازال فى وسع الجامعة العربية أن تستفيد من خبراته وعلمه •

ولكن ألا يمكن أن نكرمه فى حياته ، فنطلق اسمه على محطة البحوث بالغردقة تلك التى تحمـل فى كل جزء منهـا بصمات أصابعه !

الشيخ أحمد حسن الباقوري





في ١٢ يوليو سنة ١٩٣٥ نشرت مجلة المصور كلمة كتبها الاستاذ فكرى أباظه جاء فيها بالحرف الواحد :

« مشهد من مشاهد التاريخ • حفلة وطنية حضرها كل الزعماء بعثت في نفسى ذكريات الاجتماعات السالفة الرهيبة يوم كانت فى البلاد اجتماعات ومنابر وخطباء أصوات تدوى كالرعد وتزار زئير الاسد : الباقورى هو مندوب الطلبة فى الخطابة ورئيس اتحادهم أيام الاضراب • خطب الشاب فذهلت وطار لبى • عبارة ارتفعت الى السماك الاعلى فى حسن تركيبها • القاء متزن على أحدث طرق فن الالقاء • ألفاظ مختارة بميزان الذهب الحر • وضعها كالنجار الدقى فى موضعها الانيق الدقيق • معان كلها

سمو وكلها ارتفاع. لم أصدق أن الذى يتكلم طالب أزهرى وانما خيل الى أننى أسمع زعيما مسئولا من زعماء المنابر فى أوربا . سأتعقب مستقبلك لأرى كيف تكون فى الواقع وكيف أعلن الازهر أنه قد نفض الكفن وتجلى على الوجود » .

وقد مرت السنوات وتحقق ما تصوره فكرى أباظه .

أصبح الشيخ الباقورى وزيرا للاوقاف ثم مديرا لأعرق جامعة فى تاريخ الانسان وهى جامعة الازهر .

ولكن .. ما لم يعرفه النـــاس عام ١٩٣٥ ولا حتى اليوم أن الطالب أحمـــد حسن الباقورى الذى كرمه زعماء مصر وقتئـذ وأشاد به كبار الكتاب ونشرت الصحف اسـمه بالبنط العريض كان يصارع الجوع ويفرى البرد عظامه .

وقصته مع الفقر لها تاريخ :

كان والده يعمل بالتجارة ، ثم تراءى له أن يجمع بين الزراعة والتجارة أملا فى تحسـيـن أحوال أسرته التى كانت تتكون من زوجته وابنته وثلاثة أولاد أكبرهم احمد حسن الباقورى ولذلك استاجر الوالد مساحات كبيرة من الاراضى فى قرية باقور التابعة لاسيوط ، واشترى ماكينـــة رى .. والاراضى كانت ملكا لأحـد المرابين . وتصادف أن فاض النيـل فيضانا أتى على كل زراعة الوالد الطموح فلم تعط الارض محصولا ولم يبق فى الدار قرش فنزع المـرابى الارض وما بقى عليهـا وخـربت الدار وتشردت الاسرة .

وقعت هذه المأساة فى عام ١٩١٩ .

وكان الصبى احمد حسن الباقورى فى الحـــادية عشرة من عمره . ولكنه وعيها تماما فاستقرت تفاصيلها بحروف من نار فى قلبه وعقله .

ولم تقعد الصدمة أسرة الباقورى عن طلب العلم ، فقد أوفده والده الى أسيوط لينتظم فى معهد أسـيوط الدينى . وبرغبـة جارفة فى العلم وبشعور غميق من المسئولية أنهى الصبى احمد احسن الباقورى المرحلة الاولى وحصل على الشـهادة الابتدائية عام ١٩٢٦ .

وكان النظام فى الازهر يسمح للطالب أن يؤدى امتحان الشهادة الثانوية دون التقيد بسنوات الدراسة أو الانتظام فيها ولم يتردد

الصبى أحمد فتقدم فى العام التالى مباشرة دون دراسة نظامية أو حتى انتساب الى المعهد ـ وأدى امتحـان الشهادة الثانوية ‥ ونجح ٠

ولم يتردد الوالد فى ارسال ولده الى القاهرة حيث النور ‥ حيث الازهر الشريف ‥ حيث التعليم العالى ٠

كان والده يرسل له جنيها واحدا شهريا ٠

وكانت ادارة الازهر تصرف له « الجراية » وهى عبارة عن اربعة أرغفة كبيرة ساخنة وفول نابت وعدس ٠

الى هنا وكانت حياته كلها مذاكرة ليل نهار ومتابعة للدرس فى صحن الازهر الشريف ولهفة على أن ينهى مرحلة التعليم حتى يريح والده من الجهد الذى يبذله كى يوفر له جنيها شهريا ٠

ولكن حدث ما شده الى الحياة العامة ٠

فقد نشب خلاف حاد بين المرحومين محمـد على علوبة باشا والشيخ محمد بخيت مفتى الديار المصرية ٠ كان الاول يرى أن الوقف الاهلى يجب أن يحـل ، وكان المفتى يرى أن الوقف خطر على الاسلام والمسلمين ٠

ونظمت محاضرات كان الطلاب يحشدون لها حشـدا بغير ارادة ولا عقل وذهب الباقورى ـ مع من ذهب ـ للاستماع الى الشيخ بخيت ٠

ولم يعجبه منطق الشيخ بخيت ولا أسلوبه فى مهاجمة معارضيه، فاندفع الباقورى ينتقد الشيخ بخيت أمام بعض الحاضرين وهو لا يتصور أنهم من انصار الشيخ بخيت المتعصبين ‥ وكلمة من هنا وكلمة من هناك وجـد نفسه فجأة يتعرض « لعلقة » شديدة ظلت ماثلة أمام عينيه وعالقة بذهنه حتى أصبح وزيرا للأوقاف عام ١٩٥٤ فكان أول ما سـعى اليه هو استصدار قانون بحل الوقف ٠

وعلقة أخرى كان لها اثر أعمق ‥ وأقسى ٠

فقد كان فى طريق عودته من كلية اللغـة العربية فى شارع البراموني بالقرب من قصر عابدين ٠ وصعد على الافريز الملاصق للقصر وهو لا يدرى انه اتى امرا مثيرا وأخطا خطأ كبيرا ، فقد

كان القصر الملكى قد أصـــدر أمرا بتحريم السـير على الافريز الملاصق للقصر وفجأة تصدى للشيخ الباقورى عملاق يرتدى زى جنود القصر وبلهجة صعيدية حاسمة أمره بالنزول عن الافريز •
وظن الشيخ الشـــاب أنه قادر على اقناع الجنـدى « بلدياته » بالحسنى بأن السـير على الافريز ليس ذنبا أو جـرما ، ولكن الجندى العملاق اختصر المناقشة ، ولكمه لكمة طرحته أرضا •

ومنذ هذه اللحظة وهو يسأل نفسه فى غضب :

ـ كيف يمنع الناس من السير على أفريز الشارع ؟

ـ وهل السير على الافريز يعرض الناس للضرب ؟

وتوالت الاسئلة حتى شملت كل ما يمس وطنه الصغير باقور •• ووطنه الكبير مصر •

وكان قد حصل على الشهادة العالمية •

وتقدم للتخصص ـ الدكتوراه حاليا ـ ففوجىء بقـــرار من شيخ الازهر وقتئذ أصبح حامل شهادة التخصص بمقتضاه يحصل على مرتب ثلاثة جنيهات شهريا لا غير •

ـ أبعد كل هذا الجهد يعين بثلاثة جنيهات ؟

ـ هل جاع وشـــقى والده كى ينتهى به المطاف فى وظيفـــة بثلاثة جنيهات ؟

ومصادفة سمع أن حامل شهادة الصيارفة يعين صرافا بستة جنيهات تصرف له مع « ركوبة وعليقها » أى حمار وغذاؤه يطوف عليه بين القرى لتحصيل الضرائب من الفلاحين •

وتقدم مع بعض زملائه للالتحاق بمدرسة الصيارف ولكن شيخ الازهر رأى أن التحاقهم بمدرسة الصيارف فيه مساس بكرامة الازهر ، فسعى حتى ردت لهم مدرسة الصيارف أوراقهم ، فعاد الباقورى الى الدراسة فى تخصص الازهر ، ولولا ذلك لكان قد أفنى عمره فوق حمار يطالب الفلاحين بالمال ،

عاد الى الدراسة فى الازهر ونفسه ملأى بالحيرة •• والغضب • الاسئلة كثيرة وعديدة ••

بحث عن الاجوبة مع زملائه ثم بدأ يبحث فى نوادى الاحزاب السياسية والجمعيات الدينية •

ووقف على منبر الازهر يهز النفوس ويشعلها ثورة .
ودخل السجن لاول مرة فى عام ١٩٣٤ .

وبعد نجـــاح اضراب الازهر الذى انتهى بخـــروج الشيخ الظواهرى وتعيين الشيخ المراغى خرج الشـــيخ الباقورى من نطاق الازهر الى مشاكل الوطن كله . وكان الصراع كبيرا حول أحد طريقين :

- هل يطلب الشعب الدستور قبل المعاهدة مع بريطانيا ؟
- أم يطلب الشعب المعاهدة قبل الدستور ؟

وكان رأى الشيخ الباقورى أن يطلب الشـــعب الدستور من الملك والمعاهدة من بريطانيا فى وقت واحد .

ومن بين جموع الطلبة انبثقت لجنة الطلبة العليا وكانت تضم عشرة يذكر منهم الشيخ الباقورى :

الدكتورة سهير القلماوى ـ الدكتـــور نور الدين طراف ـ الدكتورمحمد بلال ـ فريد زعلوك المحامى ـ الظاهر حسن احمد ـ طاهر عثمان ـ مصطفى السعدنى .

واشترك الباقورى فى ثورة ١٩٣٥ .
ونجح الطلبة فى اجبار الزعماء على تشكيل الجبهة الوطنية .

وحصل على شهادة التخصص فى البلاغة والادب عام ١٩٣٦ ثم عين مدرسا فى معهد القاهرة الدينى بمرتب ثمانية جنيهات

كان الشيخ المراغى قد أمر بالغاء الجراية حتى لايحمل الطلبة الازهريون أرغفة الخبز فى الشوارع خصوصا أن بعضـــهم كانوا يبيعون رغيفين ويأكلون رغيفين وكذلك أمر بأن يكون مرتب حامل شهادة التخصص ثمانية جنيهات يضاف اليها بدل الخبز .

ومن هذا المرتب كان الشيخ الباقورى يرسل لوالده الهـدايا حسب ما تسمح به ميزانيته : جبة جديدة أوجلبابا من الكشمير .

ولكن هل استقر الشيخ الباقورى ؟
هل هدأت نفسه ؟

مرة أخرى ـ فى عام ١٩٣٨ ـ وجد نفسه فى السجن مع زميله وصديقه الشيخ عبد الرحيم فودة بتهمـــة تحريض الطلبة على الاضراب .

وفى عام ١٩٤٠ تزوج الشيخ أحمد حسن الباقورى من ابنة عالم جليل هو الشيخ محمد عبد اللطيف دراز ٠

وبعد عامين على زواجه اعتقل فى سجن الاجانب ثم نقل الى معتقل فى المنيا بالصعيد حيث أمضى عامين تقريبا وراء الاسوار٠

وبعد الافراج عنه واصل العمل من أجل وطنه حسب ما كان يلهمه ضميره الوطنى وايمانه بدينه الحنيف حتى استقر به الحال٠

وقد تدرج فى وظائف التدريس حتى أصبح وكيلا لمعهد أسيوط الدينى ٠ المعهد الذى بدأ علاقته بالعلم فيه ، ثم أصبح وكيـــلا لمعهد القاهرة الدينى ثم شيخا لمعهد المنيا ٠

وقد اصبح وزيرا للأوقاف فى عام ١٩٥٢ ٠

ثم اختير مديرا لجامعة الازهر ٠

وهو يفخر بانه بدأ أول خطوة للكليات العملية فى الازهر وهى الطب والهندسة والزراعة وهو يقول :

ـ لقد خلق الله الانسان لحما ودما ثم نفسا وروحا ٠ جانبان لكل منهما خصائص ومطالب ، وقد انصرف الازهر الى العناية بالجانب الروحى بمقدار ما انصرف عن العناية بالجانب المادى، أو بعبارة اوفى الى الحق ، أريد له ان ينصرف عن هذه العناية فالازهر كما يقول التاريخ كانت تدرس فيه من القديم علوم الفلك والميقات والطب والمواليد والرياضة والحساب ٠ وعودة الازهر الى تنظيم وانشاء الكليات العملية نصر للاســلام ، فأبناؤه اليوم يجاهدون فى المجال المادى الى جانب جهادهم فى المجال الروحى ، وهم يعالجون شئون الدين بروح الدنيا وهذا ما يجعل الازهر قادرا على خدمة الانسان بمعنييه جميعا : روحه وجسده ٠

وقد انتخب الشيخ الباقورى عضوا فى مجمع اللغة العربيــة وانتخب عضوا فى المجلس الاعلى لدعم البحوث العلمية ٠

وقدم للمكتبة العربية كتابه « عروبة ودين » كما كتب عشرات ، بل مئات المقالات فى الصحف ومنذ شهور أصدرت له دار أخبار اليوم كتاب « حو طر وأحاديث » وهو أول كتـــــاب فى سلسلة كتاب اليوم ٠

وتجرى الايام ٠٠ وتتعدد صفحات عمر الشيخ الباقورى بعد احالته فى العام الماضى الى المعاش ولكنه لا ينسى أيام الفقر ٠٠ وأيام الجهاد ٠







جامعة جوجوكارتا باندونيسيا ٠٠ وفى سنغافورة ٠٠ وفى ايطاليا٠٠ واسبانيا ٠٠ والمانيا ٠٠ وتركيا ٠

فى كل هذه البلاد قامت فى الفترة الاخيرة حركة ترجمة واسعة النطاق لكتب المؤلف الاسلامى المعروف الاستاذ عبد الرزاق نوفل بعد أن اقبل الناس عليها فى البلاد العربية من بغداد الى الرباط وأصبحت تدرس فى كثير من مدارسها ومعاهدها

وقصة حياة الاستاذ عبد الرزاق نوفل بدأت فى حى عابدين بمدينة القاهرة فى عام ١٩١٧ وقد فتح عينيه على الدنيا ليجد نفسه وحيدا ، فوالداه لم ينجبا سواه ٠

والأب كان تاجرا يقتضى عمله كثرة الاسفار ، وكان تغيبه عن منزل الاسرة هو الغالب وكان بقاؤه فى المنزل هو النادر ·

والأم كانت من فرط خوفها على وحيدها تحرص على أن تبقيه فى البيت لا تسمح له بمغادرة المنزل ··

واستمرت هذه العزلة عن الناس وعن الحياة حتى بعـــد أن التحق بالمدرسة الابتدائية بل والثانوية ·· كان يعود من المدرسة ليلزم حجرته ·· لا يزور ولا يزار ·· ولا يتحدث الا مع أمه وكتبه

وكانت والدته تســـمح له كل خميس بأن يطل من شرفة المنزل ـ تحت اشرافها ـ ليستنشق الهواء ويتطلع الى المارة ·· والى السماء ·

وعندما أكمل العام العاشر من عمره بدأ يشعر بوحدة مدمرة وبعزلة شديدة ·· بدأ يحس كلما جلس فى حجـــرته وحيدا بأن الجدران تكاد تطبق على أنفاسه ، وكلما تطلع من النافذة كانت عيناه تلتقيان بالقمر ، فكان يسائل نفسه قائلا :

ـ هل يرانى القمر كما أراه ؟ ـ هل ينظر الى كما أنظر اليه ؟
ـ وملامح الوجه الذى أراه على القمر هل هى ملامح وجـــه صحيح أم أنها صورة يرسمها الخيال ؟

وبعد مضى ساعات من الليـــل كان يرى النجوم فيتساءل فى دهشة وعجب : ـ أهى ثقوب فى السماء ؟ ـ وما هى السماء ؟

ـ أتظهر النجوم النور الذى يوجد خلف هذه السماء ؟

وعلى بعد مئات الامتار من المنزل كان يسقط نظره أثناء الليل على ضوء خافت ينبعث من نافذتين صغيرتين عرف أنهما لمئذنة بيت من بيوت الله ·· لمسجد قريب فاذا ما حان موعد آذان العشاء أو الفجر كان نداء المؤذن الى الله يصيبه برعشـــة ورعدة وكلمـــا استرسل المؤذن فى الدعـــاء كان يحس بخشوع ·· ورغبة فى البكاء ·

فى هذه المرحلة من الطفولة بدأ يتنبه الى زائر له هيبـــة خاصة ·· كان شيخا ملتحيا تفيض عيناه رقة وايمانا · وعرف أن هذا الزائر هو جده لأبيه · وكان الجد سعيدا لان حفيده أتقن القراءة والكتابة ولهذا يطلب منه أن يجلس الى جواره ليقرأ له الاحيـــاء والبخارى وغيرهما من كتب الدين ، ويظل الطفل يقرأ ويقرأ بينما

جده يسبح بمسبحة كبيرة حتى تثقل جفناه فيسمح له جده بأن ينام بجواره ،

هكذا كانت حالته فى حداثته منذ نعـومة أظافره · وقد امتلأ وجدانه بالايمان وفاضت به نفسه، ولعلها كانت فى انتظار حادثة تخرجها من الاعماق ·

وكانت هذه الحادثة هى التى وقعت ذات صباح من عام ١٩٣٥ :

كان عبد الرزاق نوفل قد بلغ الثامنة عشرة من عمره ··

وكان قد أصبح طالبا فى كلية الزراعـة بجامعة القاهرة ··

وكانت الافكار المادية والجدلية الالحادية قد بدأت تنتشر لأول مرة بين الطلبة الجامعيين فى مصر ·

فى هذا اليوم الذى لا ينساه ـ وفجأة ـ وقف احد الطلبة من زملائه ليعلن انه يريد أن يجرى تجربة عملية مع القوة الخالقة وأنه يعطيها مهلة ساعة كاملة هى فترة المحاضرة المقبلة·· وأخرج ساعته فعلا ليحدد الوقت ·· وطلب هذا الطالب من الله اذا كان موجودا فعلا أن يميته خلال هذه الساعة ، فان مات ينتهى الجدل بين الطلبة ويؤمن الجميع بوجود الله ، أما اذا لم يمت خلال هذه الساعة فليبحث المؤمنون عن شىء آخر يؤمنون به ·

وانتهت الساعة ·· ولم يمت هذا الطالب ·

وفجأة اتجهت انظار معظم الطلبة الى عبد الرزاق نوفل وكأنهم يستنجدون به · كانوا يعرفون عنه ـ ومن بعض مناقشاته ـ أنه مؤمن ايمانا عميقا ·· مؤمن عن عاطفة وعن علم ·

ولكن المفاجأة التى اقدم عليها الطالب المتشكك فى وجود الله جعلت لسان عبد الرزاق نوفل يتحجر فى فمه فانصرف

انصرف الطلبة الى منازلهم ولكن عبد الرزاق نوفل اتجه الى المكتبات العامة والخاصـــة يبحث عن كتاب أو أكثر يناقش أدلة وجود الله ·· ولكنه لم يجد ·

ولكنه عزم فى اليوم التالى على أن يناقش هذا الزميل الملحد مناقشة فلسفية عن الوجود والخالق ، وانتظر مع زملائه وصول هذا الزميل الا أنه علم بأن هذا الزميل أصيب « بدمل » فى أذنه نتيجة دخول ماء فيها فقد كان بطلا فى السباحة واتفق عبد الرزاق

مع زملائه على أن يذهبوا معا بعد المحاضرة الى هذا الزميل للاطمئنان عليه وتحذيره من الاستمرار فى انكار وجود الله وقبل أن تنتهى المحاضرة جاءهم من ينعى هذا الزميل ويؤكد وفاته ..

وكانت صدمة كبرى لعبد الرزاق ولجميع زملائه .

وعندما عاد الى الكلية فىاليوم التالى كان عليه ان يقوم بدراسة عملية فى الحقل . وعندما نظر الى النبات المختلف الالوان والى الثمار المتعددة الاشكال التى تخرج من هذه الارض السوداء التى تسقى من الماء العكر .. عندما رأى هذا المشهد كان كأنه لم يسبق له رؤياه وسأل نفسه فى دهشة وعجب :

– من يرى ما أراه فى الحقل .. كيف يسأل عن وجود الله ؟

وبدأ ينظر الى علوم الزراعة المقررة عليه نظرة أخرى :

النبات .. والخلايا الحية .. الطب البيطرى .. أجهزة الحيوان .. وخروج اللبن من الدم .. علوم الاحياء ..

أليست كلها آيات رائعة وبيانات واضحة على وجود لله ، وأثرا من آثار قدرته سبحانه وتعالى ؟

وقد اتجه بعد تخرجه الى دراسة القرآن الكريم ، واستوقفته فيه ايات علمية رأى أن العلم لم يكن يعرف عنها شيئا وقت نزولها بل كان الشائع هو عكس ما تقول به الآيات .. ووجد نفسه أمام معجزة علمية خالدة ، واعتبر أن هذه الآيات دليل اعجاز القرآن وانها أيضا الدليل على وجود الله

وتابع الدراسات العلمية وما وصل اليه العلم فى كافة قطاعاته على أنها مظهر من مظاهر قدرة الله وآثار وجوده ، كما درس القرآن الكريم وبدأ يناقش الناس – الذين يعرفهم والذين لا يعرفهم – فيما يطلبون الوقوف عليه ، وكان يناقش كافة المستويات العلمية بما يوائم دراساتهم وثقافاتهم فكان يجد ويحس بالراحة عند المستمعين .. وألح عليه المعجبون والمتحمسون أن يدون ما يناقش به ليخرج على الناس فى رسالة أو كتاب يكون كدليل على وجود الله ، واستجاب لهم ، فكان ذلك هو كتابه الاول « الله .. والعلم الحديث » الذى صدر فى أول رمضان الذى صادف أول ابريل سنة ١٩٥٧ .

وكان فى هذا الكتاب فصل فى الاعجاز العلمى للقرآن ، واحتوى

على آيات تشير الى أن الانسان سيحاول اكتشاف السماء بغـزو الفضاء كما سبقت الجن الى ذلك ٠

وبعد ستة أشهر تقريبا من نشر الكتاب أطلقت روسيا أول قمر صناعى ، وتحقق بذلك ما جاء فى التفسـير العلمى لبعض آيات القرآن الكريم ٠

ولم يتوقف جهد عبد الرزاق نوفل عند هـذا الحـد ٠٠ فقـد حدث أن زارت مصر جماعة أوربية تسعى لدراسة الاديان وتسمى نفسـها «جمـاعة البحث وراء الاديان الاخرى» ، كانوا يريدون مناقشة العبادات والعقائد والتكاليف ٠ ووجدت هذه الجماعة أن كل مايقال عن الاسلام وقتها فى حاجة الى اعادة فى الدراسة ٠ والتقى عبد الرزاق نوفل بأعضاء هذه الجماعة ٠٠ وثارت بينه وبينهم مناقشات هامة ٠

ووجد عبد الرزاق نوفل أن بعض مسلمى أندونيسيا مثلا يقولون

ـ اذا كان الهدف من الصوم كما يقول العلماء هو احساس الغنى بآلام الجوع فيعطف على الفقير ٠٠ فلماذا يصوم الفقير ؟ ولماذا يصوم الغنى الذى يتصدق ؟

وعندئذ اتجه عبد الرزاق الى دراسـة عقائد وعبادات وتكاليف الاسلام من الناحية المادية ومن ناحية ما يستفيد به العبد المسلم فى الدنيا ، فوجد أن عقائد عبادات الاسـلام انما تهدف الى صـالح الفرد وخير الجماعة فى الدنيا ، كما تهدف الى سعادة الانسان فى الآخرة ٠

وكان ذلك موضوع كتابه الثانى « الاسلام والعلم الحديث » ٠

ثم تتبع الدراسات الدينية بعد ذلك وشجعه على ذلك نجاح هذا الاتجاه العلمى الحديث فى مناقشة الموضوعات الدينية حتى صدر مايقرب من ثلاثين كتابا لاقت رواجا كبيرا فى الدول العربيه ، ثم اقبلت دول اسلامية وغير اسلامية على ترجمتها ٠٠ ترجمت فى أندونيسيا لتدرس فى جامعة جوجوكرتا ، وترجمت فى سنغافورة وفى ايطاليا واسبانيا وألمانيا الغربية وفى تركيا ٠٠ وأخيرا فى مناطق المسلمين بالاتحاد السوفيتى ٠

ولم يكن حادث وفاة الطالب الملحد هو الحادث الوحيد الذى أثر على حيـاة عبد الرزاق نوفل ، فقد وقعت لوالده حادثة تعلم منها الكثير ٠

كان والده كبير تجـار الفحم والغلال فى مصر ، وكان وكيـلا لشركات الفحم الالمانية فى الشرق ، وتعرضت مصر ـ كما تعـرض غيرها للازمة الاقتصادية الحادة التى سادت العالم عام ١٩٣٠ ، وباختصار تدهورت تجارة والد عبد الرزاق نوفل وتغير حاله من ثراء عريض الى ضياع مادى عنيف ، وتطلع عبد الرزاق وقتئذ الى والده فوجده ، كما تعود أن يراه دائما ٠٠ هادئا مطمئنـا واثقا بنفسه واثقا بربه ٠٠ حتى الفقراء الذين كان يساعدهم أيام ثرائه ظل يعاونهم ـ فى حدود طاقته ـ بعد فقره ٠

من هذه الحادثة تعلم عبد الرزاق نوفل أن يصبر دائما ، وأن يرتفع الانسان فوق الاحداث ، وتعلم أن المال ليس كل شىء ، وأن من فقد المال لم يفقد شيئا ، اذ من السهل على الانسان أن يجد قوته وأن يسترد ماله ، أما اذا فقد نفسه أو فقد طاقته أو فقد ثقته بنفسه ، فهنا تكون الطامة ٠

ولانه تعلم أن يكون صبورا لم يضق بالوظيفة التى التحق بهـا بعد تخرجه فى كلية الزراعة ٠ فقد عمل ـ وهو خريج الزراعة ـ كاتبا فى قلم المستخدمين بوزارة التجارة والصناعة ٠

لم يعمل فى ميدان تخصصه ، ولم يعين فى الدرجة المناسـبة لمؤهله ، ولكنه صبر وأقبل على عمله باخلاص حتى أتقن أعمـال المستخدمين ثم نقل الى المخازن والحسابات ، ومرة أخرى اقبـل على العمل بحماس ، ثم نقل الى ادارة التصدير ، وهناك بقى حتى اليوم ٠٠ ثم اختير لتلقى أعلى دراسات الاستراتيجية القوميـة حيث اختير للدراسة فى أكاديمية ناصر العسكرية العليا ، وتخرج فى أول دفعة فى كلية الدفاع الوطنى ٠

كما أنه يعتز بأنه كان عضوا فى أول لجان أنشئت فى المجلس الاعلى للشئون الاسلامية وفى لجنته التنفيذية العليا ٠

وقد تزوج عبد الرزاق نوفل فى عام ١٩٤٢ وأنجب فتاة تدرس حاليا فى معهد الاقتصاد المنزلى وأربعة أولاد ذكورا تخرج أكبرهم فى كلية الزراعة مثل والده والثانى يدرس بالمعهد التجارى والثالث يدرس الزراعة بجامعة الازهر الشريف والرابع بالثانوى ٠

وهم لا يشعرون بما عاناه الآب من حرمان ووحدة ٠٠







مرارة يقول سماحة الشيخ حسن خالد مفتى لبنان :

ـ كثيرا ما أتساءل عندما أخلو الى نفسى : لماذا نجد أنفسنا مفككين موزعى الأهداف مختلفى الوسائل ، يضرب بعضنا رقاب بعض ، ويتمنى كل فريق منا لو يقضى على الفريق الآخر ؟

ويستطرد سماحته قائلا فى الكتيب الذى أصدره عام ١٩٥٧ تحت عنوان « روح البطولة فى الاسلام » :

ـ لماذا لا تقع أعيننا على أمجاد وبطولات تشابه ما فعله أجدادنا الميامين فى مختلف ميادين الحياة ؟ لماذا لا نزال نعيش فى بلادنا وأوطاننا مغلوبين على أمرنا ، مسخرين لمطامع الاجنبى ورغباته ؟ لماذا أصبحت معتقداتنا وتقاليدنا وأخلاقنا ومفاهيمنا عن الحياة

الدنيا والآخرة غريبة عنا ، ومعتقدات وتقاليد وأخلاق الأجنبى محببة الينا ؟

ويستشهد سماحة مفتى لبنان بنماذج رائعة توضح أنواعا مختلفة من البطولات التى برزت وسادت فى فجر الاسلام والتى أصبحنا اليوم نفتقدها ..

● أبو بكر الصديق رضى الله عنه .. مر ذات يوم على أمية بن خلف وهو يضرب بلالا الحبشى ، فاندفع يعنف ويقرع أمية على ذلك ، فما كان من امية الا أن خيره بين أمرين : أن يشترى العبد أو يسير فى طريقه دون أى اعتراض .

فاشترى أبو بكر بلالا بالثمن الذى حدده أمية .. ثم أعتقه لوجه الله ..

وهذا دليل على البطولة فى السخاء من أجل المبدأ يرى سماحة مفتى لبنان أننا لا نجد لها مثيلا فى أغنياء هذا العصر ، فقد يسخو أحدهم فى اقامة المآدب تكريما لسياسى معروف أو فى حفلة عرس ، أو قد يجود فى عطائه لشخص أسرف فى الثناء عليه أو الكتابة عن مناقبه ومحامده ، أو سخر قلمه لخدمة أهوائه ومصالحه ، ولكن قل أن نجد من هؤلاء من تتحرك أريحيته المالية فى سبيل نصرة مبدئه وعقيدته ودينه .

● وأمير المؤمنين عمر بن الخطاب .. عارضه شخص فى أمر ظنه نبيه مخطئا ، فانبرى أحد الصحابة له لائما ، ولكن عمر قال بحزم :

« دعه . فلا خير فيكم اذا لم تقولوها ولا خير فينا اذا لم نسمعها » .

ويقول سماحه مفتى لبنان .. هكذا كان عمر شجاعا يفتح صدره للناس لمحاسبته ومناقشته على مايأتى أو يدع من سياسة مصالح المسلمين وشئونهم العامة والخاصة ، يقابلها ما يفرضه كثير من السياسيين اليوم من ضغط على الحريات وكبت للأفكار وسيطرة على الافواه بل والمشاعر .

● وأسامة بن زيد الذى اختاره رسول الله قبل وفاته قائدا — رغم أنه لم يتجاوز العشرين من عمره — لجيش عظيم جهزه لمحاربة الروم وجعل فى تجييش هذا الجيش أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وغيرهم ، فلما مات الرسول وعهد بالخلافة الى أبى بكر جاء بعض كبار الصحابة

يشيرون عليه بتنحية أسامة عن الامارة لصغر سنه وقلة خبرته ، وكان جواب أبى بكر بعد أن وجد منهم الالحاح والاصرار :

ـ ويحكم • أتريدون منى أن أخل لواء عقده رسول الله ؟

فانصرف عنه القوم وخرج يودع الجيش وعلى راسه اميره اسامة • وكان أبو بكر ماشيا على قدميه فى الوقت الذى كان فيه أسامة راكبا ، وقال أسامة لأمير المؤمنين :

ـ اما أن تركب واما أن أنزل ••

فأجابه ابو بكر على مسمع من القوم جميعا :

ـ فوالله لا أركب ووالله لا تنزل ، ان ولايتك أشرف وأعلى من ولايتى • انها من رسول الله وولايتى من الناس •

ويقول سماحة مفتى لبنان :

ـ هذه الامثلة التى يزخر بها تاريخ ابطال الاسلام ـ غير البطولات العسكرية ـ تؤكد أنهم كانوا مؤمنين ولم يكونوا مسلمين فحسب كما هو وضعنا اليوم •

ـ كان المؤمن القديم لا يهاب موتا ولا حديدا ، والمعارك التى دارت بين الروم والعرب أو الفرس والعرب، كان الفرس والروم فيها أقوى سلاحا ومالا وتنظيما ولكن العرب كانوا أقوى ايمانا •• فانتصروا ••

ـ ويقول سماحة المفتى :

ـ واليوم •• المال عندنا وافر ومكنوز ، ولدينا الكثير من الرجال المدربين فى التنظيم والادارة والعلم ، أى اننا احسن حالا من العرب الذين واجهوا الفرس والروم رغم فقرهم وقلة خبرتهم العسكرية ، ولكننا نفتقر الى القلوب الحية ، اننا بحاجة الى رجال لا توهن المصائب عزائمهم ولا تفت من سواعدهم ، لا تخدعهم الدنيا ولا تستعبدهم الاهواء والشهوات •

★★★

وقد كتب سماحة المفتى هذه الآراء فى عام ١٩٥٧ ، وأعتقد أننا ـ وبعد هزيمة ٥ يونيو ـ ما زلنا فى حاجة ملحة الى مثل هذه الآراء لنتعاون معا حكاما ومحكومين على طرد الصهيونية من ارضنا •
هذه الآراء والدراسات الجادة •• من كان يتصور من ابناء

لبنان منذ اكثر من اربعين عاما أنها ستصدر فيما بعـــد عن هذا الصبى المرح اللعوب الذى لم يكن يشعر بحب لدراسته ؟

فى عام ١٩٢١ ولد حسن خالد ٠٠

بعد ثلاث سنوات دخل الكتاب ٠ فى الخامسة وقع من سطح البيت ولكنه لم يصب بأذى فى نفس العام رأى صبية يسبحون فى مقهى الحاج داود ٠ وكان برفقة أحد اقربائه ٠ فغافله وقفز الى البحر ، مع أنه لم يكن يعرف السباحة ، وألقى صاحب المقهى بنفسه وهو فى كامل ثيابه لينقذه ٠٠ وهكذا نجا من الموت للمرة الثانية٠

وفى السابعة من عمره دخل مدرسة المقاصد ولكنه ــ كمـا يقول بنفسه ــ كان لعوبا قليل الجد فى دروسه ، بل انه كره الدراســـة والواجبات ، وما أن وصل الى الصف الرابع حتى أصبحت الدراسة شيئا لا يطيقه ، وأصبح راغبا فى العمل بالتجارة أو الصناعة ، وكان يجد لذة كبرى فى الاجازات المدرسية لانه كان يصحب والده أو أقاربه فى بعض أعمالهم ٠

ولكن فى آخر هذه السنة بالذات تكونت فى المدرسة فرقة مارست النشاط الكشفى والرياضى فانضم اليها وشعر بلذة عارمة ، وانقلب بغضه للدراسة والمدرسة الى حب كبير ، وتحول اهماله فى الدراسة الى نشاط عظيم ٠٠ ولكن الامتحان كان قد اقترب قبل أن يستذكر دروسه فرسب ٠٠

وأصر الوالد على حرمانه من مواصلة التعليم ، فالوالد يراه لعوبا ، ودخل الأسرة بسيط ومتواضع ، فما بالك اذا كان لحسن خالد شقيقان وثلاث شقيقات ، والوالدان أميان لا يعرفان القراءة أو الكتابة ، ولكن حسن كان قد أحب التعليم ، فألح على والده راجيا أن يسمح له بمواصلة الدراسة ولو سنة أخرى من باب التجربة ، وتدخل بعض الاصدقاء فوافق الوالد ، وفعلا نجح خالد فى تعويض السنة التى رسبها بل وحصل على الشهادة الابتدائية قبل الموعد المحدد لها بسنة ٠

ولكى يخفف العبء عن والده كان يعمـل فى الاجازات ليوفر لنفسه بعض نفقات الكسوة والكتب ٠

وكاد مصيره يتحدد مرة أخرى ، فقد عجز والده عن مواصــلة سداد اقساط الدراسة ٠٠ ولكن الصدفة لعبت دورها ، فقد افتتح مفتى لبنان الاسبق الشيخ توفيق خالد الكلية الشرعية فى بيروت فبادر حسن خالد الى الانتساب اليها ٠

وطوال السنوات الخمس التى قضاها فى هذه الكلية كان بادى النشـاط بارزا بين أقرانه ، ولهـــذا حصل دائمـا على جوائز الشرف ••

وفى عام ١٩٤١ تخرج فى الكلية ، ولكن الظروف كانت قاسية جدا ، كانت الحرب العظمى فى أحلك مراحلها ، وكانت أسرته تعانى ضيقا قاسيا ، وعجز المفتى الاسبق عن تدبير أعمال أو رواتب له ولرفقائه من خريجى الكلية ، فاضطر الكثيرون منهم أن يتركوا هذا الطريق وأن يتخلوا عن زيهم الدينى • وجاء الى حسن خالد بعضهم يعرضون عليه ترك هذا الزى والانتساب الى معاهد مدنية لدراسة مدنية كالرياضيات أو الآداب عسى أن يصبح طبيبا أو مهندسا فرفض• ورفض باصرار • وقال لهم :

ـ ما انتسب الى هذا الزى لأتركه • وانى لأشعر الآن بأنى أحوج ما اكون اليه • انى أومن بأن من يهب نفسه للدعوة وللدين لا يجوز أن يضيق ذرعا لمجرد بعض العنت يصادف حياته •

شعر حسن خالد بقوة فى أعماقه تجعله يتشبث بالدين وبالزى الدينى رغم فقره •• رغم تعطله ••

وفعلا بعد عام واحد جاءه الفرج ، فقد اختاره مفتى لبنان وقتئذ للسفر الى مصر فى بعثة يدرس فيها ويتخصص فى كلية أصول الدين •

كان يتصور انه بتفوقه فى الكلية الشرعية فى بيروت قد اصبح على درجة من العلم تجعله يهضم بسهولة ما سيدرسه فى كلية أصول الدين ، ولكنه وجد الوانا جديدة من الدراسات الجادة والمواد الصعبة ، وخاف الفشل فبكى أكثر من مرة ، وتذكر كيف رسب من قبـل فى المرحلة الابتدائيـة فكاد يضعف وييأس ، ولكن والدته ـ وهى سيدة متدينة ـ أخبرته انها رأت فى منامها طيفا أخبرها أن ابنها سيكون مفتيا ان شاء الله •

واشاع حديث امه فى نفسه موجة من التفاؤل والحماس فاندفع يذاكر مستعينا باخوانه ، كانت أمه ـ وما زالت ـ تعلمـــه الصبر والجد فى مواجهة متاعب الحياة ، وكان والده ـ وقد توفى فى عام ١٩٥٣ ـ يعلمه العفة والحرص على الكرامة والزهد فيما عند الناس والتفانى فى حب الناس وخدمتهم حتى يكون محبوبا منهم •

وعقب عودته من القاهرة الى بيروت وقع عليه الاختيار ليكون مقرر مجلس العلماء الذى أسس فى بيروت عام ١٩٤٩ ، وتردد بين

الناس أن المفتى سيعينه قاضيا فى عكار ، وظل ينتظر القرار السعيد منذ عام ١٩٤٧ حتى عام ١٩٥٧ توفى خلالها المفتى الاسبق ، ولكنه لم ييأس أو يتبرم ، واكتفى بوظيفة مدرس فى الكلية الشرعية ، ثم صدر قرار بتعيينه قاضيا شرعيا فى عام ١٩٥٧ ، وكان ـ ومازال ـ يردد قوله تعالى :

« قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا » ٠

كان له رفقاء فى الدراسة كثيرو الاهمال وشديدو الفشل ، ومع ذلك أصبحوا اليوم من المرموقين فى المجتمع اللبنانى والعربى ما بين طبيب ماهر وقاض ممتاز وسياسى بارع ، وكان له رفقاء أذكياء ومجتهدون ، ومع ذلك أصبحوا فى حياة يائسة وعيش ضيق وفكر مظلم ٠

وهذا يزيد من ايمانه بالصبر على المكاره ، فالمكتوب له سيصيبه مهما حدث ٠

وفى عام ١٩٦٠ نقل الى محافظة جبل لبنان ، وظل يعمل قاضيا شرعيا حتى تسلم منصب الافتاء ٠

ومن مؤلفاته كتيبات نشرتها جماعة عباد الرحمن منها «مسئولية الفرد فى الاسلام» و «نظرة الاسلام الى المرأة» و «روح البطولة فى الاسلام » ٠

وله كتاب اسمه « التكافل المادى فى المجتمع » ٠

كما اشترك مع الدكتور عدنان نجا فى وضع كتابين ضخمين هما :

« أحكام الاحوال الشخصية فى الشريعة الاسلامية » و «المواريث فى الشريعة الاسلامية » ٠

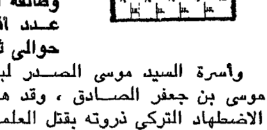
ولسماحة الشيخ حسن خالد رأى فى ظروفنا الحاضرة يلخصه بقوله :

ـ نحن فى هذا العصر مرضى نفوس لا يستعصى على مهرة الاطباء شفاؤنا منه اذا خلصت النوايا وصدقت العزائم ، فنحن ندرك أننا مرضى ، وهذه أولى خطوات البرء ٠

ـ ان الاسلام فى الأمة الاسلامية بمثابة ماء الحياة فى الشجرة ، فقد تظهر لك فى الخريف أو على أثر بعض العوادى الخارجية يابسة لا نمو فيها ولا حياة فتكاد تيأس منها ، ولكنك لا تلبث أن تجدها بعد لأى قد اكتست بمظاهر الحياة ونفضت عنها غبار الموت وخلعت ثوب الجمود واستأنفت طريقها فى النمو والاكتمال ٠







انه ولد وتعلم فى ايران الا انه اصلا من لبنان •

اسمه : السيد موسى الصدر

مركزه : رئيس المجلس الاســـلامى الشيعى الأعلى فى لبنان •

وطائفة المسلمين الشيعة فى لبنـان يبلغ عـدد أفرادها حوالى ٦٤٥ ألفا ، أى حوالى ثلث سكان لبنان الشقيق •

وأسرة السيد موسى الصــدر لبنانية الاصل تنتسب الى الامام موسى بن جعفر الصــادق ، وقد هاجر جده من لبنــان حينما بلغ الاضطهاد التركى ذروته بقتل العلماء وحرق الكتب الدينية ، هاجر الى العراق ثم الى لبنان ، وفى كلا البلدين أسس عائلة كبيرة ظلت تنمو تدريجياحتى برز منهاعلماء فىالدين وقادة فىالسياسة منهم

محمد الصدر احد رؤساء الوزارة العراقية السابقين ، ومنهم ايضا محمد مهدى الصدر احد قادة الثورة العراقية ضد بريطانيا التى ادت الى الاستقلال ٠

ووالده كان من كبار رجال الدين فى ايران والعراق ، وقد شارك بنصيب كبير فى تأسيس الجامعة العلمية الدينية الكبرى فى مدينة « قم » بايران ٠

وقد امضى الوالد فترة شبابه فى العراق وعرف بين الناس بأنه عالم دينى متطور وأديب متفتح ، وقد شارك فى تأسيس كثير من الهيئات الثقافية وشارك بقلمه فى مناقشات ومعارك صحفية عديدة ، وكان ينظم الشعر ، وألف كتبا تجاوز عددها العشرين من بينها كتاب « لواء الحمد فى ماروواه الفريقان عن النبى» وهذا الكتاب تضمن محاولة لجمع ما يتفق عليه المسلمون من أحاديث فى مختلف المجالات عن النبى الكريم ، وكان الوالد يهدف من وراء هـــذه المحاولة الى تأسيس مصدر ثان متفق عليه بين جميع المسلمين بعد القرآن الكريم ٠

وقد نصحه والده باختيار طريق الدعوة والتزام الزى الدينى ، وكانت هذه النصيحة فى مرحلة صعبة وظروف قاسية مر بها علماء الدين فى ايران ، وكان ذلك فى أيام الشاه السابق حينما بلغ وضع رجال الدين درجة هددتهم بالانقراض ، وكان مابقى فى جامعة « قم » الدينية الكبرى لا يزيد عن مائة وخمسين طالبا بعد أن كان عددهم يعد بالآلاف ٠٠

وكان والده يقول ان هذه الظروف بالذات توجب على المسلم المخلص المتعلم أن يقوم بأعباء الدعوة ٠

وكان السيد موسى الصدر من هواة كرة القدم ولاعبيها ٠٠

وكان السيد موسى الصدر قد تخرج من كلية الحقوق ٠٠

وكان قد رشح لمركز مرموق فى القضاء ٠٠

ولكن افكار والده ، وتفتحه على العلوم الحديثة ، ودراسته للكثير من شئون الدين الاسلامى ، كل هذا جعله يستجيب لنصيحة والده ويهجر العمل فى ميدان القضاء والقانون ليصبح رجل دين وأن يهب حياته كلها للدعوة الى الله ٠

آمن ايمانا عميقا بأن :

● الدين للحياة ، أما الآخرة فهى نتيجة تفاعل الانســان مع الحياة ••

وعلى ذلك فالدين للشاب قبل الكهل ، وللصحيح قبل المريض ، وللمجتمع والفرد قبل الموت والانعزال •

● لا يوجد فى الاسلام « رجل دين » وانما يوجد « خبير بشئون الدين » أو « عالم دينى » فالاسلام لا يفرق بين الدين والدنيا ، وفى وصف الامام على بن أبى طالب تحديد لهذه العلاقة فهو يقول : ليس الزهد ألا تملك شيئا بل الزهد الا يملكك شىء » •

● الدين أفضل مسلك لادارة شئون البيت والسوق والعلاقات بين الناس وعلى ذلك فقد رفض رفضا باتا اعتبار الدين زادا للآخرة فحسب •

وقد تعلم السيد موسى الصدر من والده أن يكون قريبــا الى الناس لا يجعل بينه وبينهم سدا أو حجابا ، لا فى المكان ولا بفرض الهيبة عليهم ، بل يحاول أن يفتح قلبه لهم فيحدثونه بجميع ما فى قلوبهم وعقولهم من حب أو كره أو ايمان أو شك أو سؤال أو انكار وغير ذلك •• كل ذلك بشرط ألا يخوض فيما ليس من اختصاصه ان سياسة أو تجارة أو غير ذلك •

استجاب اذن السيد موسى الصدر لنصيحة والده ، واختار طريق الدعوة كما فعل كل أجداده فى لبنان ثم فى العراق ثم فى ايران ، وانتقل الى النجف فى العراق ليكمل دراسته الدينية ، ثم عاد الى « قم » فى ايران حيث أمضى عاما أسس خلاله مع بعض زملائه مجلة باسم المدرسة الاسلامية ، وهى الآن أكبر المجلات الدينية انتشارا فى ايران •

ثم انتقل الى لبنــان فى عام ١٩٦٠ حيث تســلم مركز الامام عبد المحسن شرف الدين الذى كانت تربطه به صلة النسب ، فقــد كان ابن عم وابن خال والده ، وكان يقيم بمدينة صور فى جنوبى لبنان ويعتبر من أشهر علماء الشيعة ، وكانت له مؤلفات طيبــة ومشاركات فى حروب التحرير والثورات اللبنانية السورية ، وكانت له علاقات واسعة مع الازهر وله مؤلفات باسم « المراجعات » وهى مجموعة رسائل متبادلة بينه وبين أحد مشايخ الازهر السابقين •

وكان السيد عبد المحسن شرف الدين يتابع السيد موسى الصدر أثناء دراسته فى ايران وفى العراق ، وكان قد توسم فيه الصلاح

والعلم والتقوى فأوصى أهله والمؤمنين الملتفين حوله بأن أنسب من يشغل منصب « كبير علماء الشيعة فى لبنان » بعد وفاته هو هـذا الشاب الايرانى المولد اللبنانى الاصل ·

لم يكن فى لبنان حتى العام الماضى تنظيم عام للطائفة الشيعية ، ومنصب كبير العلماء كان تكليفا وليس وظيفة ·

وهكذا قدم السيد موسى الصدر الى وطن أجداده ، وبدأ حياته الجديدة فى مدينة «صور» جنوبى لبنان ، وبدأ عمله فى هدوء ودأب دائمين واضعا نصب عينيه شعاره :

«الدين للحياة ، أما الآخرة فهى نتيجة تفاعل الانسان مع الحياة» ·

وقد تمكن فى خلال فترة وجيزة من القيام بأعمال عديدة دينية واجتماعية لفتت اليه الانظار منها :

● كان التسول منتشرا فى صور وفى مناطق أخرى من جنوبى لبنان ، وقد نجح فى القضاء عليه عن طريق اقامة صندوق تعاونى يؤمن للمتسولين حاجاتهم ويقدم خدمة لأولادهم ويربيهم ويثقفهم ، وفى نفس الوقت طلب من الناس عدم اعطاء المتسولين الصـدقة وأفتى بتحريم الصدقة الفردية ·

وفى خـلال أسبوعين من بداية المشروع واعـلانه عن دعوته الاجتماعية الدينية اختفى المتسولون من شوارع صور ·

● ثم قام بتأسيس مؤسسة اجتماعية لعلاج مشكلة الفقر التى كانت ناتجة بالذات عن الاسباب الثلاثة التالية :

اليتم ، والعجز الجسدى ، وقلة الخبرة الفنية ·

وتقوم هذه المؤسسة حاليا بدورها الايجابى بالنسبة لعدد كبير من سكان جنوبى لبنان ··

هذا السلوك والنوعية بالاضافة الى المحاضرات الدينية مكنته من استقطاب الرأى العام حتى غير المسلم فى لبنان ، ولذلك توسع نشاطه الى مختلف المناطق اللبنانية ، وقام بجولات عديدة فى لبنان اطلع على مشاكل المناطق الشعبية وتخلفها الاجتماعى وحاجتهـا الملحة الى رفع مستواها التربوى والدينى والثقافى ·

فهو يرى ويؤمن ويعمل ويدعو الى :

● ضرورة مساهمة رجال الدين فى حل المشاكل الاجتماعيـة والوطنية ··

● ضرورة خروج رجل الدين الى الناس ·· ضرورة دراسته للمشاكل على الطبيعة ، أما الاكتفاء بخطبة الجمعة أو الوعظ فى المساجد فهو لا يكفى ··

وقد لاحظ السيد موسى الصدر بعد دراساته وجولاته أن طائفة المسلمين الشيعة يتفردون بعدم وجود تنظيم عام لهم مع أن لبنان فيها ست عشرة طائفه لكل منها مجلس أعلى يقوم بالواجبات الدينية ويسهم فى الحقل الاجتماعى والثقافى بخدمات لا تقل عن خدمات الحكومة ، واقتنع بضرورة عمل تنظيم لابناء هذا المذهب ، ولكى يتجنب جميع الملابسات حاول مع بعض كبار رجالات الشيعة تأسيس أول مجلس اسلامى شيعى فى عام ١٩٦٩ يرعى ابناء المذهب ويساعد فى رفع مستوياتهم ··

واذا كانت دعوته لعمل تنظيم موحد يدعو للمسلمين لم تجد الاستجابة الكافية ، الا انها اكسبته شعبية واسعة ، وزادت شعبيته بعد أن حرص على أن يلتقى بزملائه من رجال الدين من طائفة السنة وبالرهبان فى الاديرة ويوثق صلته بكل رجال الدين الاسلامى والمسيحى على السواء ··

وقد صدرت له مؤلفات عديدة بعضها عبارة عن مقدمات كتبها لكتب مختلفة ، وهى مقدمات مطولة تشكل فى حد ذاتها كتيبات منها مقدمة طويلة على كتاب « تاريخ الفلسفة الاسلامية » للبروفيسير هنرى كوربا وهو فرنسى ، ومقدمة لكتاب « القرآن الكريم والعلوم الطبيعية » للمهندس يوسف مروة ، ومقدمة طويلة لكتاب « فاطمة الزهراء » لسليمان الكتانى العالم الجزائرى المعروف ، كما قدم للمسلمين دراسات فى كتيبات صغيرة الحجم منها « الاسلام والثقافة فى القرن العشرين» و « الاسلام والمرأة » و « الاسلام والتربية المدنية » و « الاسلام والتطور » و « الاسلام والعبادات » و « تأملات حول بعث تعاليم اسلامية » ·

وله الآن تحت الطبع كتاب « المعاملات الجديدة فى ضوء الفقه الاسلامى » ·

والسيد موسى الصدر يرى أن موجة الحضارة المادية الغربية أضعفت التجاوب الدينى ، وان ضعف امكانيات رجال الدين أضعف من قدرتهم على خدمة الدعوة الاسلامية والمساهمة الايجابية فى مواجهة الصهيونية ، ولكنه يرى أن الذنب كله ليس على رجال الدين ، فالانحدار فى الاجتماع ينعكس على جميع الطبقات ، واذا

طرحنا موقف رجال الدين جانبا وجدنا الأم مثلا أصبحت فى هـذا العصر لا تضحى بجمالها أو بجمال جسدها من أجل طفلها ، فهى تستعين بالخادمة أو المربية ان أمكنها لتربيته ، وتقـدم له اللبن الجاف وتحرمه من ثديها ·· فمن كان يتصور أن الحضارة المادية ستبهر القلوب والنفوس وتجعل الكثيرين يعيشون لا كبشر وانما كالات وهياكل ؟

هذه بعض اراء رئيس المجلس الاسـلامى الشيعى الاعلى فى لبنان ··

ولكن لماذا لمع اسم هذا الزعيم الدينى الشاب وفرض اسمه على الاحداث خلال العامين الاخيرين ؟

لقد تبين للسيد موسى الصدر أن لجنوب لبنان أهمية خاصة جعلته مطمعا دائما للعدو الاسرائيلى ، ولهذا تكررت اعتداءاته على جنوب لبنان . فالجنوب منطقة استراتيجية هامة تؤرق اسرائيل ، وفيه توجد المياه التى تطمع فيها اسرائيل وتبلغ كميتها فى العام حوالى ٨٠٠ مليون مليار متر مكعب وهو منطقة خصبة جعلته دائما مطمعا لاسرائيل ··

وتبين للسيد موسى الصدر أن اسرائيل تهدف بهجماتها المستمرة على جنوب لبنان الى ارغام الناس على الهجرة والهرب ·· والناس أغلبهم هناك من طائفة الشيعة ·

ولهذا رأى السيد موسى الصدر أن واجبه نحو لبنان ونحو الطائفة التى يتزعمها أن يقف معها وقفة ايجابية ، ولهذا عمل خلال العامين الاخيرين ومنذ عـدوان ٥ يونيو بالاشتراك مع زملائه فى المجلس الشيعى على منع نزوح سكان جنوب لبنان واثارة الطمأنينة بينهم وتوفير وسائل الدفاع لهم واقامة الملاجىء وتزويدهم بالاسلحـة الخفيفة وتدريبهم وتوضيح أخطار النزوح أمامهم ··

ثم وجه نداء الى جميـع اللبنانيين لكى يجنـدوا كافة طاقاتهم وعلاقاتهم بالعالم فى سبيل انقاذ جنوب لبنان ، وطالب رؤسـاء الطوائف والشخصيات السياسية المرموقة وجميع الجاليات اللبنانية فى العالم لحشد الطاقات لتدخل المعركة قبل تزايد الكارثة ·

هذه الدعوة ·· وهذا الجهد جعل اسمه يقفز ويلمع ويفرض نفسه على الاحداث وأصبح بالتالى واحدا من أقوى الشخصيات المؤثرة فى مجرى الاحداث اللبنانية ·







الطويل الذى بداه فى مركب شراعى ثم فى قطار بطىء حمله الى الزقازيق منذ حوالى ستين عاما ، أصبح يواصله اليوم بالطائرات النفاثة الى المكسيك والمانيا والهند وغيرها من دول العالم التى يعقد بها مؤتمرات طب العيون ٠٠ الرحلة البطيئة فى المركب الشراعى كانت كئيبة وقاسية ٠٠

كان فى السادسة من عمره ، وكان والده الموظف البسيط قد اعتزم أن يتيح له فرصة الدراسة والتعليم مهما كان الثمن ، ولم يكن الثمن غاليا بسبب المصروفات فقط ، ولكنه كان غاليا لان الأب قرر أن يودع ابنه أمانة لدى مهندس صديق له يقيم فى الزقازيق٠

كان الوالد يخفى عاصـــفة من الحزن والقلق وراء ابتسامة مفتعلة ، ومع الضربات الخفيفة لموج النيل كان المركب الشراعى يشق طريقه فى هدوء يكاد يفضح انفعال الأب وزفرات الابن الذى كان يفارق أسرته لاول مرة • وأتاح صفير القطار وضجيجه الفرصة لكل منهما كى يطلق الزفير المكتوم فى صـــدره حتى وصـــلا الى الزقازيق ••

وكان من الممكن أن تدمر هـــذه الغربة المبـــكرة نفسية وعزيمة عبد المحسن سليمان ، فقد تنقل بين الزقازيق وبنها والاسكندرية تبعا لتنقل أصدقاء والده الذين كان يثق فيهم ويضعه تحت رعايتهم واشرافهم ، ولكن هـــذه الغـــربة ، والحمد لله ، التى بدأت فى السادسة من عمره كان لها أثر كبير في حياته فيما بعد ، فقد تعود الاعتماد على النفس ، وحل مشاكله بنفسه دون الاستعانة بأحد ،

وعندما نشبت ثورة سنة ١٩١٩ كان يدرس فى مدرسة رأس التين الثانوية • انتظر مصروفاته فى أول الشهر كالمعتاد من والده ولكنها لم تصل • وانتظر أياما كانت كلها قلقا وأرقا ، وانتابته الهواجس والافكار القاتمة ، وزاد الامر قسوة عندما عجز عن اقتراض مايكفى لشراء الخبز ، وعندئذ قرر السفر الى قريته ليطمئن على أسرته

وكان الوطنيون الثوار قد نسفوا بعض الخطوط الحديدية ، وحتى لو كانت القطارات تسير فهو لم يكن يملك ثمن تذكرة السفر، ولهذا قرر أن يلجأ الى الوسيلة التى بدأ بهـــا مشوار عمره •• ركب مركبا شراعيا صغيرا كان صاحبه من معارف والده ، وسار المركب فى البداية بهدوء ينوء بحمله الكبير ، وفجأة وبلا مقدمات هاج الموج فى النيل واشتدت العواصف وانقلب المركب على جانبه الايمن ، فقفز عبد المحسن الى الجانب الآخر بسرعة وتعلق به•• وكتبت له شهادة ميلاد جديدة ••

ورغم احداث هذه الرحلة ، ورغم احداث ثورة سنة ١٩١٩ فقد نجح بتفوق فى امتحان البكالوريا ••

وكانت امنيته الاولى ان يكون ضابطا ، ولكنه رغم قوته البدنية وممارسته الرياضة دائما لم تتحقق له أمنيته نظرا لقصر قامته •

وكانت أمنيته الثانية أن يصـــبح طبيبا فالتحق بكلية الطب فى جامعة القاهرة ، وتخرج منها فى يناير عام ١٩٢٦ ، وكما كان الاول فى جميع سنوات الدراسة ، كان الاول فى السنة النهائية ،

وفى حفل التخرج الذى اقامته الجامعة فى الكلية حصل على نيشان الامتياز الذهبى وميداليات التفوق فى جميع العلوم ، فقد كانت درجاته تتراوح بين ٨٠ ، ٩٠٪ من النهاية العظمى لكل العلوم ، ومن الطريف أنه اضطر لاحضار حقيبةحمل فيها الميدالياتوالكئوس التى منحتها له الجامعة •

عقب التخرج عمل مساعدا اكلينيكيا وطبيبامتياز بقصرالعينى•

ثم سافر الى لندن فى عام ١٩٢٧ ، وهناك حصل على دبلوم أمراض المناطق الحارة وعلم الصحة •

ثم التحق بكلية طب العيون بجامعة لندن فحصل على دبلوم الرمد بتفوق ، وفى أثناء الدراسة حصل أيضا على ليسانس كلية الاطباء الملكية وعضوية كلية الجراحين الملكية ، ثم سافر الى فيينا بالنمسا وحصل على دبلوم فى باتولوجيا وبيكروبيولوجيا العين ، وعاد الى مصر فى عام ١٩٢٩ ليعمل محاضرا بقسم الرمد بكلية الطب •

ومرة أخرى عاد الى انجلترا فى عام ١٩٣١ ، وفى مانشستر حصل على دبلوم من جامعتها ، ثم سافر الى أدنبره حيث حصل على درجة زميل كليــة الجراحين الملكيــة فى جراحة العيون فى ديسمبر سنة ١٩٣٣ •• وكان أول مصرى يحصل على هذه الدرجة•

أصبح الرمد عنده دراسة وهواية ، وهو يرجع هذه الهواية الى ميله للرسم والخط العربى والفارسى والكوفى ، وهى فنون تتفق فى دقتها مع جراحة العين •

وفى عام ١٩٥٢ عين عميدا لكلية الطب فى جامعة عين شمس •

ومن سنة ١٩٥٥ الى سنة ١٩٥٧ انتخب نقيبا للأطباء ورئيسا لاتحاد نقابات المهن الطبية وعضوا بالمجلس الاعلى لرعاية الشباب وعضوا بالمجلس الاعلى للجامعات •

الى هنا وقد تبدو حياته عادية •• طالب من أسرة بسيطة اجتهد فنجح ، ولكن بين هذه السطور ، وبعد هذه السطور كانت هنـاك مواقف غير عادية بل ومثيرة •• ومواقف متشابكة ولكنها ساهمت فى بنـاء شخصية نادرة على المستوى الاكاديمى وعلى المستوى الانسانى ••

عندما تخرج فى عام ١٩٢٥ وعين طبيب امتياز كان أجره خمسة عشر جنيها ••

وفى عام ١٩٣٧ طلب من الكلية أن يعمل نصف الوقت فقط على أن يسمح له بفتح عيادة خارجية ، وسمحوا له ولكنهم خفضوا مرتبه الى اثنى عشر جنيها • أى أن ما كان يتقاضاه من وظيفة التدريس فى كلية الطب بعد اثنى عشر عاما وبعد حصوله على عدد ضخم من الشهادات والدبلومات كان اقل من المرتب الذى تقاضاه فى البداية بثلاثة جنيهات •

وكان قد شارك الدكتور حسن شكرى باشا فى عيادته •• اخذ حجرة متواضعة لا تليق بكلمة « عيادة » ثم جلس ينتظر المرضى ، ومرت الايام فى ملل وقلق ، ثم جاءه الفرج عندما استدعاه مريض يقطن فى الدور السابع ، وصعد السلم وهو يلهث ثم اجرى له عملية عاجلة تمت بنجاح كبير ، ودفع له المريض عشرة جنيهات كاملة ، وكان المبلغ كبيرا بالنسبة لمستوى المعيشة فى تلك الايام ، ولكن الله كان كبيرا وهو يمد يده ليتقاضى مرتبه من الكلية بعد أيام •• وكان المبلغ المتواضع الذى يقل عن مرتبه الذى بدأ به •

وطوى الله بين ضلوعه ، وقرر العمل ليلا ونهارا ، وبعد عام واحد اشترى أول فدان أرض بمبلغ خمسين جنيها ، وكانت الارض فى حاجة الى اصلاح فخصص لها جزءا من وقته •• ونجح فى اصلاحها •• ثم تزوج ونجح فى زواجه •• فقد كان زواجا سعيدا •

ولكن هذا النجاح كان على حساب راحته ، فالواقع أن أيامه كانت كلها عرقا وجهدا ، كان يعمل ما لايقل عن ١٤ساعة فى اليوم، وكانت زوجته التى فهمته وقدرت مهنته لا تنزعج ، بل كانت تتفانى فى توفير سبل الراحة له فى المنزل ، ولم تكن تفكر الا فيما تفكر فيه معظم أو كل الزوجات ، كانت تفكر وتحلم بأن تنجب ولدا يملأ حياتها وبيتها ••

ولم يكن الدكتور عبد المحسن سليمان اقل منها شوقا الى الولد ، وكان سرورهما لايقدر عندما انجبت له بنتا ، ولكن الفرحة لم تستمر أكثر من ساعات ، فقد كان الحمل غير طبيعى •• وماتت الطفلة •

وكتم الامه بين ضلوعه ، وقرر أن ينصرف الى عمله ••

كان قد شغل كرسى الرمد بجامعة القاهرة ، ولكنه طلب نقله فى عام ١٩٤٩ الى جامعة عين شمس رغبة منه فى المساهمة فى انشاء كلية طب عين شمس ، وكان أساتذة جامعة القاهرة لايرحبون بالعمل فى الجامعة الجديدة

ولكن الدكتور عبد المحسن سليمان ـ وبعد أن أصبح عميـدا لكلية طب عين شمس ـ أقدم على خطوات فريدة ومثيرة :

● نادى بضرورة العناية بالطب الاجتماعى ٠٠ أى بدراسـة طب البيئة ٠٠ وقام بالاشتراك مع أساتذة الكلية ومائة وخمسين طالبا وطالبة بعمل دراسة ميدانية فى كل حى عرب المحمدى المجاور للكلية وقرية برنشت بالجيزة ، نقل المعامل والمرضات والاخصائيين الاجتماعيين ثم اشتركوا معا فى فحص ١٥٠ الف نسمة فحصـا شاملا ، قاموا بتحليل الافرازات والدم والاشعة الجماعية للصدر ، ودراسة الحالة الاجتماعية لكل أسرة ، وسجلوا كل ذلك فى بطاقات خاصة بكل فرد ٠

● قام مع الكلية بانشاء وحـدة متنقلة للأطفـال تزورهم فى بيوتهم ، ثم نجح فى اقناع المختصين بأن يشارك طلبة الكيلة فى ادارة وخدمة مكتب صحة حى العباسية ٠

● أمر بفتح مكتبة الكلية للطلبة حتى العاشرة والنصف مساء٠

● وقام بزيارة جميع بلدان أوربا وأمريكا وغيرها لمتابعة تطور طب العيون هناك ، ومثل مصر فى معظم المؤتمرات العلمية والطبية وما زال يمثلها ٠

وأصبحت الكلية هى داره وطلبتها هم أبناءه ٠

وزادت شهرته ٠ وزادت ثروته ٠

وايراداته تتزايد يوما بعد يوم حتى زاد الفدان الذى اشتراه فى عام١٩٣٧ الى عزبة مساحتها ثلاثمائة فدان بخلاف الاسهم والعيادة والمستشفى والمكتبة الضخمة ٠

ولكن هل هذه الثروة تسعده ؟ وما قيمة المال عنده ؟

مال أتى اليه بالعرق والكفاح ، ولكن أسعد لحظة فى حيـاته هى أن يرد البصر لأعمى أو ينقذ انسانا من العمى ٠

وكان يتمنى أن يرى القاهرة مركزا طبيا فى الشرق العربى ٠

وهكذا عقـد العزم على أن يفعل المستحيل لانشـاء معهد عال للدراسات الرمدية ٠

ولكى يرى المشروع النور فى حياته وحتى لا يتعثر تنفيذه بسبب المال قدم كل ثروته ـ وقدرت بمبلغ أربعين ألف جنيه ـ هدية لوطنه ومواطنيه ، وأعلن لمن حاولوا أن يقنعوه بالاحتفاظ ولو بجزء من

ثروته لنفسه ولزوجته أن ثروته لا تعد بالفدادين ولا تقدر بالاف الجنيهات وانما تقدر بالوف القلوب التى اسعدها والاف العيون التى أعاد اليها النور ٠

وقبل أن يتبرع بالارض كان قد تبرع باسهم له فى الجمعية انشاء مدرسة زراعية اعدادية فى قرية وردان مركز امبابة على طلبة كليات الطب المتفوقين فى جامعات دمشق والقاهرة وعين شمس والاسكندرية واسيوط ٠

وفى نفس الوقت تبرع بمبلغ خمسة عشر الف جنيه هى تكاليف انشاء مدرسة زراعية اعداديةفى قرية وردان مركز امبابة بالجيزة ، وكذلك دفع تكاليف اقامة الصناعات الريفية بالقرية ٠

كل هذا وغيره على المستوى الانسانى ٠٠ انه لم يرث هذه الارض وهذه الثروة ، ولكنه كسبها بعرقه وجهده ثم ردها ببساطة وبايمان وهو على قيد الحياة الى الشعب ٠

وعلى المستوى الاكاديمى واصل اعداد الابحاث والاشتراك فى المؤتمرات العلمية ، وقد أثارت أبحاثه اهتمام واحترام أئمة طب العيون فى العالم ، وقد وضح هذا الاعجاب والاهتمام فى الصور المشرفة التالية :

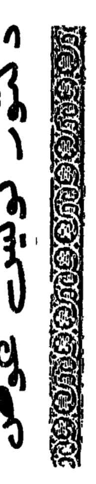
● فى عام ١٩٥٩ انتحبته الهيئة الصحية العالمية والمنظمة الدولية للجمعيات الطبية نائبا لرئيس المؤتمر الطبى الدولى الذى عقد فى شيكاغو ٠

● وفى عام ١٩٦٦ اختاره مجلس مؤتمر الرمد الدولى فى ميونيخ ليكون متحدثا باسم القارة الافريقية

● ومع أن مؤتمر طب العيون وجراحتها الدولى المقرر عقده هذا الربيع فى المكسيك سيحضره ٢٠٠ طبيب وطبيبة من كل قارات الدنيا ، فان ادارة المؤتمر قررت أن يتحدث طبيب واحد فقط عن كل قارة ٠٠ يتحدث باسمها عن مشاكل أمراض العيون بها ، وقد أعلنت ادارة المؤتمر ـ أثناء مثول هذا الكتاب للطبع ـ أنها اختارت الدكتور عبد المحسن سليمان ليتحدث باسم أفريقيا ٠

لقد أحيل الى المعاش منذ سنوات ، ولكنه ما زال يتابع المشوار الطويل الرائع الذى بدأه فى مركب شراعى منذ حوالى ستين عاما ، يتابعه اليوم بالطائرات النفاثة الى كل قارات الدنيا ، ولكن قلبه دائما فى القاهرة ٠٠ جهده دائما وعلمه وعرقه لمرضى العيون من أبناء العالم العربى ٠٠







انه ولد فى قرية شارونه بمحافظة المنيا ولكنه أمضى طفولته المبكرة فى السودان وبالذات فى الخرطوم ، فقد كان والده يعمل موظفا بالحكومة السودانية ، بمدينة ملكال •

ولم يكن فى السودان تعليم بالمعنى المفهوم ، ولهذا لم يكن عندما بلغ الخامسة من عمره قد تعلم حرفا أو حفظ درسا أو امسك كتابا ، وفى عام ١٩٢٠ عاد مع والدته وأخوته الى مدينة المنيا ، وعلى الفور التحق بمدرسة القرير التى استمر يدرس بها لمدة عامين انتقل بعدهما الى مدرسة المنيا الابتدائية ، ثم مدرسة المنيا الثانوية •

الأخوة بلغ عددهم ستة : الصبيان أربعة والبنات اثنتان ٠

الأسرة كان يسودها الاستقرار ٠٠ لا قلق ولا اضطرابات ولا انفعالات ولا ضجيج ٠

والسبب الاول ، كما يتصور الدكتور لويس عوض ٠٠ بعد أن كبر ونضج - هو جو الاستقرار الذى يسود الاسرة القبطية الا نادرا ، نتيجة لتحريم الطلاق ٠

والسبب الثانى هو استقرار الأسرة ماليا ٠٠ الأب كان يتقاضى معاشا قدره عشرون جنيها من حكومة السودان ، وهذا المبلغ كان ثروة فى ذلك الحين ، كما كانت الأسرة تمتلك قطعة أرض بسيطة ، ولهذا فيمكن أن نقول أن الأسرة كانت «مستورة» فى غير بذخ ٠

الأم كانت نشيطة مدبرة حازمة ٠٠

والأب كان متلافا ٠ النقود لا قيمة لها عنده ٠ كان يشرب ويقامر أثناء خدمته بالسودان ككثير من الموظفين الذين يعملون فى المناطق النائية ٠

ورغم أنه كان موظفا نموذجيا الا انه سئم العمل فجأة فأحيل الى المعاش بناء على طلبه وهو فى الثانية والاربعين من عمره ٠ وقد برر استقالته فى السن المبكرة لأولاده برغبتــه فى الاشراف على تربيتهم ٠٠

ولكنه كان انسانا ذكيا ومتفتحا فى نواح أخرى ٠

كان يمتلك مكتبة ضخمة عامرة بكتب أعظم المؤلفين والمفكرين ٠

كان متحررا دينيا ٠ كثير القراءة ٠ وكان كالسيف فى طباعه ، الكلام عنده ليس له معنيان : نعم أو لا ، وربما ، وأظن ، ويجوز ليس لها عنده وزن أو أهمية ، لا يستعملها فى كلامه ، ولا يطمئن الى كلام محدثه اذا استخدمها ٠

والأسرة كانت وفدية ، ويوم توفى سعد زغلول عاش البيت كله كبارا وصغارا فى مناحة ٠

وعندما دخل لويس المدرسة الابتدائية وهو فى السابعة من عمره كانت ثورة ســـنة ١٩١٩ مستمرة ، وكانت الاضرابات تجتـــاح المدارس ، واشترك لويس فى المظاهرات رغم صغر سنه ، وانتهت الثورة ضد الاستعمار البريطانى لتبدأ مرحلة جديدة من الصراع

بين الوفد صاحب الاغلبية الشعبية من ناحية ، وأحزاب الاقلية التى كان القصر الملكى يساندها ويحميها من ناحية أخرى ، وفى أواخر العشرينات كانتمقالاتالمرحوم الاستاذ عباس محمود العقاد فى جريدة البلاغ وقودا للشباب الثائر على دكتاتورية القصر الملكى وأحزاب الاقلية ، وكان البلاغ يصل الى المنيا فى قطار الساعة الحادية عشرة مساء ، وكان لويس عوض يسير من منزل الأسرة مسافة طويلة كل ليلة حتى محطة السكة الحديد غير مبال بالبرد أو الظلام ليحصل على نسخة من جريدة البلاغ ، وما أن يصل الى المنزل حتى يلتهم مقال العقاد ويكاد يحفظه عن ظهر قلب ٠

كان والده مستنيرا يترك له حرية الحركة والتصرف فى المجال السياسى والوطنى ، ولكنه كان يوجهه فى قراءاته ودروسه ويتابع ما يقرأه ويتناقش معه ثلاث ساعات يوميا تقريبا ٠

أما الوالده فلم تتخل عن حزمها ، وكانت تحرص على أن يعتاد - واخوته - على مقاييس معينة فى السلوك ، وفى ليلة لا ينساها كان قد سهر حتى الواحدة صباحا فى فرع جمعية الشبان المسلمين بالمنيا للاشتراك مع أصدقاء له فى احياء حفل تمثيل ، وعندما عاد الى المنزل رفضت والدته أن تفتح له الباب ، وبكل بساطة وحزم قالت له :

- روح نام فى الحتة اللى كنت فيها ٠٠

ولما حاول أن يوضح لها سبب تأخيره قالت له :

- البيوت ليست فنادق ، والولد اللى فى سنك لازم يكون فى البيت الساعة السادسة مساء ٠٠

ولم تفتح له الباب ، فاضطر الى طرق باب صديقه رئيس فرقة التمثيل بالجمعية ، الذى أواه على كنبة بغرفة الجلوس ٠

وحصل على البكالوريا فى عام ١٩٣١ وسافر الى القاهرة ليلتحق بالجامعة ٠ وكان هذا بداية لمرحلة من الصراع الحاد بينه وبين والده حول تخصصه العلمى ٠

وعندما وصل القاهرة قدم أوراقه الى كلية الآداب ، وفى نفس الوقت تقدم بطلب لاعفائه من المصروفات ، وتصور أن والده لن يعرف شيئا مادام بعيدا فى المنيا ، ولكن المسجل أرسل الاوراق بطريقة روتينية الى والده مرفقة برسالة من الكلية يطلب فيها دفع القسط الاول من المصروفات حتى يبت فى طلب المجانية ٠

وحضر الوالد الى القاهرة غاضبا مصرا على أن يلحقه بكلية الحقوق ·· الكلية التى كان يتخرج فيها الوزراء والزعماء ·· ولكن موعد قبول الطلبات فى الحقوق كان قد انتهى ٠

ولم يستسلم الأب فقد قدم الاوراق الى مدرسة التجارة العليا ٠

ومنذ اللحظة الاولى شعر لويس ببغض شديد لمحاضراتها ودروسها ، فكان يتخلف عن الحضور أو يقفز من النافذة

وفى اجازة نصف السنة سافر لويس الى المنيا ، وسأله والده عن مدى انتظامه فى الدراسة فاعترف له بكل شىء بصراحة وأكد له أنه يبغض هذه الدراسة ، وبكل بساطة سأله الوالد :

ـ هل تريد أن تبقى فى المنيا ؟

وبكل صراحة أجاب لويس :

ـ نعم ٠٠

وبقى لويس حتى بداية العام الدراسى التالى وهو يتصور أن والده سيستجيب لرغبته ويسمح له بدخول الآداب ، ولكن الأب أصر على تقديم الاوراق الى كلية الحقوق ٠

وفى هذه المرة لم يعد لويس الى المنيا ، بل هرب الى الاسكندرية حيث عاش فترة مع شقيق له كان يعمل هناك ٠

كان الأب يعتقد أن الأدب لايقيم أودا ، وبالضرورة سيلجأ ولده الى تأجير قلمه للأحزاب السياسية ، فيصبح شتاما هجاء أو مداحا بالأجر ·· وهذا مما تأباه حاسته الاخلاقية ، كان الأب يشرب الخمر ولكنه كان يتمسك بالاخلاقيات فى حدة وعناد ٠

والابن كان مفتونا بالعقاد، سعيدا بالمكتبة الضخمة التى يمتلكها والده ، وفيها قرأ بالانجليزية تأملات بسكال ومقالات مونتين ومعظم روايات فيكتور هيجو وتأملات ماركوس أوريليوس وكذلك فلاسفة الرومان واليونان ٠

ولهذا كان يقول لويس : الآداب ·· ولكن الأب يقول : الحقوق ٠

وهرب لويس الى الاسكندرية ٠ وبكت الام ، وعاد لويس ، ولكن الأب ظل متمسكا برأيه قائلا . الحقوق ٠

وبسبب هذا الخلاف ضاع أكثر من عامين وتأخرت مرحلة الدراسة العليا الى عام ١٩٢٢ ، ولكنهما لم يضيعا تماما ، فقد

توفر فيها لويس على دراسة برنارد شو وهـ• ج• ويلز وغيرهما من كبار الكتاب الانجليز •

كان قد قرر أن يشق طريقه وحده ، فترجم قصة لادجاربو ثم تقدم للعمل فى مجلة النهضة الفكرية وجريدة كوكب الشرق ، وحصل فعلا على عمل مقابل جنيهين شهريا ثم كتب فى مجلة أبوللو •

وتردد على جمعية الشبان المسيحية وقدمه قريب له الى المرحوم الاستاذ سلامة موسى الذى كان يشرف على حلقة دراسية ، ونصحه قريبه الاستاذ يعقوب فام بأن يتردد على مكتبة الجمعية ، ولكنه اعتذر بعجزه عن سداد الاشتراك ، فدفع له الاشتراك واعتبره دينا عليه يسدده بعد التخرج من الجامعة •

كانت هذه فترة خصبة فى حياته ساعده فيها اتقانه للغة الانجليزية فى عمر مبكر •

ومرة ثالثة دار الحوار بين الابن والأب حول الحقوق او الآداب •

وقال الابن : الآداب •
وأكد انه لن يحترف الأدب ، وانما سيعمل أستاذا فى الجامعة •
وفى هذه المرة قال الأب : الآداب •

واندفع لويس عوض يذاكر ليلا ونهارا ليعوض العامين الدراسيين اللذين فقدهما ، وفعلا كان ينجح بانتظام •• ويتفوق •• كان ترتيبه الاول دائما ••

وظل لويس عوض متحمسا للعقاد يتردد على صالونه بانتظام عام ١٩٢٥ ، بل انه قاد مظاهرة من زملائه الجامعيين لتاييد العقاد حتى دار روز اليوسف عندما كان العقاد يدافع عن عودة دستور ١٩٢٣ ثم عاد فقاطعه نهائيا عندما خرج على الوفد وانضم للسعديين •

وكان لويس عوض فى صباه يؤمن بالدستور والديموقراطية • وكان يؤمن بأن من لايكون وفديا يعتبر خائنا •

ولهذا لم يكن يهتم بالدكتور طه حسين على أساس أنه كان معاديا للوفد •

ولكنه بدأ ينجذب الى طه حسين رويدا رويدا ، فقد جعله العلم المنهجى فى الجامعة يفهم قيمة طه حسين ويقدره حق قدره ، ثم زاد

ايمانه به بعد أن انضم طه حسين للوفد فى ١٩٣١ وشاركه فى قيادة الجماهير ضد الدكتاتورية وطغيان السراى ٠

نفس هذا الايمان جعله بعد سنوات ـ وحتى بعد أن هبط ايمانه بالوفد ـ يهاجم المرحوم مكرم عبيد باشا عندما انفصل عن الوفد وبدأ يهاجم الزعيم الراحل مصطفى النحاس ، فقد كان لويس عوض يرى أن خروج مكرم من الوفد ليقف الى يمين الوفد معناه التعاون مع القصر الملكى وأحزاب الاقلية ، ولهذا فهو يستحق اللوم والنقد، أما أن يخرج على الوفد ليقف على يساره فمعناه أن يكون تقدميا يستحق التأييد ٠

وفى أوائل الثلاثينات بذلت محاولات عديدة من بعض التنظيمات الفاشية لتجنيده فى تشكيل معها ولكنه رفضها بل قاومها ، كذلك بذلت محاولات لضمه للتنظيمات التقدمية ولكنه آثر الاستقلال ، واقتنع بأن يكون مفكرا مستقلا ، فالدخول فى التنظيمات يقيد المفكر ويضطره أن يأخذ مواقف منافية لنزاهته العقلية وضميره السياسى ٠

صحيح أنه آمن باليسار ايمانا كبيرا ، ولكنه أبى أن ينضم الى أى تنظيم سرى أو علنى من التنظيمات العديدة التى كانت تنتشر فى مصر ٠

كل هذا النشاط لم يحل دون تفوقه الدراسى ، فقد حصل على الليسانس عام١٩٢٧ بامتياز ، فأوفدته الجامعة فى بعثة الى جامعة كمبردج ، وبعد ثلاث سنواتحصل على الماجستير ٠ وكان تخصصه فى اللغة الانجليزية وآدابها ٠

وكانت الحرب العالمية الثانية قد بدأت ، وأصبح مضيق جبل طارق مغلقا ، فعاد الى مصر عن طريق رأس الرجاء الصالح فى جنوب أفريقيا ، ومن هناك ركب طائرات صغيرة الى كينيا وجوبا والخرطوم ثم القاهرة ، واستغرقت رحلة العودة ثلاثة شهور ٠

وفى أثناء دراسته فى كمبردج أعد أول كتاب له عن « فن الشعر لهوراس» وكان الكتاب عبارة عن ترجمة نصية لمقال هوراس الشهير فى فن الشعر اللاتينى مع مقدمة فى أصول المذهب الكلاسيكى وتطوره ، ولم يكن معه المال اللازم لطبعه ، بل ولم يكن معه المال اللازم لشراء المراجع والكتب ، فأرسل أصول الكتاب الى الدكتور أحمد أمين عميد كلية الآداب وقتئذ الذى أحاله الى الدكتور طه حسين لقراءته فوافق عليه ، وتقرر أن تطبعه لجنة التأليفوالترجمة

والنشر ، ثم صدرت التعليمات الى مكتب البعثات فى لندن كى تدفع له ثلاثين جنيها •• وهو نفس المبلغ الذى كان قد حدده لويس عوض أجرا عن تأليف الكتاب •

والكتاب الثانى كان « ديوان بلوتولاند » وهذا الكتاب عبارة عن تجارب شعرية نظمها فى كمبردج ولكنه لم ينشر الا فى عام ١٩٤٧ بعد عودته الى مصر بسنوات واشتغاله بالتدريس فى كلية الآداب •

والكتاب الثالث كان تجربة مثيرة •• كان عبارة عن مذكرات طالب بعثة (١٩٤٢) •• والى هنا وقد يبدو الامر عاديا ، ولكنه كتبه باللغة العامية ، ونادى بأن تستخدم العامية كأداة للتعبير فى النثر الفنى جنبا الى جنب مع الفصحى ، فكما عرفنا الشعر العامى فى صورة الازجال فلماذا لا نكتب النثر بالعامية ، وقد حاول لويس عوض ـ ولم تنجح محاولته ـ أن يثبت أن النثر العامى يمكن أن يعبر تعبيرا أدبيا عن الغايات الجادة فى الحياة •

وفى عام ١٩٥١ حصل على منحة كزميل من جامعة برنستون فى الولايات المتحدة الامريكية ، وكان قد وصل الى منصب أستاذ الادب الانجليزى فى كلية الآداب •

وقد انتهز الفرصة وحصل على الماجستير والدكتوراه فى يوم واحد فى عام ١٩٥٣ من تلك الجامعة ، وهذا شىء لم يحدث فى هذه الجامعة منذ عام ١٩٠٨ •

والسر فى ذلك انه كان قد أعد رسالة الدكتوراه ولم يكن ينقصها الا بعض الاستيفاءات البسيطة ، والنظام فى هذه الجامعة يقضى بأن يكون الماجستير بالامتحان وليس بالرسائل ، ويقضى بأن تكون المدة بين الماجستير والدكتوراه عامين • وكانت الجامعة قد استلمت منه رسالة الدكتوراه قبل الامتحان بسنة وأجازتها وأرجأت اعلان النتيجة حتى تتم المناقشة وحتى يتم امتحان الماجستير • وأعفته الجامعة من شرط العامين بعد الماجستير ، فأدى امتحان الماجستير فى الصباح ونجح ثم نوقش فى رسالة الدكتوراه فى نفس اليوم •• ونجح ••

وكان موضوع الرسالة : « أسطورة بروميثيوس فى الادب الانجليزى والفرنسى » •

وتوالت أبحاث الدكتور لويس عوض فى المجلات العلمية التى تصدر عن الجامعات •

وبلغ عدد كتبه بالانجليزية ثلاثة ·

اما مؤلفاته ومترجماته العربية فقد بلغ عددها حتى الآن ثلاثين كتابا ·

وحمل الدكتور لويس عوض عبء نقل الثقافة الغربية الى قراء العربية ، كما نقل الكثير من ثقافة العرب الى المثقفين فى الغرب ·

ترجم صورة دوريان جراى لأوسكار وايلد ، وشبح كانتر فيلد لأوسكار وايلد أيضا ·

وترجم مسرحية شكسبير « خاب سعى العشاق » و « انطونيو وكليوباترة » ·

وصدرت له «دراسات فى أدبنا الحديث» و «دراسات فى النقد والأدب» و «دراسات عربية وغربية» و «الثورة والادب» و «دراسات فى النظم والمذاهب» و «الاشتراكية والادب» و «على هامش الغفران» و «تاريخ الفكر المصرى الحديث» و «الجامعة والمجتمع الجديد» ·

وترجم ثلاثية أسخيلوس اليونانية ، وهى مسرحية أجا ممنون ·· ومسرحية «حاملات القرابين» ومسرحية «الصافحات» ·

والد الدكتور لويس عوض سلحه منذ طفولته باتقان الانجليزية·

والمرحوم سلامة موسى أضاء له الطريق فى شبابه المبكر بالفكر الاشتراكى ·

والدكتور طه حسين أزره وهو طالب فى الجامعة ثم وهو طالب بعثة وعمق فيه المنهج الاكاديمى وحرية البحث العلمى ·

ووالدته عاونته بحزمها ومثابرتها ودقتها ··

ولكن هناك امرأة أخرى فى حياته ساهمت كثيرا وتساهم حتى اليوم فى توفير كل ما يلزم من هدوء واستقرار لهذا الانتاج الادبى الكبير · هذه السيدة هى زوجته الفرنسية التى التقى بها فى باريس عام ١٩٤٧ ، ومنذ هذا اليوم وهما يعيشان فى سعادة ·· لم ينجبا أطفالا ولكنه سعيد بكتبه الثلاثين وبتلاميذه العديدين ·

★★★

وعقب حصوله على الدكتوراه عاد من أمريكا ليواصل عمله فى الجامعة ، ولكنه أحيل الى المعاش عام ١٩٥٤ لاسباب سياسيه ·

وحمل حقائبه مرة أخرى الى أمريكا حيث عمل حوالى عام ونصف عام فى الامم المتحدة ثم عاد الى مصر مرة أخرى ليعمل ناقدا وكاتبا فى جريدة الشعب ٠

ثم وقع عليه الاختيار ليعمل أستاذا للأدب الانجليزى فى جامعة دمشق ، ولكنه لم يباشر هذا العمل أكثر من أربعين يوما ، فقد اختاره وزير الثقافة المصرى ليشغل وظيفة مدير عام الثقافة بوزارة الثقافة ٠

ولم يبق فى هذا المركز اكثر من أربعة شهور اعتقل على أثرها ، وكان ذلك فى ٢٨ مارس سنة ١٩٥٩ ثم أفرج عنه بعد ١٦ شهرا

وفى أول يناير سنة ١٩٦١ اختاره المرحوم صلاح سالم مستشارا ثقافيا لدار التحرير للطبع والنشر ٠

وفى أول فبراير سنة١٩٦٢ عين مستشارا ثقافيا لجريدة الاهرام حيث يعمل حتى اليوم ٠

ومن أروع الاعمال التى قدمها الدكتور لويس عوض للقارىء العربى الدراسات الثلاث التالية :

أولا : مجموعات الدراسات التى نشرها فى جريدة الشعب خلال عامى ١٩٥٧ ، ١٩٥٨ وكلها كانت تدور حول موضوع واحد هو الحرية والاشتراكية ، الى أى حد يلتقيان والى أى حد يتعارضان ، وهذه مشكلة المشاكل فى العصر الحديث ، وهذه هى الدراسات التى طالما تناقشنا فيها معا أثناء عملنا فى جريدة الشعب ، والواقع أن الدكتور لويس عوض لم يعرض فى هذه الدراسات آراءه الخاصة وانما عرض آراء المفكرين الثوريين فى أوربا منذ فولتير وروسو وبابيف من رسل الثورة الفرنسية ، الى سان سيمون وفورييه وروبرت أوين وأصحاب الاشتراكية التعاونية فى القرن التاسع عشر الى برتراند رسل وسارتر ولاسكى، وفلاسفة الاشتراكية الديموقراطية فى القرن العشرين ٠ تضمنت هذه الدراسات عرضا للفكر البورجوازى الثورى الذى يرفض الاشتراكية الماركسية اطارا ومع ذلك يحاول أن يقدم حلولا توفق بين الاشتراكية والديموقراطية ٠

وقد رأينا فى هذه الدراسات أن بعض هذه الحلول مقنع وبعضها غير مقنع وبعضها يثير من المشاكل اكثر مما يحل ، ولكنها كانت على كل حال تدفعنا للتفكير وتجبرنا على الوقوف أمامها باحترام ، لانها تمثل مجهود الفكر الانسانى الجاد لتحقيق مزيد من الحرية ومن المساواة ومن الاخاء على وجه الارض ٠

ثانيا : وفى أوائل عام ١٩٦٩ أعد الدكتور لويس عوض دراسة هامة فى جزءين عن « تاريخ الفكر المصرى الحديث » وهى دراسة عن تاريخ الفكر السياسى والاجتماعى فى مصر من الحملة الفرنسية الى عهد اسماعيل ·

ان تاريخ الفكر المصرى الحديث يصور مولد الدولة الحديثة فى مصر خاصة وفى العالم العربى بوجه عام : فهو يصور نشأة الفكرة القومية ونشأة الفكرة الديموقراطية ونشأة الفكرة الاشتراكية ، لا منحيث هى نظم سياسية واجتماعية فحسب، ولكن من حيث هى مدارس فكرية وأيديولوجيات تأججت أولا فى ضمائر المثقفين ثم اندلع لهيبها فأشاع الدفء فى قلوب الجماهير وأنار عقولها ، وأصبح الضمان الوحيد الذى تملكه بانه لا رجعة الى العصور الوسطى أو الى عزلتنا العقيمة الحزينة عن بقية أرجاء العالم المتحضر مهما تقلبت بنا الايام ·· وهى العزلة التى فرضها علينا الاستعمار وبعض الحكام ·

ثالثا : والدراسة الثالثة التى قام بها أخيرا الدكتور لويس عوض كانت حول آخر تطورات الحركة المسرحية فى انجلترا وفرنسا ، وكان قد سافر الى هناك فى أوائل صيف ١٩٦٩ ، وقد شاهد حوالى خمس عشرة مسرحية كلها تمثل التجارب الجديدة فى هذا الفن الكبير ، ولكن أخطر ما تضمنته دراسة الدكتور لويس عوض التى أعدها عقب عودته من هذه الرحلة هو الجزء الذى كتبه عن ثورة الشباب الاوروبى والامريكى التى تبلورت فى حركة « الهيبز » وما نبع عنها من فن وفكر وسلوك ، وقد حاول أن يؤصل هذا الغليان الجنونى بين شباب اليوم فى أزمة المجتمعات الغربية ازاء التحديات الحضارية الخطرة التى تواجهها هذه المجتمعات ، وقد عرض الدكتور لويس عوض قضية « الهيبز » بعقل متفهم ورغبة صادقة فى الاهتداء الى الحقيقة ·

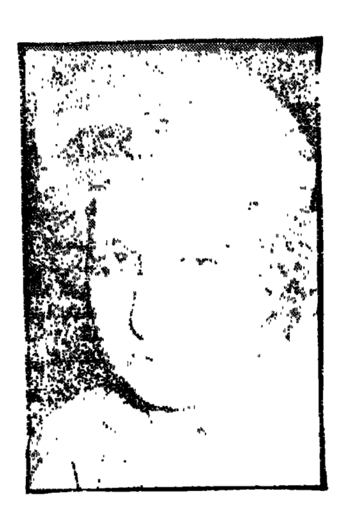
بماذا يحسون؟ فيم يفكرون؟ كيف يرون حاضر العالم ومستقبله ؟ ماذا يريدون لانفسهم وللجنس البشرى ؟

ومن خلال دراسته لحركات الشباب طرح الدكتور لويس عوض هذا السؤال :

ـ هل العالم يقف الآن بازاء رسالة جديدة تبشر أو تنذر بظهور حضارة جديدة ؟

هذه الدراسات الثلاث ·· لاشك انها تشغل الجيل الحالى كله فى أرضنا العربية تماما كما تشغل البشرية كلها

دكتورة سهير القلماوى





والدها طبيبا جراحا .. وكان متفتحا مستنيرا ..

والوالدة كانت ابنة أميرالاى مهندس.. من أصل شركسى .. عنيدة قاسية .. الابيض عندها أبيض والاسود أسود ، لا وسط عندها فى أى أمر من الامور .

ولهـذا كان طبيعيـا أن تكون مومنـة بأن البنت للمنزل . مصيرها الزواج . أقصى ما تسمح به لها هو أن تتعلم الرسم والعزف على البيانو .

ولكنها استجابت لضغط الوالد وسمحت للطفلة سهير بأن تدخل كلية البنات الامريكية ــ لا لكى تحصل على شهادة ــ وانما لتتعلم اللغات حتى تصبح « ست بيت ممتازة » .

ولكن الطفلة كانت تعشق الصدام • والاب كان مشجعها •

الاسرة لم تكن عديه •• ولم تكن ايضا فقيرة ••

والاطفال عددهم ٦ مات منهم ثلاثه وبقيت سهير والاخت تزوجت فيما بعد بالطريقة التقليدية . والاخ أصبح محاميا ثم وكيلا للنيابه ، ثم واصل رحلة الحياة فى السلك القضائى حتى احيل الى المعاش •

وأحست الأم أن الطفلة سـهير متمردة • تصر على أن تكمـل تعليمها • وهنا بدأ الصدام وكان قاسيا •• بالنسبة للطفلة طبعا •

كانت الأم تصر على أن تجعلهـا تسوى الأسرة رغم وجود الخادم ، وكانت ترغمها على أن تقوم بكل أعمال المنزل وبسرعة ، غسيل الملابس والنظافة ، فاذا كان كل شىء نظيفا ومرتبا فاجاتهـا بهدم ما فى الدواليب وطالبتها باعادة تنظيمها •• تماما كما يفعل الجاويش طالب السنة الثانية أو الثالثة مع زملائه طلبة السـنة الاولى فى الكلية الحربية أو فى كلية الشرطة •

وكان السهر ممنوعا •• حتى فى المذاكرة ••

كانت الأم تتخيل أنها ستجبر ابنتها ـ ان عاجلا أو آجلا ـ على الاكتفاء بما تعلمته فى المدرسة والانزواء فى المنزل بالعباسية فى انتظار العريس •

ولكن سهير قاومت وذاكرت حتى حصلت على شهادة البكالوريا •• وكان ترتيبها الاولى ••

وكان كل املها أن تصبح طبيبة مثل والدها ، وتقدمت الى كلية العلوم لتقضى بها سنة اعدادية ثم تنتقل الى الطب حسب النظام المتبع وقتئذ ••

وكانت واثقة من قبولها ، فهى الاولى ومجموعها فى الرياضـة والعلوم ٩٥٪ ولكن العميـد رفض أن يسمح بقبولهـا بحجة أن البكالوريا التى حصلت عليها ليست مصرية •

وكان لها قريب على صلة وثيقة بالدكتور طه حسين الذى رحب بقبولها فى كلية الآداب، وتصورت أنها ستقيد بقسم اللغة الانجليزية ولكنها صدمت بنفس العقبة •• ان البكالوريا ليست مصرية •

ولكن الدكتور طه حسين وجد فى لائحة قسم اللغة العربية نصا يسمح لها بالدخول من النافذة ، فقد كان هناك نص يسمح بدخول

قسم اللغة العربية لحاملى البكالوريا المصرية او ما يعادلها ..
وكان المقصود هنا هم طلبة الازهر . ومن هذه النفرة دخلت خريجة كلية البنات الامريكية قسم اللغة العربية . دخلت كارهة حانقة ، فهى تجيد الفرنسية والانجليزية ولكن العربية بالنسبة لها كانت مشكلة المشاكل .

وأيقنت الأم أن ابنتها ستستلم وتترك الجامعـة . ولكن الوالد المتفتح المستنير وقف بجانبها ..

مدرس يعلمها القرآن الكريم ، وآخر يعلمها الخط ، وتالت يشرح لهـا غوامض الشعر العربى . وملأ لهـا مكتبتها الصغيرة بكتب عباس محمود العقاد وطه حسين ولطفى السيد .. وغيرهم من فطاحل الادب العربى .

ودرست وقاومت واجتهدت .

ولكن لماذا كل هذا العناد ؟ هل كانت تعاند أمها ؟

هل كانت تعشق العلم ؟ هل كانت متمردة على الزواج ؟

ان سهير القلماوى حتى اليوم لا تعرف الاجابة ، كل ما تذكره أنها كانت متمردة لا تريد أن تستكين للتقاليد العادية . لم تكن لها رسالة معينة تريد أن تؤديها بدليل أنها كانت تريد أن تكون طبيبة مثل والدها ثم استسلمت للدراسـة بكليـة الآداب المهم الا تستسلم لآراء أمهـات ذلك العهـد وتجلس فى البيت تنتظر العريس .

ومرحلة الدراسة فى الجامعة التى بدأت فى عام ١٩٢٦ كانت حافلة بالانفعالات .. قبل ذلك كان كل التلاميذ من الجنس الخشن .

ومع سهير القلماوى دخل كلية الآداب لاول مرة أربع طالبات هن المرحومة فاطمة فهمى وفاطمة سالم أستاذة اللاتينى حاليا بجامعة الاسكندرية ونعيمـة الايوبى المحاميـة وزهيرة عبد العزيز .. ربة منزل ..

وفى نفس العام قيد بكلية الطب أربع طالبات ..

أى أن الجنس الناعم بدأ بتسع طالبات فى عام ١٩٢٩ ، واليوم أصبح فى جامعات مصر ٣٠ ألف طالبة .

والدراسـة فى قسم اللغة العربيـة كانت قبل ذلك العام اغلبها ـ مثل باقى دراسات الجامعة ـ بالانجليزية واللاتينية ، ولكن بعد

أن دخلت سهير القلماوى فوجئت بأن ثلثى البرنامج الدراسى أصبح بالعربية ٠

ومع الجهد المتواصل والمدرسين الخصوصيين جاء ترتيبها الثانية لاول مرة فى حياتها ٠٠ فقد كانت دائما الاولى ٠

ولكنها واصلت الجهد حتى حصلت على الليسانس فى عام ١٩٣٢ وكان ترتيبها الاولى ، وكان الاستاذ نجيب البهبيتى الاول مكرر ٠

وفرحت فرحا شديدا ، ولكن الفرحة لم تطل فقد واجهتها صدمة عنيفة ومعركة كبرى :

وكانت الصدمة وفاة والدها ونصيرها وحاميها ٠٠

وكانت المعركة أنها عينت معيدة فى الجامعة ، فثارت أمها ثورة عنيفة ٠٠ « العلم وسكتنا ٠٠ كمان وظيفة ٠٠ مستحيل » ٠٠

وبمنتهى الهدوء وبحكمة المدرسة والمربية بدأت سهير تناقش أمها وأكدت لها أنها :

★ حصلت على الليسانس دون أن تهمل دراسة وتعلم الاعمال المنزلية اللازمة لكل زوجة ٠٠

★ لاترفض الزواج كرها فى الزواج وانما لايمانها بأنها مازالت تريد أن تتعلم المزيد والمزيد ٠

وفعلا حصلت على الماجستير فى عام ١٩٣٧ وكان الموضوع « أدب الخوارج » ثم سافرت فى عام ١٩٣٨ فى بعثة الى فرنسا لتحضير الدكتوراه عن « ألف ليلة وليلة » مع دراسة نقدية مقارنة ٠

واذا كانت قد فقدت والدها بعد تخرجها فانها قد اتخذت من الدكتور طه حسين والدا وأستاذا لها ٠ لم يكن يكتفى برعايتها فى الجامعة بل كان يزور والدتها ليقنعها بعدم اعتراض طريق ابنتها فى مواصلة الدراسة والتدريس ٠

وكانت الدكتوراه التى حصلت عليها هى أول دكتوراه تحصل عليها مصرية وثالث دكتوراه فى كلية الآداب ٠

وذكريات مرحلة الدراسة الجامعية فيها طرافة وفيها دروس :

★ كان بعض الطلبة يرسلون لها خطابات غزل ، وكان العميد يحولها الى والدها الذى كان يعطيها لها دون أن يفتحها ٠

ولكن حدث أن زار الجامعة المصرية بعض طلبة العراق والتقطوا صورا تذكارية مشتركة مع طلبة وطالبات الجامعة المصرية • ثم تلقت سهير خطابا من أحد زملائها العراقيين فيه الصور التذكارية ، فقام الدكتور منصور فهمى عميد الكلية وقتئذ ـ دون علمها ـ بفتح الخطاب ثم أرسله الى والدها قبل وفاته بقليل ، فثار الوالد ـ وثارت ـ وهددت العميد برفع قضية ضده أو شكواه لمدير الجامعة •

وكان والدها فى صفها •• كانت ثقته فيها أكبر من أن يسمح العميد لنفسه بأن يتشكك فى سلوكها •

★ ورشحت نفسها فى انتخابات اتحاد الكلية فنجحت ، ثم قامت ثورة سنة ١٩٣٥ وكون الطلبة اللجنة التنفيذية العليا ، واختاروها عضوا فى اللجنة •• وساهمت بنصيب كبير فى الثورة التى سقط فيها عبد الحكيم الجراحى وعبد الحميد مرسى شهداء •

ولا تنسى الدكتورة سهير القلماوى الجهد الذى بذله الدكتور نور الدين طراف والدكتور محمد بلال لاخفاء الجثث قبل الجنازة الشعبية الكبرى التى اضطرت الحكومة الى تصدرها •

ومنذ عام ١٩٣٦ حتى عام ١٩٦٧ بقيت الدكتورة سهير القلماوى فى نفس الغرفة بكلية الآداب • نفس المكان • الجديد عليها كان أفواج الطلبة التى دخلت الكلية ثم تخرجت •

والجديد أنها أصبحت متينة الصلة باللغة العربية مع متابعتها لتطور آداب اللغتين الانجليزية والفرنسية •

والجديد أنها أصبحت ابنة روحية للدكتور طه حسين •• فى الدراسة وفى حياتها العائلية •

والجديد أنها أصبحت تكتب فى الصحف والمجلات وتلقى الاحاديث بالاذاعة ••

ولكن كل ما كانت تقدمه للاذاعة وللصحافة كان بلا أجر ، فقد بدأت صلتها بالصحافة عندما اختيرت سكرتيرة لتحرير مجلة الجامعة المصرية التى كان يرأس تحريرها الدكتور طه حسين ، وبعد تخرجها بدأت تكتب القصص والمقالات فى الصحف والمجلات مثل الرسالة والثقافة ومجلة أبوللو للشعر وكوكب الشرق التى كانت تقدم بها صفحة نسائية أسبوعيا •• وكل هذا كان مجانا •

وحدث ماليس منه بد •• وهذه سنة الحياة :

تزوجت الدكتورة سهير من زميلها الدكتور يحيى الخشاب • كانا زميلين فى الكلية أثناء الدراسة•• وتطورت علاقتهما ببطء شديد•• فكلاهما كان يعرف بالاتزان منذ صغره ، وكلاهما كان متفرغا للعلم والتحصيل ، حتى عندما سافرا الى باريس فى عام ١٩٢٩ ظلت علاقتهما قائمة على الاحترام المتبادل والزمالة فى العلم • وبعد عودتهما زادت علاقتهما خطوة بسيطة وبنفس الهدوء والاتزان •• تزوجا • ثم أنجبا طفلين :

يس أصبح معيدا فى كلية الهندسة • وعمر طالب فى كلية الطب •

والمربية الفاضلة والاستاذة الكبيرة لا تنكر أنها تعلمت الكثير من ولديها فتقول :

★ تعلمت منهما كنه الحياة ومعنى تتابع الايام والسنين ••

وتعلمت منهما كيف تلغى الحياة الغاء اذا مرض احدهما وكيف يبدأ دبيب الروح فى نفسى اذا تماثل للشفاء •

وتعلمت منهما كيف يستبد الانسان بحياة الانسان فلا أرى لنفسى الآن وجودا الا بهما ولهما ، وكل ما يجب لهما مقدم على أخطر ما يجب لاعز الناس ••

وتعلمت منهما كيف انظر للحياة نظرة حقة ، فاذا تفاهتها كثيرة ، واذا الكثرة تعيش لا تدرك من حقيقة الحياة شيئا » •

هذه البلاغة •• وهذا الاسلوب الرصين يتجلى أكثر وأكثر فى مولفات الدكتورة سهير القلماوى • الكتب الدراسية التى قدمتها طوال السنوات الماضية ألف ليلة وليلة • الخوارج • الرواية الامريكية المعاصرة • المحاكاة • النقد الادبى • أحاديث جدتى • الشياطين تلهو • مجموعات قصص • ترجمات ودراسات يصعب حصرها •

★ وقد نجحت سهير القلماوى فى حياتها الدراسية رغم العراقيل التى واجهتها •

★ ونجحت كمعيدة وأستاذة ووصلت الى أعلى منصب فى الجامعه وهو رئيسة قسم •

★ وتلاميذها فى كل أنحاء العالم العربى بعضهم اصبحوا وزراء للثقافة وللتربية والتعليم أومدرسين فى الجامعات • وهذا النجاح لها ولهم تلمسه كلما زارت بلدا عربيا وتسابقوا الى تكريمها وهذا يعطيها نوعا من الرضا •

★ ونجحت كتبها ومؤلفاتها •

★ ونجحت فى حياتها الزوجيـة ، وهى لا تنكر أن شـــدة والدتها وقسوتها فى تعليمها للاعمال المنزلية افادتها ، فهى حتى اليوم لا تخرج من مسكنها قبل أن تتم ترتيب بيتها بنفسها

ولكن ما هى نواحى الفشل فى حياتها ؟

تقول الدكتورة سهير :

★ ان فشلى الاكبر هوعدم تكوينى لأصدقاء ممن نطلق عليهم ⋅⋅ أصدقاء العمر •

دخلت الجامعة فكنتكالغريبة حتى بالنسبة لزميـلاتى الاربع اللاتى التحقن بالكلية فى نفس العام • كانت الزميلات قادمات من مدارس مصرية ، وكنت متعلمة فى مدرسة أجنبية • وكنت مقيدة فى قسم اللغة العربية رغم انفى فكنت أستهلك وقتى فى المذاكرة حتى أتفوق •

وحتى فى دراستى الثانوية كنت أقفز فى ســـنة واحدة ثلاث قفزات فلم يتيسر لى أن أكون صلات مع زميلات بانتظام •

صحيح لى أصدقاء تكونت صداقتى بهم فى السنوات العشرين الاخيرة ، ولكن عددهم قليل جدا •

والتفرغ للتاليف والتدريس يلزم أستاذ الجامعة بقضاء وقت أطول فى منزله مما لايتيح له تكوين صداقات أوالقيام بالواجبات الانسانية •

هذه طبعا مبررات ولكننى مقتنعة بأن فشلى الاكبر هو عـدم تكوين صداقات تتـــلاءم مع سنوات عمرى وكـــثرة اتصالاتى ومعارفى •

★ وفشلى الثانى هوعجزى عناقناع احد من ولدى بالاهتمام بالانسانيات •

فأحدهما أصبح معيدا بكلية الهندسة والثانى يدرس الطب • حاولت أن أجعلهما يتذوقان الشعر والقصص • أتيت لهما بمدرس موسيقى • ولكننى لم أوفق •

لقد جعلت لنفسى فى تربية أولادى مثلا أعلى هو أن :

لا أقول لا ما دمت أستطيع أن أقول نعم • ولا أقول لا الا مضطرة •

واذا قلت لا فانني فى أعماق نفسى أهدف الى أن أقول نعم ٠

وقد حاولت بشتى الطرق «اللينة» أن أجعلهم يحبون الدراسات الانسانية ولكننى فشلت ٠

★ وفشلى الثالث هو عدم انتخابى عضوا بمجمع اللغة العربية وأنا أسميه فشلا تجاوزا ٠

فمنذ عشر سنوات تقريبا تقدم بعض الاساتذة الافاضل من أعضاء مجمع اللغة العربية بترشيحى لعضوية المجمع ولكننى انسحبت من الترشيح شاكرة لهم ٠

وبعد خمس سنوات تقدموا مرة أخرى بترشيحى ، أعقبها أربع مرات ٠ ولكننى لم انتخب ٠ طبعا يشرفنى أن أكون عضوا فى المجمع ٠ ولكن الامر متروك للمجلس ٠ هم يرشحوننى ، وهم لا ينتخبوننى ٠ من الصعب أن أقول أننى غير جديرة بهذا المركز ٠ لا أعتقد أن مجرد أننى سيدة هو السبب ٠ ربما كثرة الموجودين فى نفس التخصص ، وهو الادب الحديث والنقد الادبى والترجمة ، هو السبب فى عدم انتخابى ٠

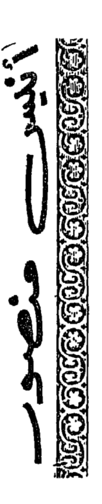
أنا لم أرشح نفسى ، وان كان يشرفنى أن أنجح ٠٠

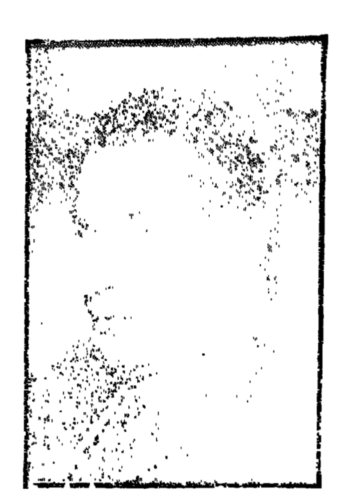
فهل أسمى هذا فشلا ؟ على كل حال لا بأس من أن أضيفه الى قائمة الفشل فى حياتى ٠

★★★

وقد تركت الدكتورة سهير القلماوى عملها فى الجامعة بعد اختيارها رئيسة لمجلس ادارة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ٠ وعملها الحالى يعتبر ولا شك مكملا لعملها فى الجامعة ، فهى فى عملها الجديد مكلفة بنشر الثقافة على أوسع نطاق ٠٠ لا فى الجامعات فقط ٠٠ انها اصبحت مكلفة بايجاد المجال الفكرى والفنى الملائم لنمو النفس والروح بحيث لا تتقدم الأمة ماديا دون أن تتقدم حضاريا ٠

هذه هى قصة أول مصرية حصلت على درجة الماجستير من الجامعة المصرية ، وأول مصرية حصلت على الدكتوراه ، وواحدة من تسع مصريات هن أول من دخل الجامعة ٠٠ هذه هى قصة الدكتورة سهير القلماوى التى أمضت أربعين عاما من عمرها فى الجامعة طالبة ثم معيدة ثم مدرسة ثم رئيسة قسم وصاحبة مؤلفات يصعب حصرها ٠







أنه طاف حول العالم وزار عشرات الدول في مختلف القارات وأصبح يعرف شوارع لنــدن وروما وسيدني وهونج كونج تماما كما يعرف شوارع القاهرة ، ولكنه لم يشاهد حتى الآن دمياط ورأس البر مرة واحدة مع أنه من مواليد المنصورة!!

صحيح أنه عجـز ـ لفقر أسرته ـ عن شراء كتاب واحد أو حتى كشكول يكتب فيه المحاضرات طوال مرحلة تعليمه الجامعي ، ولكنه أصبح يمتلك اليوم مكتبة تضم أكثر من خمسة عشر ألف كتاب بست لغات مختلفة يتقنها ! !

صحيح أنه لم يذهب مرة واحـدة الى الجامعة راكبا الترام أو الاتوبيس لعدم توافر أجر المواصلات معه ، ولكنه اليوم لايعرف مافي

جيبه ولا فى بيته من مال ، واذا أخذ منك نقودا فهو لايعدها ، بل يضعها فى جيبه فورا وبلا مراجعة أو حساب !!

وقد عرف عنه هـــذه العادة أحد موظفى الخزانة فى احدى الهيئـات التى يقدم لهـــا بعض انتاجه ، فكان « يختصر » المبلغ المستحق له بصفة منتظمة حتى تصادف وجود صـديق معه أثناء الصرف فنبهه وطلب منـــه أن يراجع ما استلمه وأن يطابقه على ما وقع عليه ، وانتهى الموقف بفصل هذا الموظف بعد أن ظل يقاسمه دخله عدة سنوات .

ولكن .. هل توقف أنيس منصور عن هذه العادة ؟
أبدا ...

وصحيح أنه قدم للمكتبة العربية ٣٩ كتابا فى أقل من عشرين عاما . كما قدم للمسرح أربع مسرحيات من تأليفه غير المسرحيات التى ترجمها ، ولكنه لم يدخر شيئا حتى الآن ورصيده فى البنك دائما يتأرجح بين الصفر وأرقام لاتزيد على عشرات الجنيهات !!

وكان المفروض أن يعرف « التنظيم » فى أموره المالية بعـــد زواجه ، وبذلت السيدة زوجته جهدا كبيرا لاقناعه بفوائد وأهمية « النظام » ولكنه لا يطيق الحساب والحسابات ، وما دام فى جيبه ما يكفى يومه فلا خطر ولا ضرر .

والتناقضات فى حياة أنيس منصور لا حصر لها ، ولكننى أعتقد أن أكبر هذه التناقضات وأروعها هىقدرته الفائقة ورغبته الصادقة فى الضحك والسخرية مهما كانت قسوة ظروفه .

والقسوة فى حياته بدأت مع تدوين شهادة ميلاده .

الأب موظف بســيط .. مفتش زراعــة كان يعمــل لدى أسرة يكن باشا ..

والاخوة كان عددهم تسعة كان هو الوحيد بينهم الذى يعشق القراءه ويهوى اقتناء الكتب ، ولهذا كان انيس أثيرا لدى والده ، فالوالد كان متدينا يتذوق الشعر والتاريخ والنوادر .. والكتب ، وكان يفخر دائما بولده الصغير الذى لا يفارق الكتاب يديه حتى ولو كان نائما .. حتى قبل أن يتعلم القراءة والكتابة ..

وكان بعض أقارب الطفل أنيس واخوته يسخرون من اصراره على أن يقلب صفحات الكتب وهو لا يفهم معانيها ، فزاده هـــذا

اصرارا على ان يقرأ ويقرأ حتى ولو كان ذلك تحت السرير ، وكثيرا ما اكتشفت أمه وجوده تحت السرير وعلى البلاط وقد غلبه النوم بعد أن أرهق ضوء لمبة الغاز عينيه ٠٠

وتعنفه أمه لانه كاد يحرق البيت ، وترجوه ان يكف عن هــذه العادة التى تسببت فى مرضه أكثر من مرة بأمراض البرد المختلفة ، ولعل هذا هو بداية قصة أنيس منصور الطويلة المتواصلة مع الركام والانفلونزا ، ولكنه كان يزداد عنادا ويصر على متابعة القراءة فى أى وقت وفى أى مكان ٠٠ ولو كان تحت السرير ٠

أما الأب فكان يربت على خده ويقول له عبارة واحدة لاتتغير هى :
ـ الله يفتح عليك يا ابنى ٠٠

وأرسله والده الى الكتاب فى قرية نوب طريف مركز السنبلاوين ليحفظ القرآن ، ولكنه بعد فترة أجاد فن مساعدة زوجة «سيدنا» وأمه فى مختلف أعمال البيت من كنس الى اطعام الدجاج والماشية وتفريط كيزان الذرة ٠٠

كان مع غيره من الصبيان لا يعصى لزوجة «سيدنا» أمرا ، فاذا اشتكت من واحد فقط انهال «سيدنا» على الجميع ضربا ٠

ولم يحفظ شيئا من القرآن عند « سيدنا » ٠٠

ونقل والده الى مكان آخر ، فألحقه بكتاب فى قرية « كفر الباز » مركز فارسكور ، ومرة أخرى لم يتعلم شيئا وان كان لم يجد فى « سيدنا » الثانى قسوة أو شراسة ٠

وذهب الى كتاب ثالث ، وكان والده قد وعده بشراء ملابس جديدة له ، كما وعد «سيدنا» الثالث بمكافأة خاصة ، وفعلا حفظ القرآن خلال عامين ٠

ولكنه لم يحصل على الملابس الجديدة ، فقد استقبله والده لا بالفرح كما كان يتصور ، بل رآه حزينا والمسبحة فى يده وشفتاه ترددان دعاء طالما سمعه أنيس من والده دون أن يفهم معناه وهو :

« اللهم اليــك أشــكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهــوانى على الناس » ٠٠

وكان صوته مختنقا بالدموع ٠٠
وفهم أنيس فى هذه المرة أن والده يشكو الناس الى الله ٠
وعرف أنه لن يحصل على الملابس الجديدة ٠٠

ومنذ هذه اللحظة بدأ يجد صعوبة فى التطلع الى وجه والده الحزين ، ويوما بعد يوم اصبح يجد صعوبة فى التطلع الى وجوه الناس جميعا ، فاذا جلس انيس بين بعض الناس - حتى ولو كانوا من أعز الاصدقاء - فمن النادر أن يتطلع الى وجه أحدهم وهو يتكلم أو يتناقش أو حتى يضحك ..

وبدأ يقرأ كتبا أخرى غير القرآن الكريم ، وأصبحت طفولتـه موزعة بين القراءة واللعب فى الحارة والاستحمام فى الترعة ، من ناحية يقدم على «شقاوة» تعاقبه أمه عليها بالضرب الشديد ، ومن ناحية يحفظ القصائد ويقرأ لكبار الكتاب .

شيء واحد استفاده فى طفولته من حفظ القرآن ، فقد كان حفظه للقرآن جواز مروره الى حلقات الذكر والمساجد التى حرص على التردد عليها ليلا محاولا أن يفهم معانى القرآن ، فقد كان حفظه للقرآن مجرد خطوة نحو فهم القرآن وفهم أصول الدين .

ولكنه لم يفهم شيئا لا فى القـرآن الذى حفظه ولا فى الكتب التى قرأها ..

وبدأت حياته تأخذ لونا من القلق العنيف وعدم الاستقرار ، فقد تعدد نقل والده من عمل الى عمل ومن مكان الى مكان ، كلما استقر ورتب ملابســه القليلة وكتبه المعـدودة رأى الأسرة تجمع حاجاتها وتنتقل الى قرية أخرى .

والده يجرى وراء رزقه ، وهو يجرى وراء والده ، لا يعرف الى متى سيبقى فى هذه القرية أو متى سيعود اليها ، وعرف الخوف من الليل .. من العفاريت التى تتراءى له فى خيـــاله البسيط ، وتواصل الأسرة الرحيـل .. الأم تحرص على حقيبـــة الملابس ، والأب يحرص على ســاعة الحائط ، وأنيس يحرص على الكتب القليلة ..

والتحق بالمدرسة الابتدائية ، وكان متفوقا فى دراسته ، فكرهه التلاميذ وأحس هو بالحرمان كلما رآهم يلبسون الملابس الجـديدة والاحذية الجديدة ..

وحار [illegible] يرى نفسه محروما من الملابس والاحذية الجديدة، ولكنه لم يحس [illegible] أن يرى نفسه محروما من الكتب عاجزا عن شرائها ، وكره الكتب - كل الكتب - لانها تشعره بالحرمان، فحمل كل ما كان قد تجمع لديه من كتب وباعها للبقال .. بالاقة ..

ولكنه بعد أن باعها كره البقـــال الذى اشتراها منـــه وكره الشارع الذى يوجد به البقال وكره نفسه وقرر أن ينتحر ·· واختار النيل قبرا له ، وقصد كوبرى المنصورة واستعد لالقاء نفســه فى النيل . ولكنه تذكر أمه المريضة ، وخيل اليه أنه يرى وجهها على صفحة النيل وهى تتقلب فى فراشها رافعة يديها الى السماء ·

وعدل عن الانتحار ، ولا يدرى حتى الآن ما الذى جعله يتذكر أمه فى هذه الصورة وكأنها تحول بينه وبين الموت ·

كان قد نجح فى الابتدائية بتفوق كبير · كان الاول ·
ونجح فى شهادة التوجيهية · وكان ترتيبه الاول ·
وفاز بجائزتين :

الاولى خمسة وعشرون جنيها ومجموعة كتب تسلمها من أحمد نجيب الهلالى باشا وزير المعارف فى ذلك الوقت ··

والثانية كانت خمسة وعشرين جنيها تسلمها من السير لامبسون السفير البريطانى وقتئذ فى مصر لتفوقه فى اللغة الانجليزية ·

وأودع له والده باقى المبلغ فى صندوق البريد بعد أن اشترى أنيس أول كتاب له قيمته فى حياته · واسم الكتاب « تاريخ الفلسفة اليونانية » واسم المؤلف الالمانى «تسللر» ··

ولم يعرف أنيس النوم فى هذه الليلة . فقد اعتبرها ليلة زفافه ، ظل يقرأ ويقرأ حتى فوجىء بدق عنيف على الباب ··

كان والده قد انتقل الى القاهرة وسمحت له السيدة نعمت يكن صاحبة الارض التى كان يعمل مفتشا لزراعتها بأن يقيم مع ولده فى حجرة جانبية فى قصرها ، وكانت السيدة المالكة تؤجر نصف القصر للقوات اليوغوسلافية التى كانت تعسكر فى مصر خــــلال الحرب العالمية الثانية ·

ولاحظت السيدة أن النور مضاء حتى ساعة متأخرة من الليـل فأمرت والده باطفاء النور توفيرا لبضعة مليمات قيمة استهلاك لمبة الكهرباء ··

ومنذ هذه الليلة بدأ أنيس ينام مبكرا ليستيقظ مبكرا حتى يقرأ فى ضوء النهار ، فاذا أحس برغبة ملحة فى القراءة ليلا وقف تحت أحد فوانيس شارع الامير حسين بالزمالك ليقرأ ·

ويبدو أن السيدة صاحبة القصر قد استيقظ ضميرها أو أن هذا الشاب الذى كان يدمن القراءة قد أثار اعجابها فطلبت من أحد

الخدم أن يصحبه الى مكتبتها • وكانت مكتبة سال لهـا لعابه ، مكتبة كلها كتب تاريخية وقانونية بأقلام عدد كبير من أدباء فرنسا

واهدت له السيدة كتاب « الافكار » للمفكر الفرنسى باسكال ، وكانت هذه الهدية سببا فى نسيانه للألم الهائل الذى سببته له عندما حرمته من القراءة ليلة اشترى كتاب « تاريخ الفلسفة اليونانية » •

وكان قد دخل الجامعة بعد معارضة شديدة من الوالد المنهك المرهق ، ولكن هذه المعارضة لم تكن أول معارضة ، فقد عارض دخوله المدرسة الثانوية من قبل ، ولكن تفوق أنيس من ناحيـــة وتأييد والدته له كان يرغم الاب على الاستسلام والموافقة •

وكما كانت مكتبة بلدية المنصورة سببا فى سعادته كانت أيضا مكتبة الجامعة نافذة كبرى له يطل منها على أعمال كبار الادباء والفلاسفة فى العالم كله •

وكان ترتيبه فى الليسانس أيضا •• الاول ••

بل انه كان طالب الفلسفة الوحيد الذى يدرس فى قسم الامتياز تحت اشراف المرحوم الدكتور منصور فهمى •

وفى هذه الفترة كان يتقاضى ستة جنيهات من الجامعة كمكافأة امتياز ، وحاول أن يزيد دخله ، واقترح عليه الدكتور شوقى ضيف أن يذهب بتوصية منه الى الاستاذ عبد الوهاب عزام ليوصى به لدى الاستاذ عبد الرحمن عزام أمين عام الجامعة العربية السابق ليرشحه بدوره فى أحد الاعمال بالسلك السياسى أو الامم المتحدة•

ولكن خجل أنيس من التعرف على الناس أو التطلع الى وجوه الناس منعه من الذهاب •

ومرة أخرى أرسله الى الدكتور على الرجال المحامى ـ وكان يرأس تحرير جريدة الاساس وقتئذ ـ فذهب أنيس وظل يدور حول مبنى جريدة الاساس مرة ومرة وهو عاجز عن الدخول وحده ، وساقت الصدفة زميلا له من خريجى قسم الفلسفة فأخذه من يده وقدمه للدكتور على الرجال الذى رحب به ووافق على نشر قصصه المترجمة ، وعندما عرف أن أنيس يتقن الفرنســـية والانجليزية والالمانية والايطالية واللاتينية ويعرف العبرية واليونانية اقترح عليه أن يعمل فى الاساس بانتظام بأجر قدره عشرون جنيها •

ورحب أنيس منصور •

وبدأت فى حياة أنيس منصور مرحلة جديدة مثيرة ٠

لم يكن قد دخل أحد الكباريهات من قبل ، فأصبح يزورها بانتظام ويتردد عليها كل ليلة ٠٠ يجلس وحده فى صمت ٠٠ لا يكلم أحداً

وبعد فترة بدأ يكتب قصصا عن الراقصات كان كل من يقرأها يعتقد أنها مغامرات شخصية لانيس ، ولكنه كتبها كلها من الخيال٠

واشتغل ـ الى جانب الصحافة ـ بتدريس الفلسفة الحديثة فى كلية آداب عين شمس ٠ كان يقوم بتدريس الفلســـفة الوجودية وتاريخ الحضارة ٠٠ الماركسية والبيان الشيوعى ٠ كان مطلوبا منه أن يقنع التلاميذ بفلسفات متعارضة تماما ٠٠

ولكنه استقال من الجامعة فى عام ١٩٥٥ بمناسبة صدور قانون نقابة الصحفيين الذى حرم العمل فى الصحافة على غير المتفرغين لها ، وقد بذل الدكتور مهدى علام جهدا كبيرا لاقناعه بعدم الاستقالة، ولكنه قال انه يستقيل من الجامعة المحدودة العدد بعشرين الفا ليلتحق بالجامعة غير محدودة العدد ٠٠

وكلما زاد دخله زاد عدد الكتب التى يشتريها ٠٠

ولعل أغرب مشهد يمكن أن يراه الناس لمؤلف أو أديب هو ماحدث عندما اشترى أنيس كمية ضخمة من الكتب الاجنبية أغلبها من تأليف شكسبير وموليير ٠٠ اشتراها من بائع عند سور الازبكية بمبلغ جنيهين ، واستأجر عربة « كارو » وعندما وصل الى كوبرى الزمالك اعترض عسكرى المرور وأصر على منع العربة الكارو من المرور ، وعبثا حاول أنيس منصور أن يقنع العسكرى بأن العـربة تحمل كتبا ٠٠ تحمل الفكر ٠٠ تحمل الكنوز ولا تحمل البطيخ أو الكرنب ، ولكن العسكرى أصر أن تتجه العربة الى كوبرى امبابة٠ وتجمع المواطنون ليشهدوا هذه الصورة الغريبة ، وخضع أنيس لارادة العسكرى وسار الى جوار العربة الكارو وهو يربت على الكتب كما يربت الأب على طفله الرضيع ٠

وأول كتاب أصدره أنيس منصور هو « وحدى مع الآخرين » وقد اختار له العنوان المرحوم الاستاذ كامل الشناوى ٠

ثم توالت كتبه المؤلفة والمترجمة حتى صدر له كتابان أحدثا ضجة كبرى :

● كتاب الوجودية ٠٠ وكان أول كتاب باللغة العربية السهلة عن الوجودية ، وقد بيع منه ٣٠ ألف نسخة ٠

● كتاب حول العالم فى ٢٠٠ يوم ، وقد أعيد طبعه خمس مرات ومنح انيس جائزة الدولة فى أدب الرحــــلات ، وقد قالت هيئة اليونسكو فى تقرير لها أنه أكثر الكتب العربية انتشارا منذ عام ١٩٦٥ رغم أنه يباع بمبلغ كبير بالنســـبة لسـعر معظم الكتب العربية ٠

وكان أنيس قد سافر فى رحلة حول العالم وافى خلالها دار أخبار اليوم برسائل اثارت اعجاب واهتمام القراء لما حوته من طرافة ومغامرات وثقافة فى أسلوب ســهل تقبله كل القراء من مختلف المستويات والثقافات، وعندما صدر الكتاب تلقفته الجماهير فاعيد طبعه مرة وثانية وخامســـة ، وفى الطبعة الاخيرة كتب الدكتور طه حسين عميد الادب العربى مقدمة له قال فيها .

« هذا كتاب ممتع حقا فلا تنقص متعتك بل تزيد كلما تقدمت فى قراءاته ٠

ومع أنه من الكتب الطوال جدا فميزته الكبرى هى أنك حين تقرؤه لا تحتاج الى راحة وانما تود لو تستطيع أن تمضى فيه حتى تبلغ آخره فى مجلس واحد ، لانك تجد فيه المتعة والراحة والسلو وارضاء حاجتك الى الاستطلاع » ٠

هذه شهادة عظيمة من رائد عظيم ٠٠

وقد توالى انتاج انيس منصور من الكتب والمسرحيات حتى بلغ عددها ٣٩ كتابا منها ١٥ مترجمة والباقى مؤلف بخلاف التمثيليات والمسلسلات التى قدمها للاذاعة والتليفزيون ٠

وله الآن تحت الطبع الكتب التالية :

يوم بيوم ، شارع التنهدات ، الاظافر الطويلة وهى دراسات عن المرأة ، والحائط والدموع وهى دراسات عن اسرائيل ٠

وكتب أنيس منصور تأثرت الى حد كبير بعواطفه الشخصية أو تجاربه الخاصة :

● الكتب المترجمــة يبرز فيهــا انتاج الكاتب الايطالى الكبير البرتو مورافيا ٠٠ وهو صديق شخصى لأنيس منصور ٠

● الكتب المؤلفة ــ وابرزها ــ كتابه الرائع ٢٠٠ يوم حول العالم عبارة عن حصيلة تجاربه ومشاهداته فى رحلته حول العالم مخلوطة بثقافته الواسعة وعصير حياته ٠

ولكن هناك كتب تأثرت الى حد كبير بظروفه الخاصة وان كان لم يتبين ذلك الا بعد طبعها ونشرها بسنوات ، ومثال ذلك كتابه « يسقط الحائط الرابع» والاسم يرمز الىمشاهد المسرح التى دائما مايقدمها لنا المؤلفون فى هيئة حجرة أو قاعة تبدو جدرانها ناقصة الحائط الرابع وهو ما يطل منه المتفرج فى صالة المسرح على الممثلين فوق المسرح ٠

وفى حياه انيس منصور قصة اليمة ترتبط ارتباطا وثيقا بعنوان كتابه « يسقط الحائط الرابع » ، ففى فترة من فترات عمره كان يعيش مع والدته فى الدور الاول من مسكن يطل على الشارع المطل على النيل عند حى امبابه ، وفجأة سقط الحائط المطل على الشارع ، وعجز انيس منصور عن الانتقال الى مسكن آخر لضيق ذات اليد ، فكان ينام فى وقت مبكر ثم يخرج قبل شروق الشمس ، حتى لا يراه الناس وهو نائم اثناء مرورهم فى الشارع ٠

كانت حجرته أشبه بالمسرح ٠٠ والجمهور هم المارة فى الشارع٠

والغريب أن أنيس منصور كان يقابل هــذه المأساة بالابتسام والسخرية ، وكنا نلتقى فجر كل يوم عند فندق الفونتانا ولا يكف أنيس منصور عن الضحك والقاء النكت دون أن يشير الى المأساة التى يعيشها ، ولكنها ترسبت فى أعماقه حتى بعد أن طبع كتـابه « يسقط الحائط الرابع » ٠٠ لم يتنبه الى الصلة بين عنوان الكتاب وبين هذه القصة فى حياته الا بعد سنوات ٠

وقد اختير عضوا فى لجنة القصة ولجنة النشر بالمجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب ٠٠

وكذلك اختير عضوا بلجنة التفرغ ، وهو أيضا عضو بمجلس ادارة المؤسسة العامة للتأليف والنشر ٠

وبعد هزيمة ٥ يونيو قام بمجهود كبير ٠ نجح فى جمــع كل الكتب العربية المؤلفة والمترجمة عن الكيان اليهودى والصهيونية وأقام معرضاأسماه «معرض اعرف عدوك» وتنقل مع هذاالمعرض من القاهرة الى كفر الشيخ الى طنطا وعاش فى الموالد ليعرف الناس بأبعاد القضية التى نعيش أحداثها والمعركة التى نخوضها ٠

وقد خاض معارك ادبية ضارية ، الاولى دخلها فى عام ١٩٤٨ الى جانب المرحوم الاستاذ عباس محمود العقاد مدافعا عنه ، وهى

المعركة التى عرفت باسم « معركة الادب الهادف » ، ولانيس منصور تاريخ طويل مع العقاد كله اعجاب ومحبة ودراسة ، فقد كان دائما حريصا منذ قدم الى القاهرة على أن يحضر ندوة يوم الجمعة فى بيت العقاد ..

والمعركة الثانية كانت فى عام ١٩٥٤ وهى المعركة التى عرفت باسم .. معركة الوجودية ..

ومن الحكايات الطريفة التى أذكرها عن أنيس بمناسبة هـــذه المعركة أن السيدة والدته سمعت خطيب مسجد سيدى أبى العلا يدعو قائلا :

ـ « اللهم اخرب بيت انيس منصور » ..

وكان ذلك على أثر نشره مقالا من المقالات العنيفة التى كتبها دفاعا عن وجهة نظره ..

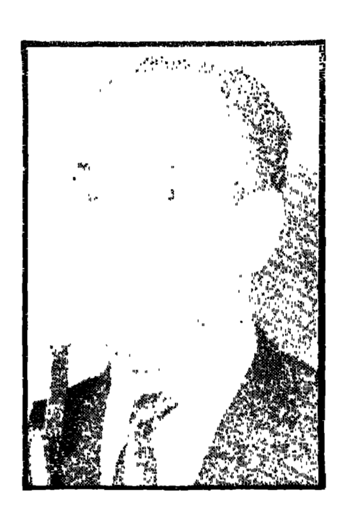
وقد انزعجت السيدة والدته ، وفى الحال أحضرت سيارة لورى ونقلت العفش من المنزل الذى كانوا يقيمون به قرب سيدى أبى العلا فى بولاق ، نقلت العفش دون أن تعرف الى أين .. وأخيرا وجدت شقة فى شارع ضريح سعد نقلت اليها المنقولات ، ثم اتصلت بأنيس فىالجريدة لتبلغه القصة وترجوه أن يوقفهذه المقالات حتى لايدعو مشايخ المساجد عليه « بخراب البيت » .

وفى العام الماضى أثار معركة حول العربية الفصحى ، وشن حملة على المذيعين والمذيعات مطالبا باستبعاد من لا يجيد النطق بالعربية الفصحى منهم ، واختير فعلا فى لجنة امتحان المذيعين التى استبعدت ٨٠٪ منهم ..

وكان أنيس منصور أول من هاجم جان بول سارتر عقب زيارته لمصر فى عام ١٩٦٨ نظرا لولائه للصهيونية ودفاعه عن مخططاتها العدوانية ..

وقد توفى والد أنيس منصور بعد حصوله علىالليسانس ، وكأنه كان ينتظر أن يطمئن عليه ، أما والدته فقد أعد لها مسكنا قريبـــا من مسكنه عبارة عن خمس حجرات فيها كل ما يريحها ، ويوما بعد يوم أو سنة بعد اخرى يرتفع رصيد أنيس منصور من الكتب التى يؤلفها أو يترجمها ، ولكنه سيظل أبدا على حافة الافلاس ما لم تحدث معجزة ويعرف حتى كيف يعد المبالغ التى تصرف له.







أنه من أرق النـاس الا أن حياته بدأت بمعركة ...
فقد تفتحت عيناه على الحياة فى الاسبوع الاول من مولده على معــــركة بين الجنسين :
الجنس الخشن مثله فى هذه المعركة ·· والده ··
والأم مثلت الجنس الناعم ··

كان الوالدان يسكنان فى حى مصر الجديدة · وكان مفروضا أن يولد صالح فى مصر الجديدة ، لولا أن خلافا نشب بين أبيه وأمه · وكان موضوع الخلاف هو :

★ ماذا يسمى مولودهما المقبل ؟

كان الوالد يريد أن يسميه ـ ان كان ذكرا ـ صالح ، على اسم شقيق له كان يومئذ من كبار رجال القضاء • وكانت الأم تريد أن تسميه عبد الرحمن على اسم أبيها •

وتشبث كل منهما برأيه • ثم خطر لأمه ـ وكانت سيدة مفرطة الذكاء ـ خاطر ذكى ، هو أن تزعم لأبيه انها تريد أن تريح أعصابها قليلا فى ضيعة كانت لها بالقرب من مدينة الزقازيق ، على أن تعود الى مصر الجديدة قبل موعد الوضع •

وذهبت فعلا الى الضيعة ، وظلت هناك حتى وضعت ، وقيدت المولود باسم عبد الرحمن ، وبعد أن اطمأنت الى صدور شهادة الميلاد ، أبرقت الى زوجها بمولد •• عبد الرحمن •

وجاء الوالد ، ووجد نفسه أمام الامر الواقع •• ولكن هل يستسلم ؟

أبدا •• لقد أخذ شهادة الميلاد الى وزارة الصحة ، وشطب اسم عبد الرحمن ، ونفذ مشيئته وغير الاسم الى : صالح جودت •

وعادوا جميعا الى القاهرة •• وهدأت المعركة •
كان مولد صالح عند أذان الفجر يوم ١٢ شهر ١٢ سنة ١٢ •••

أعنى عام ١٩١٢ •• وهو نفس اليوم الذى ولد فيه صديقه نجيب محفوظ، ولهذا فان كلا منهما يحرص على أن يسبق الآخر الى تهنئة صديقه كلما أقبل ذلك اليوم من كل عام •

ورغم أن والد صالح جودت كان مهندسا زراعيا ، الا أنه كان يعشق الادب ويروى الشعر وينظمه بأناقة ، وكان يؤمن ـ كما امن صالح من بعده ـ بأن اجمل خصائص الشعر هى الموسيقى ، فاذا لم تتوافر الموسيقى لشاعر، فعليه أن يتخلى عن نظم الشعر ، ولهذا كان أحب شعراء العربية الى قلبه هو أحمد شوقى • وقد ورث صالح عنه هذه العقيدة •

وكان يروق لصالح جودت ـ منذ نعومة أظفاره ـ ان يستمع الى أبيه وهو جالس مع أصدقائه كل ليلة فى حديقة دارهم بمصر الجديدة، يقرأ عليهم ما لذ وطاب من الشعر ، ولا سيما شعر احمد شوقى
وكان صالح يحس انه مأخوذ بهذا الجرس الجميل ، الى حد أنه حاول وهو فى السابعة أن يقلده •

وتعددت محاولاته ، وهى محاولات لا يزال يذكر بعضها حتى

الآن ، ويضحك كلما ذكرها ، لانهـا كانت « لعب عيـال » كمـا يقولون ·· وكما يصفها هو ·

وكانت فى البيت مكتبة كبيرة ، بدأ صالح يعبث فيها وهو فى الخامسة ، ثم بدأ يقلب صفحاتها متأملا ، فما أن أدرك العاشرة من عمره حتى كان قد أنجـز قراءة بعض أمهات الكتب مثـل مقامات الحريرى ، كما كان قد حفظ أكثر الشوقيات ·

وكان صـالح طفلا هادئا هدوء الملائكة ـ كما كان يصفه أهله وأصحابه فى ذلك الحين ـ وكان أخوه اسماعيل، وهو يكبره بعامين، على نقيضه تماما ·· كان شيطانا مخربا ·· كانا يدرسان معا فى مدرسة الفرير بمصر الجديدة

وكان ناظر مدرسة السلطان حسين «بايزيد أفندى» ، رجلا تركيا جبارا لا يعرف الرحمة · فكان كلما ارتكب اسماعيل جودت حماقة من حماقات الشياطين الصغار ، جلد الناظر الاخوين ·· اسماعيل وصالح ··

وهكذا جلد صالح جودت فى طفولته « بالفلقة » مئات المرات بغير جريرة ··

وحصل صالح على الشهادة الابتدائية والتحق بمدرسة الامير فاروق الثانوية ·

وفى أول يوم من أيامه فى هذه الدراسة حدث حادث كان له أثر كبير فى حياة صالح جودت · فقد اصطف التلاميذ الجدد جميعا فى طابور استعراضى على شكل مربع ، ووقف الناظر فى وسط هـــذا الطابور وصاح بأعلى صوته :

ـ صالح جودت ·

وكانت مفاجأة لصالح ارتعدت لها فرائصه ، اذ كان شبح بايزيد افندى ناظر مدرسة السلطان حسين لايزال ماثلا أمامه فى كل لحظة · يرسم له صورة الناظر فى كل مدرسة كتمثال للقسوة ·

وتقدم صالح الى الناظر بخطى مرتجفة ، فاذا به يبتسم له ويربت كتفه ويصيح بأعلى صوته فى زهو :

ـ أصغر تلميذ حصل على الشهادة الابتدائية فى تاريخ هـــذه الشهادة ·

وصفق الجميع له ·· الناظر والمدرسون والتلاميذ ··

ومنذ هذه اللحظة ركبه الغرور •• الغرور الذى كلفه عامين من العمر رسبهما في السنة الاولى الثانوية بعد ان كان الاول دائما فى المدرسة الابتدائية ••

الغرور •• الذى همس فى خاطره : مادمت صغيرا الى هذا الحد فلماذا لا تلعب حتى تكبر ؟ ولعب •• وساعده على اللعب عاملان :

أولهما : ان مدرس الموسيقى والاناشيد الذى عين بالمدرسة فى تلك السنة بالذات كان شابا صغيرا مرهف العود لطيف الحديث ، اعتبره صديقا له منذ أول يوم فى السنة الدراسية ، لما لمسه فى صالح من حب للشعر والموسيقى والفن بصفة عامة •

وكان اسم هذا المدرس : محمد افندى عبد الوهاب •

وهو نفسه الذى أصبح فيما بعد الموسيقار الكبير محمد عبد الوهاب ••

أما العامل الثانى فهو أن المدرسة كانت على مسيرة خطوات من شاطىء روض الفرج ، وكان يومئذ حافلا بنحو عشرة مسارح ، يعمل بها كبار نجوم الكوميديا فى ذلك العهد ، مع كثير من نجوم الغناء والرقص مثل على الكسار وفوزى منيب وفوزى الجزائرلى وعلية فوزى وملك واحسان الجزائرلى ومارى منيب وحامد مرسى وعقيلة راتب ورتيبة أحمد وفتحية أحمد وفاطمة رشدى وشمس قدرى •

وتعرف التلميذ صالح جودت الى الكثيرين منهم ، وبدأ احساسه بالفن يتأصل ويتعمق •

كان والده فى ذلك الحين يعمل فى المنصورة ويقيم بها وحده ، ويتردد على الأسرة فى القاهرة بضعة أيام كل شهر •

وكانت الأم تحاول أن تثنى ولديها صالح واسماعيل عن اللعب والسهر فى روض الفرج معتمدة على نفسها فى هذه المحاولة بكل وسيلة من وسائل الاقناع ، ثم العنف على غير طائل •

فلما تكرر رسوبهما فى المدرسة صارحت والدهما بالحقيقة كاملة ، فلم يجد بدا من أن ينقلهما معه الى المنصورة •

التحق صالح بمدرسة المنصورة الثانوية ، وكان قد افاق من عقدة الغرور ، اذ وجد حوله تلاميذ فى مثل سنه وأصغر منه ، فقرر أن يجد فى دراسته •

وفى المدرسة تآلف مع أكثر من صديق ممن يعشقون الادب وينظمون الشعر ويعيشون للحب والفن والجمال، منهم المرحوم م٠ع٠الهمشرى صاحب الملحمة الكبيرة «شاطىء الاعراف» الذى توفى فى أوج شبابه ، ومختار الوكيل المستشار بجامعة الدول العربية الآن ٠٠ وغيرهما ٠

وفى أوائل تلك الفترة ـ فترة المنصورة ـ شاءت الصدفة المحضة أن تربط صالح جودت بالصحافة ، اذ أقامت فرقة يوسف وهبى ـ فى عز مجد رمسيس ـ بضع حفلات فى المنصورة ٠

ووجهت مدرسة المنصورة الثانوية الدعوة الى يوسف وهبى وفرقته لحضور حفلة شاى ، وطلب الناظر من صالح أن ينظم قصيدة فى تكريم عميد المسرح ٠٠ ففعل وقوبلت القصيدة باستحسان كبير ، وأرسلت القصيدة فنشرت أكثر الصحف مقتطفات منها ، كما نشرت كاملة فى مجلة الصباح وكانت يومئذ المجلة الفنية الاولى فى مصر ٠

كان هذا حدثا هائلا فى حياة صالح وهو فى الثانية عشرة من عمره ٠

بعد ذلك بأيام قرأ فى « الصباح » مقالا لكاتب معروف يحمل فيه حملة شعواء على أم كلثوم وينكر موهبتها وينسب الفضل فى تألقها الى شعر رامى وألحان القصبجى ٠

وكان صالح لا يعرف طبعا أم كلثوم فى ذلك الوقت ، ولكنه كان يعشق صوتها ويتعصب لها ٠٠ ولا يزال ٠ فشمر عن ساعده وكتب مقالا حماسيا فى الدفاع عن أم كلثوم واجلال موهبتها مع عدم انكار فضل رامى والقصبجى ٠

ونشر المقال فى الصباح تحت عنوان « دفاع عن أم كلثوم » بقلم الاستاذ الكبير صالح جودت ٠٠

وفرح كثيرا بكلمتى « الاستاذ الكبير » دون أن يركبه الغرور هذه المرة بعد أن تعلم درسا قاسيا فى مساوىء الغرور كلفه سنتين من العمر ٠

ومنذ ذلك اليوم واصل الكتابة شعرا ونثرا فى « الصباح » كل اسبوع ٠ وكان من كتابها يومئذ كثير من الادباء البارزين منهم الدكتور زكى مبارك والدكتور سعيد عبده ٠٠ وغيرهما ٠

وظلت عبارة « الاستاذ الكبير » تقترن باسم صالح الى أن أنجز دراسته الثانوية بتفوق ، وعاد الى القاهرة ليلتحق بالجامعة ٠

وخطر له أن يذهب لزيارة الاستاذ مصطفى القشاشى صاحب مجلة «الصباح» لاول مرة ··

وحينما استقبله لم يدر بخلده أبدا أن يكون « الاستاذ الكبير » هو ذلك الشاب الذى لايزال فى العقد الثانى من عمره ·· بل ظن أنه ابن « الاستاذالكبير » وأنه موفد من قبله فى شأن من الشئون ·

وحين عرف الاستاذ القشاشى الحقيقة ، ربت كتف صالح وصرفه بطريقة مهذبة ·

وكان عنده مقال له لم ينشر بعد ، فاذا بصالح يفاجأ بظهور مجلة « الصباح » وفيها ما يلى :

« جاءنا من الاديب صالح افندى جودت مقال نجتزىء منه ما يلى » ··

وهكذا فوجىء بضياع لقب « الاستاذ الكبير » بعد أن تمتع به أربع سنوات ، وبنشر عشرة سطور من مقاله ، بعد أن كانت مقالاته تنشر كاملة ·· وفى أحسن مكان ·

وغضب صالح ·· وآل على نفسه الا يبعث الى مجلة الصباح بشىء أبدا ·

وبدأ يرسل شعره لمجلات الثقافة والرسالة والسياسة الاسبوعية والاسبوع ·· وغيرها من صحف ذلك العهد ·

وبعد أسابيع · وكان قد التحق بكلية التجارة ــ فوجىء برسالة من المرحوم الاستاذ القشاشى يدعوه فيها لمقابلته ··

وذهب اليه وهو لا يخفى غضبه ، فطيب خاطره ، وعرض عليه أن يعمل معه بأجر قدره جنيهان كل أسبوع ·

وكان هذا أجرا سخيا فى ذلك الوقت ، ولا سيما بالنسبة لطالب فى أول العهد بالجامعة ، وأسخى من ذلك أن هذا العمل هيأ له أن يتعرف بأعلام الفن فى مصر ، ويختلط بهم ويسهر معهم ، ويعقد معهم أوثق الصلات ··

كان طبيعيا أن يلتحق صالح بكلية الآداب ، ولكنه التحق بكلية التجارة عامدا متعمدا ، لان الادب كان فى ذلك العهد صناعة حرمان ·· وصالح لا ولم يحب الحرمان ·

لقد رأى أباه يضيع امواله فى الترف ، ويأخذ ثروة أمه فينفقها

على الأسرة وعلى ملذاته عن سعة ، وهكذا أحب صالح الترف وكره الحرمان ، وقال لنفسه وهو مقبل على الجامعة :

ـ فلألتحق بكلية التجارة لاصبح رجل مال او اقتصاد ، واجعل الادب هواية لا صلة لها بلقمة العيش •

وفى رحاب أبوللو ـ وكان لا يزال فى الحلقة الثانية من العمر ، طالبا بالسنة الاولى بكلية التجارة ـ عرف صالح أعلام الادب وخالطهم وصادقهم ، وبدأ معهم المدرسة الجديدة فى الشعر ، الثائرة على الموضوعات التقليدية ، المتجهة الى الشاعرية الصافية المتجددة المتسامية التى تجل الشعر عن أن يكون أداة للمديح أو للهجاء أو للكسب أو للغايات الدنيوية الدنيا •

★★★

انجز صالح دراسته فى كلية التجارة فى العلوم السياسية ، وكان الاول فى مادة « التعاون » • ولهذا أراد أستاذه الرائد التعاونى الكبير الدكتور ابراهيم رشاد أن يلتقطه عند تخرجه ليعمل معه ، وكان يعمل وقتئذ مديرا لمصلحة التعاون ، ولكن صالح أشفق من أن يتعرض للنقل الى الارياف ، وهى حقل التعاون الاول ، وصالح قاهرى يحب القاهرة ويعشقها ولا يستطيع الحياة الا فيها •

وذات ليلة دعى لحفلة استقبال بنادى التجارة تكريما للزعيم الاقتصادى خالد الذكر طلعت حرب •• والقى صالح فى هذا الحفل قصيدة تاثر بها طلعت حرب فاستدعاه لمقابلته فى اليوم التالى وعرض عليه منصبا كبيرا رغم صغر سنه ، وكان المنصب : مدير الدعاية والنشر ببنك مصر وجميع شركاته ••

وكانت فرحته الكبرى بالمنصب لسبب هام هو انه ضمن بقاءه فى القاهرة ••

وواصل دراسته فحصل على دبلوم الدراسات العليا فى العلوم السياسية ، كما واصل طريق الادب فى الوقت ذاته حتى وجد ذات يوم أن دخله من الادب ومن السينما والاغانى والاذاعة والقصة يعادل أربعة أمثال مرتبه على الاقل •

ويومئذ قرر أن يتفرغ للصحافة ـ لانها اقرب الاعمال الى الادب•

وكانت خطواته الاولى فى صحيفة الاهرام، ثم عين رئيسا لتحرير مجلة الاذاعة المصرية ومجلة « كايرو كولنج » التى كانت تصدر عن دار الاذاعة المصرية باللغتين الفرنسية والانجليزية •

ورويدا رويدا ، وجد نفسه يتحول من صحفى الى اذاعى ، ومن رئيس تحرير الى مدير أحاديث ثم الى مراقب للبرامج الثقافية .

وفى سنة ١٩٥٣ رأى الوزير المشرف على الاذاعة أن يغير الطاقم الذى كان يديرها ، فاستغنى عن خدمات مدير الاذاعة ووكيلها ومراقبها وعشرات من رجالها القدماء .

وفى نفس اليوم وجد صالح جودت نفسه عائدا الى الحضن الرحيم .. الى الصحافة .

وما زال صالح جودت يعمل حتى اليوم فى دار الهلال ..

فى الشعر قدم صالح الانتاج التالى :

ديوان صالح جودت ـ ديوان « ليالى الهرم » ـ ديوان « اغنيات على النيل» ـ ديوان «حكاية قلب» ـ ديوان «ألحان مصرية» ـ ديوان « أغانى القاهرة » .. والديوان الاخير تحت الطبع .

كما قدم للمكتبة العربية مجموعة ضخمة من القصص والتراجم والمسرحيات .

وللسينما كتب عشرات من القصص وسيناريوهات الافلام ، كما كتب مئات من الاغانى للسينما والاذاعة والتليفزيون .

وعلى مستوى القراء أصبح صالح جودت فى مقدمة شعراء العربية

وعلى المستوى الرسمى حصل على الجوائز والاوسمة التالية :

★ الجائزة الاولى عن أحسن انتاج شعرى غنائى عن السد العالى من المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب .

★ جائزة الدولة التشجيعية للشعر .

★ جائزة شوقى عن سيرة حياة شاعر قومى من المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب .

★ وسام العلوم والفنون من الطبقة الاولى من الرئيس جمال عبد الناصر ..

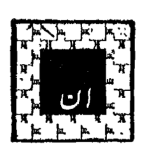
★ وسام العرش من الملك محمد الخامس ملك المغرب ـ رحمه الله .

★ وسام النهضة من الطبقة الاولى من الملك حسين ملك الاردن .

كما حصل على دبلوم الدراسات المتخصصة للامم المتحدة .







تبدأ حياتك العملية فى الرابعة والعشرين من عمرك فهذا شىء معقول جدا وعادى جدا ·· ولكن أن تحال الى المعاش فى الرابعة والعشرين من عمرك فهذا شىء غريب جدا بل ومثير جدا ··

وهذا هو ماحدث لشاعر العراق الكبير حافظ جميل ·

وقعت هذه القصة فى عام ١٩٣٢ ، وكان حافظ جميـل يعمل مدرسـا لآداب اللغة العربية فى دار المعلمين بالعاصمة بغداد ، ثم تراءى له أن يبدى رأيه فى بعض الاحداث والظروف التى كان يجتازها العراق ، فنظم قصيدة رأى فيهـا المسئولون عن الحكم يومئذ تنديدا بالعائلة المالكة التى كانت تحكم العراق والتى استمر حكمها حتى سقطت بقيام الثورة عام ١٩٥٨ ·

عقب نشر القصيدة نقل فورا الى البصرة مدرسا بالمدرسـ
الثانوية ، ولم يقف الامر عند هذا الحد ، فبعد شهر تقريبا صـ
قرار باحالته الى المعاش ، ولم يكن قد تجاوز الرابعة والعشر
من عمره ، فقد ولد حافظ جميـــل فى بغداد عام ١٩٠٨ ، و
العاصمة العراقية أتم مرحلة الدراسة الابتدائية ثم الثانوية ، و
عام ١٩٢٥ انتقل الى بيروت حيث التحق بالجامعة الامريكية ، و
عام ١٩٢٨ حصل على بكالوريوس فى العلوم ·

ولكن ما هى علاقة العلوم بالشعر ؟

وكيف أصبح المتخصص فى العلوم عملاقا فى الشعر وامتدا
لحافظ ابراهيم شاعر النيل ؟

كيف صدقت نبوءة السيد منير القاضى وزير معارف العـــر
الاسبق ورئيس المجمع العلمى العراقى الاسبق ، فهو يقول بالحر
الواحد فى مقدمة ديوان « نبض الوجدان » الذى أصدره حافظ جم
فى سنة ١٩٥٦ :

ـ كانت فراستى فيه قبل ثلاث وثلاثين سنة ـ وهو لم يتجا
السادسة عشرة من العمر ـ أنه سيكون ذا شأن فى الشعر ، فقـ
كتبت له حينئذ هذه العبارة : «ستكون أكبر شاعر فىقطرك ياحافظ
وقد صدقت فراستى فيه ، اذ جاءنى بعد تلك المدة الطويلة بهـ
الديوان الذى جمع فيه ديباجة « المتنبى » وفلسفة « المعرى » ف
الحياة ، ونظرات « الصافى » فى الاجتماع ، وتحققت امالى فيـ
سيبلغه ذلك اليافع النبيل والشاب الكريم الاصيل ، من مقام رفيـ
بين شعراء عصره ، ومنزلة مرموقة بين أدباء قطره ·

كيف صدقت نبوءة رئيس المجمع العراقى الاسبق التى نطق بهـ
فى عام ١٩٢٢ ؟

وقبل أن نجيب على هذه الاسئلة يحسن أن نوضح نقطة هامة
فنجاح أو عبقرية شخص ما فى ناحيــة ما خصوصــا فى العلو
الانسانية يمكن أن يبدو امرا عاديا فى ظروف عادية لمجتمع مستق
متحرر ، ولكن الأمة تكون ـ فى فترات ضياع استقلالها أو هبو
مجتمعها ـ أحوج ما تكون الى الشــعراء الملهمين أو الكتـــا
المستنيرين ·

والامة العربية تعتز وتفخر بالكثيرين من عمالقة الشعر والادب
فى تاريخها كما يعتز اليونانيون بشاعرهم هوميروس الذى برع فـ

تأليه أبطال اليونان ، وكما يطرب الفـــرس لكل ما قاله صــاحب « الشهنامة » في تاريخ سير ملوك الفرس ·

وعندما وقف الدهر بالادب العربي وتراجع به الى الوراء ، تراجع الشعر أيضا ، واختفى الشعراء وكأن الارض العربية عقمت الا من شعراء عجزوا عن تحريك أحاسيس العرب·· واستمرت هذه المرحلة عدة قرون كانت كلها ظلاما وانهيارا في حياة العرب ·

ومع نبض عرق الحياة في جسم الأمة العربية في نهضتنا الحديثة تحرك فيها روح الشعر ، وارتفع صوته بعد أن كان خافتا ، ونهض به مجموعة من شـــعراء العصر فانتشلوه من كبوته وفي مقدمتهم «البارودي» و «اسماعيــل صبري» و «الرصــافي» و «الزهاوي» و «الصافي» و «حافظ ابراهيم» و «أحمد شوقي» و «خليل مطران»·· وغيرهم ··

لم يكونوا يقولون الشعر من أجل الشعر ، وانما كانت قصائدهم عامرة بالوطنيات والفلسفيات ·· وأثاروا في العرب ما كان الطغاة وأعداء الاسلام قد تعمدوا أن يطمسوه وأن يتلاشى من الاذهان جيلا بعد جيل ··

وقد شارك في هذه النهضة الادبية والوطنية مجموعة من الشباب في العراق وسوريا ولبنان ومصر ، في مقدمتهم حافظ جميل ·
أما كيف حدث ذلك ؟

وكيف نبغ حامل بكالوريوس العلوم وأصبح شاعرا يفخر به العراقيون ، بل والعرب جميعا ؟

والواقع أن والد حافظ جميل كان أول أستاذ تتلمذ على يديه في دراسة علوم اللغة العربية ، كان الشيخ عبد الجليل جميل ـ فضلا عن كونه يمارس الشعر ـ وأحد أعلام زمانه في العلوم الدينية واللغوية وقد رأى أن من الممكن أن يجمع ولده حافظ جميل بين الدراســـة العصرية في المدارس الحكومية وعلوم اللغة والدين على أيدي معلم خاص أو « الملا » كما يسميه أهل العراق ·

وهكذا كان حافظ جميل عندما دخل المدرسة الثانوية يتميز بين زملائه بتفوق في الصرف والنحو والفقه ·

وفي المدرسة الثانوية كان يدرس على يدي أستاذين جليلين همــا المرحوم طه الراوي ومنير القــاضي الذي أصبح وزيرا للتعليم في العراق ثم رئيسا للمجمع العلمي في العراق ·

ولمس الاستاذان في حافظ جميل قابليته على حفظ الشعر بسرعة مدهشة ، وبعد أقل من عامين بدأ ينظم المقطوعات الشعرية الواحدة بعد الاخرى ويعرضها عليهما ، وكان ينال منهما كل تشجيع واعجاب.

وقد أتيح لحافظ جميل أثناء هذه الفترة من صباه أن يتعرف الى الشاعرين الكبيرين المرحومين الزهاوي ومعروف والرصافي، وعندما عرض عليهما بعض قصائده الشعرية نال منهما كل تشجيع وتعضيد.

وفي عام ١٩٢٣ ـ أي وهو في الخامسة عشرة من عمره ـ استطاع أن ينشر مجموعة شعرية صغيرة باسم « الجميليات » . وقد فاز بالجائزة الاولى لمسابقة شعرية أقامتها هيئة سوق المجنة في بغداد للشعراء العراقيين الشباب ، وكان المحكمون فيها هم الزهاوي وطه الراوي وعبد الرحمن البنا ومنير القاضي .

★★★

وفي عام ١٩٢٥ التحق بالجامعة الامريكية في بيروت لدراسة العلوم ، ولكنه لم يتوقف عن دراسة الأدب ، ففي لبنان تعرف على نخبة من الشعراء الشبان كان منهم المرحوم ابراهيم طوقان من فلسطين والدكتور وجيه البارودي من سوريا والدكتور عمر فروخ من لبنان . وتوثقت الصلة بينهم الاربعة حتى كانوا لايفترقون عن بعضهم قط ، وكانوا في أوقات الدراسة في الجامعة يلتقون ليساجلوا الشعر وينظموه فرادى أو شركاء ، وربما تكون هذه المجموعة هي الوحيدة من نوعها التي اشترك في نظم كل من قصائدها أربعة من الشعراء ، ولذلك أسموا هذه المجموعة الشعرية « المشترك » .

ولم يحصر حافظ جميل نفسه داخل نطاق الجامعة الامريكية ، فقد اتصل أيضا ببعض الشعراء اللبنانيين المعروفين أمثال بشارة الخوري والحوماني وعبد الرحيم قليلات .. وغيرهم . وهؤلاء كان لهم فضل كبير في توسيع مجال حياته الادبية .

وفي عام ١٩٢٨ عاد حافظ جميل الى العراق بعد أن حصل على بكالوريوس العلوم .. عاد ليجد شغل العراق الشاغل هو نيل الاستقلال ، وكان قد عين عقب وصوله مدرسا لآداب اللغة العربية في المدرسة الثانوية المركزية في بغداد ، ولكن هل يقف جامدا سلبيا أمام الاحداث التي يمر بها وطنه ؟

لقد اندفع بايمان وصدق واخلاص ليساهم بشعره في معركة الاستقلال ، وفي أوائل عام ١٩٣٢ ، ألقى قصيدة رأى فيها المسئولون

يومئذ تنديدا بالعائلة المالكة • وفى الحال صدر قرار بنقله الى مدرسة البصرة الثانوية • ولم يقف الامر عند هذا الحد فقد صدر قرار باحالته الى المعاش بعد شهر واحد •

وهكذا أحيل الى المعاش وهو فى الرابعة والعشرين من عمره •

وقبل أن نسترسل فى متابعة قصة حياة الشاعر الكبير يحسن أن نتوقف قليلا لنجيب على التساؤلات التالية :

★ هل أصبح حافظ جميل شاعرا بالوراثة ؟

★ هل نجح والده فى أن يجعله خليفة له فى هذا المضمار حتى تفوق الابن على أبيه ؟

★ أم أن هناك عوامل أخرى ساهمت فى ابراز موهبته ؟

الواقع أن الحس المرهف الذى يتميز به حافظ جميل بالاشتراك مع الآلام التى واجهها يضاف اليهما الدراسة والتحصيل •• كل هذا ساهم فى تكوين شخصيته التى وضحت وبرزت منذ فجر شبابه •

ولكن هذه الآلام •• ما هى وما أهميتها فى حياة انسان لم يشعر بالام الجوع يوما ولم يلسعه برد الشتاء قط ، فحياته كانت دائما ناعمة هانئة •

الواقع أن آلام حافظ جميل بدأت معه فى فجر حياته ، فقد فقد أمه وهو فى دور الفطام ، ورأى والده أن أسلم الطرق للعناية بتربيته ورعايته هو أن يتزوج من خالته ، ولست أدرى ان كان خيرا أم شرا أن خالته كانت تعامله فى معظم الاحيان بالشدة والعنف ، وكان لهما أثر عنيف فى نفسيته الشفافة وفى أحاسيسه الرقيقة •• ومنذ طفولته شعر بأنه متعطش الى الحب ، وكان يتلذذ كلما صادفته قصة حب مؤلمة ليعود فيبدأ صفحة أخرى فى قصة حب جديدة •

وجنبا الى جنب مع الآلام التى أحسها من قسوة خالته بعد زواجها من أبيه واجه آلاما أخرى على يدى « الملا » الذى كان يعلمه القراءة والكتابة مع غيره من الصبيان فى الكتاب • كان حافظ جميل يستيقظ من نومه فى معظم الليالى مذعورا يرتجف ، وشبح « الملا » ماثل أمامه وهو يهم بالانقضاض بعصاه الغليظة على لحمه ليشويه شيا •

وكان الصبى الرقيق يكاشف خالته بهذه الآلام القاسية التى تكاد تخنق أنفاسه كلما انتصف الليل ، ولكنه لم يكن يجد منها الا الشماتة والسعادة •

أما والده فلم يعوده الجرأة فى عرض مثل هذه الامور عليه ، وكان خوفه كبيرا من سخط والده اذا ما شكا له تصرف « الملا » وهو فى نظره المعلم والمؤدب والمربى ·

ولهذا كان يكتم آلامه وخوفه بين ضلوعه وفى ثنايا قلبه الصغير · وليس هذا فقط هو ما كان يثير الآلام فى نفس حافظ جميل ·

صحيح أنه كان يحب الادب ويعشق الشعر ، ولكنه حصل على بكالوريوس العلوم سنة ١٩٢٨ ، وهذا شيء له أهميته فى ذلك الزمن المبكر من تاريخ العراق الحديث ، ولكنه عندما عاد من بيروت الى بغداد عين مدرسا للغة العربية فى المدرسة الثانوية ·· لم يعين فى وظيفة تتفق مع تخصصه ومؤهله العلمى ··

ثم كان أبشع الآلام هو ما أحس به عندما أحيل الى المعاش وهو فى الرابعة والعشرين من عمره ·· أى فى السن التى يبدأ فيهـــا الناس حياتهم العملية ·

القدر حرمه من أمه وهو طفل رضيع ·

خالته قست عليه بعد زواجها من أبيه ·

« الملا » فى الكتاب أحال حياته جحيما سواء فى اليقظة أو النوم ·

حكومته فرضت عليـــه عملا لا علاقة له بكل ما درسه فى كلية العلوم ·

ثم كانت قصة احالته الى المعاش وهو فى الرابعة والعشرين ·

كان الفراغ يقتله ·· وكادت الآلام تمزقه ·· أحس بالضياع رغم أنه لم يصل الى مرحلة الجوع ، فقد كانت أسرته ميسورة الحال ، ولكن هل الآلام كلها جوع ، وهل السعادة فى المال ؟

كانت آلامه النفسية تطحنه بعد فصله من الخدمة ·

ولهذا لم يكن غريبا أن يتقبل ما عرض عليه بعد عام ·

فقد عرضت عليه الحكومة ــ بعد وساطة من بعض الاصدقاء ــ أن يعين فى وزارة المالية بشرط واحد هو :

« أن يترك الشعر نهائيا » ··

وقبل حافظ جميل ، لا من أجل مرتب الوظيفة ، ولكن ليخرج من الضياع الذى كان يحاصره ويمزقه ·· فى يقظته وفى أحلامه ·

وبعد سنوات نقل من وزارة المالية الى وزارة الاشغال والمواصلات فعمل مميزا فى مديريات الرى العامة ثم نقل الى وظيفة مميز فى مديرية البريد والبرق العامة ، ثم رقى الى وظيفة معاون المدير العام ثم الى مفتش عام دائرة البريد والبرق فى العراق ٠

ما علاقة كل هذا ببكالوريوس العلوم ؟

لا شىء طبعا ٠٠

وانقطع فعلا عن نظم الشعر من عام ١٩٣٢ حتى عام ١٩٤٤ ، وفى هذا العام ، وبعد الحاح من أصدقائه المرحوم رفاييل بطى والمرحوم طه الفياض والاستاذ خالد الدرة عاد الى نظم الشعر ، ولكن فى اقلال وتردد ٠

وفى عام ١٩٥٧ أصدر ديوانه الثانى باسم « نبض الوجدان » وقد كتب مقدمته المرحوم السيد منير القاضى رئيس المجمع العلمى العراقى الاسبق ووزير معارف العراق الاسبق الذى كتب يقول

وقد خرق شاعرنا حافظ بديوانه القاعدة الشائعة فى الشعر من « أن أعذبه أكذبه » وذلك على أن « أعذب الشعر أصدقه » ٠ واختط بديوانه أسلوبا جديدا فى تصنيف قصائده وابتكر لها عناوين مستطرفة مستظرفة ، تنم عن مغزى القصائد ، فهى كبراعات الاستهلال لها ، فلم يذهب فى ذلك مذهب اكثر الغابرين من فتح أبواب الشعر للرثاء والبكاء والمديح والتوجع والغزل ونحو ذلك من الابواب التى جرى عليها الشعراء فى تصنيف قصائدهم ، بل اختار لقصائده عناوين طريفة مثل «أصنام المال» و «ثرى عابث» و «الطاغية فى العيد» و «بلد العجائب» ٠٠ وقسم شعره الى اقسام توائم حالة العصر ، وتلائم الحس الاجتماعى الحاضر مثل « الاعاصير» و «لظى الوجد» و «ندى الفجر» ٠٠ وقد طوى كل قسم من هذه الاقسام قصائد توحى الى القلب ما يشكو منه المجتمع وما يتطلبه من اصلاح مادى أو معنوى ٠ وفى هذا الديوان يبرز طغيان عاطفة الوطنية التى تجعل حافظ جميل فى عداد الطبقة الاولى من الشعراء ، فهو يسخر من الطغاة وعبثهم بحقوق رعاياهم فى العهد المالكى البائد دون خوف من غضبهم أو بطشهم ، ويقول فى قصيدته « الطاغية فى العيد » :

هذى ضحاياك أكباد وأفئدة ... وأين منها ضحايا الشاة والبقر
جزرت قبل أوان النحر حافلها ... فكم تركت ليوم النحر من جزر
فأنعم بأشلاء أحرار فتكت بهم ... واشرب بأجفانهم من جامد البصر
ما حدقت له عين غير دامعة ... ولا رنا قلب غير منكسر
ظننت سواد الليالى عنك غافلة ... فنمت عنها وظل الناس فى سهر

هذا الشعر قاله حافظ جميل ونشره فى عهد الملكية غير مبال بما يتعرض له من انتقام وبطش ·· هذا الشاعر الذى يذوب رقة والذى كتب أروع القصائد فى الحب والغزل لم يتردد فى أن ينطق بهـذه القصائد النارية ، ان جسده الرقيق يضم قلبا يفيض حبا لوطنه ومواطنيه ، ولهذا لم يتردد فى أن يعلنها ثورة عارمة على الطغيان والظلم بكل قوة وصراحة ·

وفى عام ١٩٦٢ أحيل حافظ جميل الى المعاش رغم أنه كان فى الخامسة والخمسين ·· ولكن السبب كان فى هذه المرة هو ضعف بصره ··

وفى عام ١٩٦٦ نشرت له وزارة الثقـــافة والارشاد فى العراق ديوانه الثالث « اللهب المقفى » وقد كتب مقدمته السيد منير القاضى والدكتور بدوى طبانة أستاذ النقد الادبى فى جامعة القاهرة والمنتدب لجامعة بغداد الذى كتب يقول فى المقدمة :

ـ هذا هو «اللهب المقفى» الديوان الثالث للشاعر العربى الكبير «حافظ جميل» الذى انتهت اليه فحولة الشعر بعد رواد نهضته فى العصر الحديث من أمثال البارودى وصبرى وشوقى وحافظ ومطران ثم الرصافى والزهاوى ، وحفظ للشعر العربى خصائصه الفنية فى المعانى الفخمة والديباجة المشرقة والموسيقى العذبة بين دعوات شتى للتحلل من القيم المأثورة لذلك الشعر من هنا وهناك ·

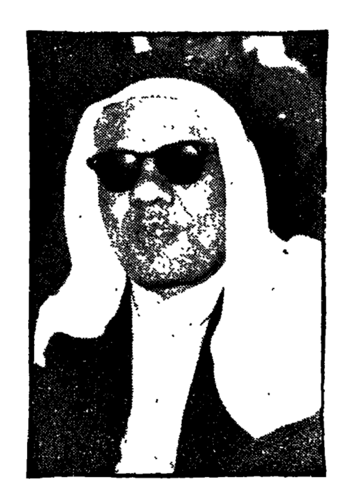
واذا كان حافظ جميل قد تأثر منذ فجر حياته بأبى نواس وابن الرومى والمتنبى واحمد شوقى فانه اليوم ـ وبعد أن ضعف بصره كثيرا ـ يعطى كل حبه لولده الوحيد سمير ، وعندما يتصفح القراء الديوان القادم لشاعر العراق الكبير سيقرأون فى صدر الديوان أبياتا مهداة منه الى ولده سمير مطلعها :

ولدى ســـمير فدتك نفسى   يا بذرتى وكـــريم غرسى

وختامها ·

أنا يا ســـمير أبوك فارفع   عاليـــا فى النـــاس رأسى

عبد الرزاق البصير





تتصور أسرة أن تطعيم طفلها ضد مرض من الامراض قد ينقل اليه العدوى ويجلب له المرض، فهذا جائز ومن المحتمل حدوثه فى أى مجتمع من المجتمعات·· وحتى فى المجتمعات المتقدمه ·· ولكن ان تؤمن الأسرة بأن التطعيم ضد الامراض لايجوز شرعا فهذا أمر شاذ، خصوصا فى العصر الحديث ·

وقد حدث هذا ــ مع الأسف ــ فى الكويت ·

والأسرة هى أسرة الأديب الاستاذ عبد الرزاق البصير ··

ولقبه البصير مع أنه كفيف ··

تماما كما أن لقبى هو « البعثى » مع أننى لست عضوا فى حزب البعث ··

وليس هذا فقط هو ما كانت تؤمن به أسرة أديب الكويت :

● فقد كانت ترى انه اذا مضى أسبوع دون أن يزورها فقيه يتلو آيات من القرآن الكريم ·· أو ولى من أولياء الله فانها ستتعرض لكارثة لان عدم زيارة الفقيه أو الولى معناها غضب الله ·

● وكانت الأسرة تعتقد أن كثيرا من الامراض تزول حتما بقراءة بعض الأدعية والأذكار حول فراش المريض ، وأن بعض هذه الادعية اذا كتبت فى ورقة ثم أذيبت فى كوب من الماء يشربه المريض معناه الشفاء التام دون حاجة الى الطب والاطباء ·

وفى حرارة يقول الاستاذ عبد الرزاق البصير :

ـ وأسرة هذا شأنها لا يمكن أن تعنى بتاريخ أفرادها ··

وأول صفحة من تاريخ الفرد تدون فى شهادة الميلاد ··

وقد ظل الاستاذ البصير يجهل تاريخ ميلاده فترة ليست قصيرة ، وبعد بحث ومجهود ووقت عرف أنه من مواليد عام ١٩١٩ ·

وليست هذه فقط هى صور الشقاء الوحيدة فى طفولة عبد الرزاق البصير ، فقد أصيب بمرض الجدرى وهو فى العام الثالث من عمره ·· وطبعا لم يكن جسده الصغير قد عرف التطعيم أو التحصين ضد هذا المرض الخطير ، وطبعا لم يستغث أهله بالاطباء ، وهكذا فقد البصر قبل أن ينعم بالتطلع الى الجمال الذى تزخر به الطبيعة·

ولكن عبد الرزاق كان فى صباه شديد الحيوية كثير الحركة ، وفى ظروف لايذكرها حتى اليوم أصيب بكثير من الحروق ·

ولكنه لم يحس بآثار هذه الحروق فى جسده أو نفسه الا بعد أن كبر ، كما أنه لم يشعر بفقد بصره الا بعد سنوات ·

كان يشارك أترابه ما كانوا يقومون به من مغامرات أو ألعاب ، حتى تلك الالعاب التى لا يمكن أن يقوم بها غير المبصرين ، ولهذا لم يشعر فى طفولته أو فى صباه بأنه أقل من أصحابه أو أنه ينقص عنهم شيئا ··

ولكن ·· هل توقفت آلامه عند هذا الحد ؟

أبدا ·· فقد أصيب وهو فى الثانية عشرة من عمره بمرض الحصبة ، والحصبة مرض يسهل علاجه اذا قام بالعلاج طبيب ، ولكن أسرة عبد الرزاق البصير لم تكن تؤمن بالطب أو العلم

الحديث ، وكانت الحصبة تفتك بامعائه وتمزق جلده ، كما فقد بصره من قبل ، ولكنه قاوم المرض وأفادته حيويته فاجتاز هذه المحنة ..

وفي فترة النقاهة كان يقضي وقته في محاكات الاصوات ، بل واللهجات ، ثم تطور فأصبح يحاكي الخطباء ويقلدهم .

ويبدأ عبد الرزاق مرحلة جديدة في حياته .. مرحلة التعليم ..

وكانت بداية سيئة ، فقد اختارت له الأسرة « كتابا » كان يجمع بين الجنسين من الصبيان والبنات ، وكانت معلمة « الكتاب » امرأة عجوزا فيها بعض القسوة ، وكانت لها ابنة تعاونها في ادارة « الكتاب » ، وتفوقها في القسوة . اذا أخطأ واحد من الصبيان ضربت الجميع بلا استثناء ..

ورغم أن التعليم في « الكتاب » كان مقصورا على تحفيظ القرآن الكريم ، الا أن عبد الرزاق ترك هذا « الكتاب » بعد أربع سنوات دون أن يحفظ القرآن حفظا صحيحا .

ولكنه أوهم والده بأنه قد أتم حفظ القرآن ، فذهب به والده الى رجل كفيف ليدرس على يديه أشعارا فيها مدح ورثاء لأهل الرسول عليه الصلاة والسلام .. كانت أسرة عبد الرزاق البصير شيعية.

وكان هذا المعلم الكفيف صاحب قلب رحيم ، استطاع أن يكسب ثقة الصبي عبد الرزاق بسهولة وبسرعة فأقبلت نفسه على الحفظ حتى حفظ كل ما كان المعلم يحفظه من أشعار وأحاديث .. ولكنه لم يكن يفهم الكثير من هذه الاشعار والاحاديث .. كان يحفظها ارضاء للمعلم الرحيم .

ولكنه استفاد شيئا هاما من هذا « الكتاب » وهذا المعلم الرحيم ، فقد بدأت نفسه تعشق القراءة ، ولهذا اتصل بفقيه ليتعلم عنه النحو والفقه ، واستمر فترة درس خلالها قدرا لا بأس به ، ولكنه لم يتقن ما درسه ، ولم يصل الى ما كان يطمع فيه من مستوى علمي ، وذلك لسبب خارج عن ارادته ، فقد كان هذا الفقيه فارسيا لا يحسن تعليم اللغة العربية ولم يكن متعمقا في كنوزها أو متبحرا في فروعها .

وكان الفتى عبد الرزاق متدينا شديد التدين ، بل ان تدينه وصل الى حد انه لم يكن يجيز لنفسه ابدا أن يقرأ شيئا غير كتب الدين.

ثم ارتبط بأحد شباب الكويت المحبين للادب المتحمسين للعلوم

الانسانية ، فحرضه على قراءة الأدب ، واشتركا معا فى مطالعة ديوان الشريف الرضى قراءة متمهلة متعمقة ، وتفتحت نفس الفتى عبد الرزاق للشعر والادب ، واشتد حماسه لقراءة ومناقشة تراجم الادباء وتاريخ الادب ، وأخذ يقرأ ويقرأ ، وكان أول كتاب أطلق تفكيره من الجمود هو كتاب « الاسلام فى عصر العلم » للمرحوم الاستاذ محمد فريد وجدى ٠

كان عبد الرزاق البصير قد بلغ الثامنة عشرة من عمره ، وقد أحس أن هذا الكتاب فى موضوعه وطريقة عرض ماجاء به يختلف كثيرا عن الكتب التى طالعها طوال السنوات السابقة ٠

وكما كان سعيدا بقراءته للكتاب والادباء ٠٠ احس انه يريد أن يقول شيئا للناس ٠٠ أن يصدر أفكاره التى بدأت تزدحم فى رأسه ٠٠ أن يكتب ٠

ولكن كيف يكتب ؟ ومن الذى يكتب له ؟

ولم يجد الاجابة على سؤاله ٠

لم يعرف كيف يكتب ٠٠

فى هذه اللحظة أحس بحزن هائل يعصر قلبه ويكاد يمزقه ، فقد عرف لاول مرة بصورة قاسية قاتمة أن ذهاب بصره يقف حائلا بينه وبين ما يشتهى من اقبال على العلم والكتابة ٠٠

وبدأ يسائل نفسه فى يأس وكمد :

● ماقيمة ما أقرأ وأدرس اذا لم أكن قادرا على تصوير أفكارى وتدوين أحاسيسى ؟

لقد خيل اليه أن جميع الذين يكتبون لابد أن يكونوا مبصرين ٠

ولم يتصور ابدا أن أحدا من المكفوفين يمكن أن يكتب ٠٠

وظل على هذا الفهم الخاطىء عامين ٠٠

وفجأة سمع نبأ هزه بعنف ٠ قيل له أن الأديب المصرى المشهور الدكتور طه حسين صاحب المؤلفات وأحد رواد الفكر العربى الحديث رجل مكفوف ٠ ولم يصدق ما قيل له فى البداية ، ولكنه بعد الاستقصاء والتحرى تأكد من صحة الخبر ، ولهذا فرح فرحا شديدا أضاع الحزن من قلبه واقتلع اليأس من نفسه ٠

فى حماس قرأ كل كتب طه حسين ٠ وتطور الحماس الى اعجاب ٠

وبعد طه حسين قرأ للمرحوم عباس محمود العقاد ، ثم المرحوم ابراهيم عبد القادر المازنى ، وكذلك المرحوم الدكتور زكى مبارك ٠

وواصل متابعته للحركة الفكرية فى كل انحـاء العالم العربى قدر طاقته ٠

وفى عام ١٩٣٩ ــ وكان قد بلغ العشرين من عمره ــ انضم الى كتلة الشباب الوطنى وأصبح من خطبائها ، ولما فشلت الحركة غادر الكويت الى البحرين ومنها الى الاحساء ٠

وبعد فترة تقل عن عام عاد الى الكويت ليواصـل نشـاطه فى ميدان الأدب ٠

وبدأ اسـمه يشق الطريق الى الاسماع ، وبدأت كتاباته تثير الاهتمام وأصبح له معجبون وقراء ٠

وفى عام ١٩٤٨ اختارته المحكمة الشرعية مأذونا بها ٠

وفى عام ١٩٥٢ شارك فى تأسيس النادى الثقافى العربى ٠

وانتخب مرارا عضوا فى مجلس الادارة ٠

واشترك فى تحرير مجلة الايمان ٠٠ وغيرها من النشرات التى كان يصدرها النادى الثقافى العربى ، وأصـبح من المتحدثين البارزين فى الندوات الادبية والاجتماعية فى الكويت ٠

ثم أطل بقلمه على قراء المجلات الادبية خارج الكويت ، ونشرت مقالاته وأبحاثه الادبية فى مجلات لبنان ومصر ، وأدلى للاذاعات بالاحاديث ، وأصبح من الكتاب المرموقين فى الكويت ٠٠ وخارج الكويت ٠٠

وقام برحلات عديدة الى العراق وسوريا وتركيا وايران ولبنان والاردن ٠٠

واشترك فى مؤتمر الادباء العرب الذى عقد عام ١٩٥٨ ٠ وفى هذا المؤتمر ألقى بحثا موضوعه « البطولة كما يصورها الشعر العربى الحديث » ٠٠

ثم توالى اشتراكه وتعددت أبحاثه فى مؤتمرات الادباء العرب ٠

واشترك فى مؤتمر كتاب اسـيا وأفريقيا الذى عقـد فى فبراير سنة ١٩٦٤ ٠

واصدر كتابا بعنوان « تأملات فى الادب والحياة »

ورغم ان المكتبة العربية لم تستقبل له الا هذا الكتاب ، الا ان مئات والوف الابحاث والمقالات التى نشرت له جعلت اسمه كأديب موضع تقدير واعجاب ، بل ان أدب الكويت اذا ذكر امام الادباء وقراء الادب رددوا فورا اسم عبد الرزاق البصير .. الأديب الكفيف الذى ظل حتى الثامنة عشرة من عمره وهو لا يتصور أن الكفيف يمكنه أن يكتب حرفا واحدا .. وأصبح له اليوم الوف الدراسات والمقالات وكتاب واحد .. والبقية تأتى .



دكتور أنطون غطاس كرمي





أن فرغت من دراسة تاريخ حياته وطالعت الكثير من انتاجه واجتمعت بالعديد من اصدقائه واخوانه ، ترددت كثيرا فى أن أكتب عنـه فى هذا الكتاب ، فلكى أكتب عنه يجب أن أكتب ايضا وبالتفصيل عن اخوته وأخواته ، فهم أفراد أسرة نموذجية فى الوطن العربى .. أسرة توضح بالدليـل القاطع الى أى مدى وصلت أكاذيب اسرائيـل التى تدعى دائما أنها الدولة الوحيدة فى منطقة الشرق الاوسط التى تحمل راية العلم والثقافة والتى توفر للانسان كل وسائل الرفاهية وسط مجتمع عربى متخلف !!

ترددت لان الامانة نحو كل منهم ونحو القارىء تقتضى تخصيص

عدد كبير من الصفحات يضيق بها حجم هذا الكتاب، ولهذا أرجو أن يعذرنى القارىء وأنا أوجز ايجازا شديدا ·

وقبل الحديث عن الابناء يحسن أن نذكر الوالدين :

فالأب غطاس كرم كان مدعيا عاما فى لبنان ثم استقال وتفرغ للمحاماة حتى توفى · ويربطه ببطريرك الموارنة الحالى بولس بطرس المعوشى نسب الخؤولة ·

والأم لطيفة أسعد رحيم والدها كان من الاثرياء ، وقد انتقلت الى رحمة الله فى عام ١٩٥٤ بعد أن أنجبت سبعة أولاد ·

● فؤاد ·· ولد عام ١٩١٠ ·· دكتور فى القانون من جامعة السوربون · اخر عمل شغله قبل احالته الى المعاش هو مدير القسم الشرقى فى منظمة اليونسكو ·

● سامية ·· مولودة عام ١٩١٢ ·· متزوجة فى المكسيك من السيد انطونيو هاشم من أعيان الجالية اللبنانية فى المهجر

● جمال ·· مولودة عام ١٩١٤ ·· دكتورة فى الطب · مارست طب الاطفال زهاء اثنى عشر عاما بعد تخرجها فى الجامعة الامريكية فى بيروت · ثم تابعت تحصيلها بجامعة هارفارد فى بوسطن وحصلت على الدكتوراه للمرة الثانية فى الصحة العامة · وهى اليوم أستاذة فى كلية الطب بالجامعة الامريكية ومديرة قسم الصحة العامة فيها وهى عضو فى المنظمة العالمية للصحة وخبيرة دولية آراؤها لها ثقلها واحترامها فى مجال « الصحة العامة » ·

● عاطف · ولد فى عام ١٩١٦ ·· مهندس تخرج فى جامعة بيروت الامريكية ورئيس قسم الرياضيات فى الكلية الثانوية العامة ببيروت · وقد وضع اربعة عشر مؤلفا فى الرياضيات ، وله ديوان شعر رقيق بعنوان « من هوانا » ·

● روبير ·· ولد فى عام ١٩٢٤ ·· دكتور فى الطب من كلية القديس يوسف ببيروت · مدير المركز الصحى التابع لوزارة الصحة فى الجمهورية اللبنانية · له عدة مؤلفات طبية · عين مديرا عاما لقضايا اللاجئين الفلسطينيين ·

● اندرة ·· ولد فى عام ١٩٢٦ ·· حائز على شهادة الـ M.A. فى العلوم السياسية من جامعة بيروت الامريكية · وحائز على شهادة M.A. من جامعة « كولومبيا » فى نيويورك

وجامعة « متشفن » فى « آن اربر » بالولايات المتحدة · ثم نال شهادة الدكتوراه من الجامعة نفسها وميدان تخصصه هو«التنمية الاجتماعية » فى منطقة الشرق الاوسط وافريقيا وهو الآن مدير لفرع « غوث » الاطفال وهى منظمة عالمية فى الشرق الاوسط ·

● أما أنطون غطاس كرم فقد ولد عام ١٩٢١ فى بلدة جزين جنوبى لبنان · حصل على البكالوريا من الجامعة الامريكية فى بيروت عام ١٩٣٩ بتفوق فقد كان ترتيبه الثانى ·

وفى نفس العام توفى والده فجأة رغـــم أنه لم يكن قد تجاوز الواحد والخمسين من عمره ·

وفجأة وجد نفسه مضطرا للعمل مساهمة فى حمل بعض عبء الاسرة :

فالوالد كان ينفق كل دخله على تعليم أولاده فى أرقى المستويات والجامعات ·· ولهذا لم يترك شيئا ·

والوالدة كانت قد تنازلت عن كل ما ورثته لأبنـــــاء شقيق لها توفى · وكان زوجها فتيا ودخله من عمله كبيرا ، ولم يخطر على بالها أنها ستحتاج هذا الميراث · ولكن الله اختار زوجها قبل أن يكمل أغلب أولادها تعليمهم ·

ولهذا عمل أنطون مدرسا فى قسم البكالوريا الذى تخرج فيه · وكان فى نفس الوقت يدرس الحقوق فى جامعة القديس يوسف، ولكن أستاذه الدكتور كمال اليازجى نصحه بالاتجاه نحو دراسة الفلسفة والادب العربى بجامعة بيروت الامريكيـــة فالتحق بها ، وكان من بين أساتذته بها الدكتور قسطنطين زريق رئيس الاتحاد العالمى للجامعات حاليا والدكتور شـــارل مالك والاستاذ أنيس الخورى والدكتور جبرائيل جبور والدكتور نبيـــه أمين · وكلهم كانوا عمالقة فى ميدانهم فاستفاد منهم كثيرا ·

ولكن والده – قبل وفاته – لعب دوراكبيرا فى تكوين شخصيته ·· فالوالد كان محاميا وأديبا وشاعرا ، وقد أفنى نفسه ليسعد أولاده جميعا حتى أرقى مستويات التعليم ··

أما أمه فقد تعلم منها العفة وورث عنها ايمانها العميق بالله والصبر على الشدائد ، وتعلم كيف يتألم من غير شكوى وكيف يغفر الزلل فلا يحاسب المخطىء الا نادرا .

وكان الكتاب المقدس كتابهم المتداول يقرأونه بانتظام ويحفظون

منه عن ظهر قلب ، وبجوارهم كنيسة القديس أنطونيوس ، ومع الحماس للدين حماس للمسرح وللمذاكرة والاطلاع .

وهكذا أفاد التكامل بين المدرسة والاسرة ..

وفى عام ١٩٤٥ نال أنطون شهادة الـ B.A. من الجامعة الامريكية فى الادب العربى ثم شهادة الـ M.A. فى نفس الميدان. وكانت الفلسفة الاغريقية والحديثة مثار اهتمامه أيضا بعد الادب العربى .

واللجنة التى ناقشت رسالته فى عام ١٩٤٧ عن « الرمزية والادب العربى الحديث » أوصت بأن تنشر ، وقد نشرت فعلا عام ١٩٤٩ ، ومازالت بعد مضى ٢١ عاما تعتبر من المراجع العلمية فى الموضوع .

وفى عام ١٩٤٧ تزوج الاستاذ أنطون من الآنسة فيلدميلنا وديع لحود شقيقة السفير اللبنانى السابق الاستاذ نزيه لحود ، والنائب اللبنانى الاستاذ روفائيل لحود ، وكان لرهافة ثقافتها الادبية والفكرية اثر عميق فى حياته . لم يكتب شيئا الا وكانت هى القارىء الاول والناقد الاول . بل انه كثيرا ما أخذ برأيها .

وفى عام ١٩٥٤ سافر الى باريس والتحق بالسوربون ليواصل دراساته العليا .

وفى عام ١٩٥٨ أتم رسالتين تقدم بهما للحصول على الدكتوراه :

الاولى موضوعها جبران خليل جبران : حياته وآثاره .

الثانية موضوعها صراع القدماء والمحدثين فى القرن الثالث للهجرة .

وقد نوقشت الرسالتان ـ أو الاطروحتان كما يسميهما الاخوة اللبنانيون ـ وفاز بمرتبة الشرف الاولى .

وعاد الى بلاده ليعمل أستاذا للأدب والفكر العربى فى الجامعة الامريكية .

وفى عام ١٩٦٧ عمل أستاذ زائرا بجامعة كولومبيا فى نيويورك.

ولكن [illegible] قبل أن يحصل على الدكتوراه وبعد أن حصل [illegible] الة هامة نحن فى أشد الحاجة اليها ، فقد قام بتوسيل الثقافة العربية الى الغرب وبالعكس.

ان سليل الاسرة المسيحية التى ترتبط بالبطريرك الحالى وعاشت

عمرها مع الكتاب المقدس وبجوار الكنيسة قد وجد سعادة كبرى وحماسا خالصا فى تعريف الغـــرب بتاريخ الفكر الاسلامى : الكلام وحركة الترجمةوأعلام الفلاسفة حتى ابن رشد ·· وهذا درس آخر للصهيونية العالمية والمتعاطفين معها فى الدول الغربية ليروا كيف يعيش المسلم مع المسيحى فى تآخ واخلاص وبلا تعصب، فكما كتب الاستاذ عبد الحميد جودة السحار عن المسيح عليـــه السلام أروع الكتب كتب الدكتـــور أنطون غطاس كرم عن الفكر الاسلامى وأعلام الفلاسفة المسلمين ·

وكتبه تطبع فى بيروت وفى القاهرة بالعربية، وتطبع فى باريس بالفرنسية وفى لندن بالانجليزية وتناقش فى جامعـــات أمريكا وبعضها يطبع على نفقة هيئة اليونسكو·· كتبه منها المؤلف ومنها المترجم · ومن أهم الكتب التى قام بترجمتهـــا الى الانجليزية والفرنسيه كتاب النبى لجبران خليل جبران ، كما نشرت له عدة مقالات فى موسوعة الاسلام التى تصدر بالانجليزية والفرنسية · ويطبع له الآن فى بيروت كتاب من تأليفه عن الزعيم الهندى الكبير المهاتما غاندى ·

وكتابه « أعلام الفلسفة العربية » وضعه مع صديقه الدكتور كمال اليازجى عام ١٩٥٧ ثم أعيد طبعه ثلاث مرات وهو يتناول تاريخ الفكر العربى من جذوره فى الجاهلية ثم تحوله بفضـــل الدعوة الاسلامية ثم حركة الترجمة والنقل ثم علم الكلام ، وقد أفردا فيه فصولا للفلاسفة العرب :

الكندى ، الفارابى ، ابن سينا ، اخوان الصفاء ، الغزالى ، ابن باجه ، ابن طفيل ، ابن رشد ·

وقد اختتما الكتاب بانتقـــال الفلسفة الاسلامية الى العـــالم اللاتينى ·

وكتابه الرمزية والادب العربى الحديث كان قد أعـده ليكون رسالة الماجستير عام ١٩٤٧ ، وقد قامت السفارة الفرنسية فى لبنان بطبعه على نفقتها ·

والكتاب عبارة عن قسمين : يدور القســم الاول منهما حول الرمزية فى فرنسا من حيث هى مذهب أدبى رده الى منابع فلسفته وحدد فيه الرموز فى مفهوم الفيلسوف كانت ثم حلل اتجاهات الرمزيين وشرح انتاج الاعلام منهم والمؤثرات التى تلقوها وبين النزعات الغيبية والنفسية والجمالية الخالصة التى يتصف بهـا هذا الادب على العموم ·

ثم اوضح فى القسم الثانى من الكتاب كيف تسرب هذا المفهوم الفنى الى الادب العملى الحديث ابتداء من عام ١٩٢٨ ثم ازدهار هذه الحركة فى الادب العربى عام ١٩٣٦ وأوضح أثر ذلك الاتجاه فى انتاج طائفة من أدبائنـــا المعاصرين الذين نهجوا هذا المنهج ومنهم :

توفيق الحكيم فى مسرحية الذهن ·· شهر زاد وأهل الكهف وبيجامليون ·

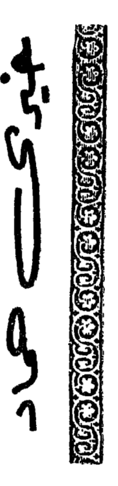
سعيد عقل فى نظرياته الادبية ومحاضراته ومسرحه الشعرى ·
بشر فارس فى مسرحية··مفرق الطريق وبعض ابحاثه ونظرياته·

هده الرسالة التى جنـد نفسه لتحقيقها ·· رسالة توصـــيل الثقافة العربية الى الغرب بما فيها الثقافة الاسلامية ·· تعتـبر بلاشك رسالة هامة فى المرحلة الحاسمةالتى نعيشها من تاريخنا، فملايير البشر فى العالم انحـــازوا لاسرائيل والصهيونية ضدنا لانهم صدقوا أننـــا شعب بلا حضارة أو ثقافة ·· شعب متخلف يركب الجمال ويكثر من الحريم ·· شعب لا صلة تربطه بالعلم أو الثقافة ولا يفهم معنى كلمة تكنولوجيا ·· شعب يعيش ليتشدق بماضى اجداده الفراعنة ثم الرسل والانبياء ·· شعب يستحق الهزيمة ·

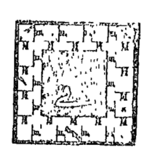
هذا هو مانجحت الصهيونية فى تلقينه لملايين الناس خصوصا فى الغرب بل وفى افريقيا فلم يقفوا معنا فى معركتنا الرهيبة مع الصهيونية والاستعمار العالمى الجديد ·

ولهذا فالجهد الذى بذله ويبـــذله الدكتور أنطون غطاس كرم يعتبر مساهمة ضخمة فى تنوير الرأىالعام العالمى بقضيتنا ·· ولو بطريق غير مباشر ·· طريق هادىء ·· طريق الثقـــافة ··

والمراكز التى يشغلها الدكتور أنطون غطاس واخوته سواء فى لبنان أو فى الهيئات الدولية دليل ساطع وناطق على أن الكفاءات العربية والمثقفين العرب والعلماء العرب يفوقون فى عددهم كل من أنجبتهم أو « استوردتهم » اسرائيل ، ويكفى أن ننظم صفوفنا ويرفع الاستعمار والصهيونية أيديهم عنا ليرى العالم كيف يمكن أن يقفـــز الانسان العربى الى الامام قفزات رائعـة ليقدم المزيد والمزيد من الخدمات لأهله وللبشرية جمعاء كما فعلنا فى عصور عديدة تتضح من مراجعة كتب التاريخ ·







المطابع العربيـة الآن ثمانية كتب لأديب واحد هو خيرى حماد ٠
ونظرة سريعة الى أسماء هذه الكتب تثير في النفس الدهشـــة والاعجاب نظـرا لضخامتها ولتنوع موضوعاتها، فالكتاب الاول مثلا عن تاريخ العرب والاسلام فى أربعة مجلدات هى :

- الفتوحـات العربية الكبرى ٠
- أمبراطورية العرب ٠
- انحلال الامبراطورية ٠
- عصور الظلام ٠

والكتب الاخرى هى :
البترول والرأى العـــام فى الشرق الاوسط ، ثورة التصنيع فى مصر ، الرايخ الثالث والمشرق العربى ، ثورات التحرر والمشاكل

المعاصرة فى افريقيا ، نزع السلاح ، مستقبل الانسانية ، تدهور الرأسمالية ، الحدود الشرقية للجزيرة العربية •

وبصـدور هـذه الكتب يكون قد بلغ عدد الكتب التى اصدرها خيرى حماد ١٢٦ كتابا ، فقد اصدر من قبل ١١٨ كتابا منها ٢٦ كتابا مؤلفا والباقى مترجم •

وهذا الرقم لم يصـل اليه اديب عربى فى تاريخنـا القديم أو الحديث •

كان كل الادباء من قبل يحسدون الكاتب العملاق المرحوم الاستاذ عباس محمود العقاد لانه قدم لقراء العربية ثمانين كتابا ، والعقاد - رحمه الله - قدم هذه الكتب الثمانين على مدى خمسة وسبعين عاما عاشها ، ولكن خيرى حماد - وهنا المعجزة - طبع اول كتاب له فى ٦ فبراير سنة ١٩٦٠ ، وهكذا يكون قد ألف أو ترجم اثنى عشر كتابا سنويا فى المتوسط •• أى كتابا فى كل شهر •

وأنا لاأقارن بين المرحوم العقاد وخيرى حماد من ناحية موضوعية الكتب - فهذا ما لا أجرؤ عليه - ولكن الغزارة والتدفق الذى يبدو فى انتاج خيرى حماد هو الذى ينير الدهشة •• والاعجاب •

وخيرى حماد فلسطينى من نابلس ، وقد ولد فى عام ١٩١٩ من أب كان يعمل موظفا اداريا فى العهد العثمانى ومن ذوى الاملاك •

والوالدة شركسية أردنية •• والابناء تسعة هو السابع بينهم •

الطفولة كانت سعيدة هادئة ••

حصل على البكالوريا وعمره خمسة عشر عاما فقط •• وكان ترتيبه الاول فى كل مراحل الدراسة •

ثم التحق بالجامعة الامريكية بعد فترة من الحيرة الشديدة ، فقد كان متفوقا فى كل المواد ، ممتازا فى الهندسة وممتازا فى الآداب• وكاد فعلا يختار الهندسة ولكنه فى اللحظة الاخيرة اختار الآداب ليدرس العلوم السياسية والادب الانجليزى ، وكان اكبر مشجع له على اختيار هذا السبيل هو قراءته لحوالى ألفى كتاب خلال دراسته الابتدائيـة والثانوية ابتـداء من اللص الشريف ورروكامبول حتى روايات جورجى زيدان وترجمات المنفلوطى •• كان يقرأ كل شىء وفى أى فرع من فروع الثقافة أو العلوم ، لهذا وجد فى أعماقه حصيلة هائلة دفعته على أن يدرس فى كلية الآداب •

وقد تخرج فى عام ١٩٣٧ • حصـل على البكالوريوس وعمره ١٨ عاما •

وكان متلهفا على التخرج ، فقد بدأت الثورة الفلسطينية الكبرى، وكان والده حسنى حماد قد استشهد برصـاص الانجليز فى ١٩ ابريل سنة ١٩٣٦ ، وكان أول شهيد للثورة الفلسطينية •

كان خيرى حماد متلهفا على التخرج بسرعة ليعود الى وطنـه ويحمل السلاح ، وفعـلا عاد ، وفعلا شارك فى الثورة ، وطلبت السلطات البريطانية القبض عليـه ، ووجهت اليـه عدة اتهامات غيابيا •• وهنا اضطر الى أن يلجأ سياسيا الى العراق •

وكانت هـــذه هى المرة الاولى التى يعيش فيها حياة اللاجىء السياسى •

ولكنه لم يرحب بالبطالة ، فقد طلب أن يسمح له بالعمل ، وفعلا عمل مدرسا للتاريخ فى عدد من المدارس الثانوية •

وفى عام ١٩٤٠ بدأت صلته بالصحافة ، فعمل رئيسـا لتحرير صحيفة الاستقلال العراقية التى كان يملكها المغفور له عبد الغفور البدوى عضو البرلمان العراقى ، وكانت هذه الجريدة لسان حال الحركة الوطنية فى العراق ، وكانت تندفع فى تأييد قضية فلسطين الى أبعد مدى •

وقامت ثورة رشيد على الكيلانى فى العراق عام ١٩٤١ ، واشترك فيها خيرى حماد •• وعندما فشلت الثورة اعتقل خيرى حمـــاد وظل فى سجون ومعتقلات العراق حتى شهر يناير سنة ١٩٤٣ •

وصدر عفو عنه فى فلسطين بعد وساطة من الاهل والاصدقاء ، فعاد ليعمل رئيسا لتحرير صحيفة الدفاع ، وكانت أكبر صحيفـة يومية فى فلسطين •

ثم أصدر مجلة المستقبل فى عام ١٩٤٦ ، وكانت من أنجح المجلات الاسبوعية ، وكان اهتمامها كبيرا بالحركة العمالية ، ثم تولى فى الوقت نفسه رئاسة تحرير صحيفة « الوحدة » اليومية ، وكانت لسان حال الحركة الوطنية فى فلسطين •

وبدأت انجلترا تستعد لتسليم أرض فلسطين للصهيونية العالمية•

وبدأت العصابات الاجراميـــة فى اثارة الذعر والفوضى بين العرب ، وفى مقدمة ما هاجموه وأحرقوه كان مقر مجلة المستقبل ومخازنها •• وتعطلت المجلة •

وعادت الثورة الى الاشتعال فى أرض فلسطين عام ١٩٤٧ ، واشتدت ضراوة عصابات الصهيونية حتى تدخلت القوات العربية ، وبين الحرائق والمذابح التى تفننوا فى تدبيرها وتنفيذها بدأت مغادرة الفلسطينيين لأراضيهم ، وظل خيرى حماد يشارك فى المعركة فى حى « القطمون » بمدينة القدس حتى ٤ مايو سنة ١٩٤٨ ، وبعد ساعتين من خروجه احتل اليهود هذا الحى ٠

وكانت هذه هى المرة الثانية التى يضطر فيها خيرى حماد الى أن يكون لاجئا سياسيا ٠

انتقل الى عمان وعمل فى الصحافة فترة ، ثم أصبح مستشارا صحفيا للديوان الملكى فى ١٩٥١ أثناء حكم الملك طلال ، ثم عين مساعدا للمدير العام للمطبوعات والنشر فمديرا عاما لها ، ثم عمل سكرتيرا عاما لمجلس الوزراء ٠

وفى عام ١٩٥٦ انتهت هذه المرحلة المستقرة من حياته على أثر أحداث وقعت فى عمان ٠٠ وكان هذا هو اللجوء السياسى الثالث ٠

فقد قصد دمشق وظل بها طوال عهد الوحدة ، ثم غادرها مع الانفصال فى عام ١٩٦١ الى بيروت ، وبعد عام واحد وصل القاهرة حيث يعيش حتى الآن ٠

هذا من الناحية السياسية فى حياة خيرى حماد ٠

ونعود مرة أخرى الى خيرى حماد الاديب ٠

لقد تأثر فى صباه بالمنفلوطى لدرجة أنه حاول تقليده ، وتأثر بأسلوب المقامات وكتابة السجع ، وفى شبابه تأثر بكتابات العقاد السياسية وبأسلوب كتاب مجلة الرسالة ٠

وكان أول انتاج أدبى له عبارة عن سلاسل من المقالات نشرها فى مجلة الرسالة ٠

وفى عام ١٩٦٠ صدر له أول كتاب عن ثورة العراق ٠

ثم انطلق يغمر المطابع والناشرين بالكتب حتى بلغ ما طبع له ١١٨ كتابا منها ٢٦ مؤلفا أذكر منها :

أعمدة الاستعمار البريطانى فى الوطن العربى ـ عبد الله فيلبى ـ قضايانا فى الامم المتحدة ـ التطورات الاخيرة فى قضية فلسطين ـ كى نستعيد فلسطين ـ ادعاءات اسرائيل بين الحق التاريخى وحق

السيادة ــ ابعــــاد المعركة مع اسرائيل والاستعمار ــ الصهيونية جذورها وأهدافها ــ آراء وأضواء فى القومية والحرية والاشتراكية ــ صور من أوربا ــ حتمية الوحدة فى المفهوم الاشتراكى ·

وقد بدأت صلتى بمترجمات خيرى حماد وأنا أقرأ له كتـــاب «تاريخ ألمانيا الهتلرية» ·· هذا الكتاب عبارة عن أجزاء تباع فى المكتبات بأربعة جنيهات ، وكل جزء لا يقل عن مائتى صفحة ، وقبل أن أفرغ من قراءتها فوجئت بسلســـلة أخرى من الكتب فى نفس الموضــــوع لا غنى للانســـــان عن قراءتهــا لتكمل الصورة أمام عينيه وهى :

الحرب العالمية الثانية من وجهة النظر السوفياتية تأليف جوكوف ــ مذكرات ديجول «جزءان» مذكرات ايدن «جزءان» ·

هذه الكتب معظمها وثائق تاريخية ضبطت فى برلين بعد سقوطها، واذا كان كل معسكر قد صاغها وقدمها من وجهة نظره الخاصة ، فان فى ثناياها وبين سطورها ما يكشف الستار عن الكثير من نواحى التواطؤ بين أكثر من دولة عظمى ، فالنازى وألمانيا الهتلرية كانت كالوحش المفترس الذى يسعى الى ابادة البشرية وسيادة الالمــان فقط ، ولكن فى كل الدول العظمى التى اشتركت فى الحرب كانت توجد قوى رهيبة تتآمر على السلام العالمى ، وفى كل الدول التى اكتوت بنار الحرب حدثت أخطاء مريعة دفعت الشعوب ثمنها دما غزيرا أو أرواحا بالملايين ·

وفى هذه الكتب كشف كامل لدور الصهيونية العالمية وتحالفها مع القوى الامبريالية لتحقيق أهداف بعيدة المدى ، والا فمن كان يصدق أن بعض زعماء الصهيونية تآمروا مع هتلر لقتل مئات الالوف من اليهود فى أفران الغاز حتى يدفعوا اليهود الى الهرب والاتجاه الى فلسطين لاقامة دولة عنصرية تكون قاعدة صلبــــة للاستعمار والرأسمالية العالمية ·

هذه الكتب صدرت فى أوربا وأمريكا ، وبادر خيرى حماد الى ترجمتها ووضعها بين أيدى القارىء العربى والمواطن العربى ليفهم الكثير من أسرار المعارك التى فرضت عليه والتى يخوضها منــذ صدور وعد بلفور عام ١٧ الى الحرب العظمى الثانية ، الى حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، الى العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ ، الى حرب ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ حتى اليوم ·

الخيط واحد ·· والعدو واحد وان تغير اسمه أو مكان نشاطه ·

وهذه الكتب اذن لا تعتبر مجرد نقل أو ترجمة من اللغة الانجليزية الى العربية ، وانما الاختيار الذكى لما يجب أن يترجم هو الذى يجب أن يهنأ عليه خيرى حماد ٠

وفى المجال السياسى أيضا ترجم لنا خيرى حماد :

مستقبل الاشتراكية ـ الاستراتيجيـــة العسكرية السوفياتيـــة للمارشال سوكولوفسكى ـ السياسة الخارجية السوفياتية ـ أسس الاقتصاد السياسى فى الاشتراكية الماركسية ـ الاستعمار الجديد «نكروما» ـ ثورة أفريقيـــا ـ ثورة الجزائر ـ سنوات فى اليمن وحضرموت ـ الثورة العقائدية فى الشرق الاوسط٠٠ وعشرات غيرها من الكتب ٠

وفى مجال الأدب والقصة ترجم لنا خيرى حماد :

لمن تقرع الاجراس ، لأرنست همنجواى ـ ٣ مسرحيات لأوسكار وايلد ٠٠ وغيرها من الاعمال الادبية القيمة ٠

وخيرى حماد يؤمن بالقومية العربية ويؤمن بالاشتراكية العلمية طريقا للحياة والتقدم مع تكييفها بحيث تتفق مع الواقع العربى ٠

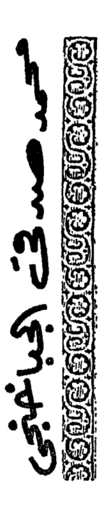
وهو ـ رغم مشاغله العديدة وحاجته الى كل دقيقــة كأديب ـ لا يكتفى بالعمل فى مجال الفكر السياسى ، وانما يشارك أيضا فى العمل السياسى .

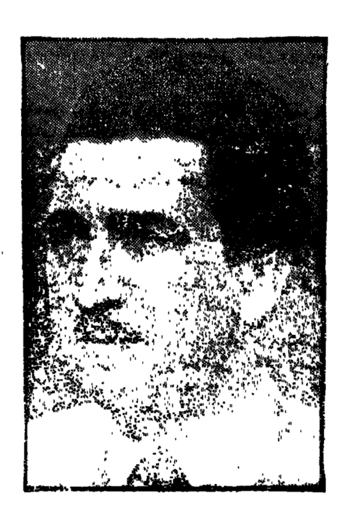
فبالاضافة الىاشتراكه فى ثورات١٩٣٧ و١٩٤٧ و١٩٤٨ والحركة الوطنية فى الاردن فانه أيضا :

- عضو فى المجلس الوطنى الفلسطينى ٠
- الامين العام للاتحاد العام لكتاب فلسطين ٠
- الامين العام المساعد للاتحاد العام للادباء العرب ٠
- الامين العام المساعد للجنة الشعبية الاساسية لدعم ومساندة المقاومة الفلسطينية فى الوطن العربى ٠

وقد اشترك فى عدة دورات للامم المتحدة ، كما اشترك فى عـــدة مؤتمرات وندوات عالمية للدفاع عن قضية فلسطين ٠

وخيرى حماد له زوجة فاضلة مثقفة تقدر مسئولياتها كربة بيت وتريحه تماما من أعباء الادارة المنزلية ، وقد صمدت معه لتجارب الحياة المرة ، ووفرت له الراحة الكاملة فى البيت مما عاونه على الانصراف للعمل والانتاج ٠٠ الانتاج الذى لا مثيل له ، الانتاج الذى يجعل خيرى حماد ظاهرة غريبة ٠٠ ظاهرة مثيرة ٠







المكتبات العربية فى العام القادم كتابين فى وقت واحد للفنان والناقد المعروف والمستشار الفنى لجامعة ليبيا الاستاذ محمد صدقى الجباخنجى ، أحدهما : « ثلاثون يوما مع محمود سعيد » •• والثانى « الموجز فى التذوق لتاريخ الفنون » ••

وبهذا يبلغ ما قدمه محمد صدقى الجباخنجى للمكتبة العربية عشرين كتابا كلها فى ميدان واحد هو : الفن •• فن التصوير وفن النحت ، ولا شك أنها سدت فراغا هائلا فى المكتبة العربية •

وقصة حياة محمد صدقى الجباخنجى تعتبر نموذجا للصبر

والعزيمة يحسن أن يدرسها ويحتذى بها كل شاب يعشق الفن ويريد أن يختاره طريقا لحياته ·

وقد وعى صدقى لنفسه واحس بوجوده وهو فى الثالثة من عمره عندما قادوه أول مرة الى كتاب الشـــيخ بيومى فى جنينة ناميش بالسـيدة زينب ، ولم تحتفظ ذاكرته باسماء من زاملوه فى كتاب الشـــيخ بيومى ، ولكنـــه يذكر بعض زملاء مدرسة محمد على الابتدائية وهم :

فتحى رضوان المحامى والوزير السابق ، وعبد الحميد الحديدى رئيس هيئـة الاذاعة المصرية ، ومحمد رجائى الفنـــان السينمائى المعروف ، ومختار التتش لاعب الكرة الذى اهتزت له الملاعب فى الجيل الماضى ، وأمين شعير سكرتير عام النادى الاهلى ·

وفى هذه المرحلة المبكرة من الدراسة بدأت صلته بالفن · وكانت بداية سيئة تدفع أى انسان الى أن يكره الفن والفنانين ، فقد طلب مدرس الرسم من تلاميذ الفصل أن يرسم كل منهم بيضة ، وشرح لهم كيف يبدأ كل منهم بوضع نقطة بالقلم على الورقة البيضاء ثم يظل يلف النقطة حول نفسها لتستدير كالكرة ثم تصبح بيضاوية مع مواصلة تحريك القلم ·

ولم يقتنع بهذه الطريقة ، فهو يؤمن بأن الخط هو اللغة المعبرة فكيف يضع نقطة ثم يستديرها بالقلم ؟ قرر أن يرسم كما تعود أن يرسم على جدران سطح منزلهم ·

كان يؤمن وهو طفل بأن البيضة عبارة عن خط دائرة بيضاوى ، فلماذا يبدأ بنقطة ؟

ان الابيض ليس لونا ولكنـه يعكس كل الالوان مثل شاشـــة السينما ··

كان مدرس الرسم يحرص على أن يسهل الامر على تلاميذه فطلب منهم أن يبدأوا برسم البيضة بنقطة حتى لا يقعوا فى أخطاء · وكان يعتبر أن الرسم بالخط تصعيب لا يتفق مع أطفال مبتدئين فى الرسم· ورأى أن عدم طاعة صدقى الجباخنجى لتعليماته جريمة خطيرة يستحق من أجها صفعة قوية على وجهه مشفوعة بنظرة يتطاير منها الشرر ·

دهش صدقى وتألم وجلس على الكرسى يتطلع الى البيضـــة التى رسمها ·

والشيء الطبيعي أن يكره الرسم ومدرس الرسم وحصة الرسم ٠

ولكنه واصل الرسم على طريقته ·· وفي الشهر الثاني كانت صوره تعلق في فناء المدرسة بأمر من ناظر المدرسة ·· ومدرس الرسم ··

وفي عام١٩١٩ أصيب والده في حادث ترام وتوفي ، وترك صدقي ليقاسي آلام اليتم وهو في التاسعة من عمره ، وكانت آخر كلمة قالها والده له ولاخوته :

ـ لا تفعلوا شيئا يغضبني أن أراكم وأنتم تفعلونه ·· والله يرى كل أعمالكم فلا تغضبوه ٠

ورغم أن والدة صدقي شملته واخوته برعايتها الا أنه أحس منذ وفاة أبيه أنه مسئول عن نفسه ٠ واشترك في فريق الكشافة وتعلم من الكشافة التربية السليمة والاعتماد على النفس ، وفي هذه الفترة كانت جمعية الكشافة المصرية تستعد لاستقبال سير بادن باول رائد الكشافة فانضم الى فريق الرسم بالكشافة وفي المهرجان الذي أقيم بمناسبة زيارة سير بادن باول فاز بالجائزة الاولى ·· رغم أنه لم يكن قد أكمل العاشرة من عمره ·· وكانت عبارة عن طبق من الخزف المضفر ··

وانتقل الى مدرسة أم عباس وفيها :

× تعرف على مجموعة من أصدقاء العمر هم الصحفيان المعروفان محيي الدين فرحات وحسين فريد والدكتور محمد حامد شاكر والفنان موسى حقي ٠

×. وتضاعف حبه للفن ٠

فقد كان هو وزملاؤه مقربين الى أستاذ الرسم ٠ كانوا يساعدونه في تحضير الالوان المائية وتوزيعها على الطلبة ٠ وكانوا يساعدون المدرس في تصحيح كراسات طلبة السنتين الاولى والثانية ٠

وحبه للفن لم يكن عائقا له عن المشاركة في الحركة الوطنية التي شملت كل المصريين منذ عام١٩١٩ ولهذا لم يدهش ولم يحزن عندما صدر قرار بفصله من المدرسة وحرمانه من التعليم في المدارس الحكومية ٠

واعتزم السفر الى الخارج لاكمال تعليمه ولكن الحكومة وقتئذ منعته عن الحصول على جواز سفر ٠٠ وواصل مساعيه طوال فترة حكم وزارة محمـــد محمود باشا التى كانت تسمى باليـــد الحديدية ٠ ولما شكلت فى عصر وزارة عدلى الائتلافية حصل على جواز سفر وقصد فرنسا فى مارس ١٩٢٠ وهو يضع نصب عينيه أن يحقق هدفا محددا هو دراسة التصوير السينمائى ٠

كان محمد كريم قد عاد من الخارج فى عام ١٩٢٨ ليعمل كأول مخرج سينمائى وقال صدقى الجباخنجى لنفسه أن المخرج سيحتاج طبعا الى مصور فلماذا لا يكون هو المصور ؟

كان هدفه اذن أن يصبح مصورا سينمائيا وكان يأمل أن يدرس الرسم والتصوير كهواية أسوة بالفنان الكبير محمـــود سعيد (المستشار) ٠

وحتى يحين موعد بدء الدراسة أمضى أياما فى زيارة المتاحف والحدائق وخاصة حديقة التويلرى المجاورة لتحف اللوفر وحديقة اللوفر وحديقة ومتحف اللوكسمبرج ٠

وفى هذه الفترة تعرف على شخص له شخصية غريبة وقصة أغرب ٠٠ كان ادموند ـ وهذا اسمه ـ قد فقد الثقة فى الناس ٠٠ كل الناس ، وصادق العصافير ٠٠ كل العصافير

وكان يدخل الحديقة حاملا « مخلاة » فيها فتات موائد المطاعم ويبدأ فى القائها للعصافير فتلتف حوله فى موكب ويبلغ عددها مئات ثم الافا ٠٠ تزقزق وتغرد فى سعادة وتقفز على كتفيه وعلى صدره ٠ كان ادموند هاربا من المجتمع الانسانى سعيدا بصداقة العصافير ٠ ورويدا رويدا اطمأن الى صدقى الجباخنجى ولكنه فجأة اختفى من الحدائق وافتقدته العصافير ٠٠ انتحر ٠٠ ألقى بنفسه من النافذة ٠٠ ونشرت الصحف نبأ انتحاره فى صفحاتها الاولى ٠ وافتقدته العصافير وحـــزن عليـــه صدقى الجباخنجى حزنا كبيرا ٠

وآثر صدقى أن يلتحق بأكاديمية جراند شوميير «الكوخ الكبير» ثم بأكاديمية « جوليان » وهما من الاكاديميات الحرة التى يمكن الدراسة بها نظير رســـم زهيد ٠ كان يريد أن يقطع الوقت حتى اكتوبر فى انتظار بدء دراسته التصوير السينمائى

ولكنه ضاق بجو باريس ولم يطق الانتظار الى اكتوبر فسافر

الى بلجيكا حيث زار متاحفها ودرس ببعض اكاديمياتها الحرة وتعرف على كبار فنانيها .

ومزقه القلق مرة أخرى فرحل الى روما وهناك التحق بقسم التصوير فى أكاديمية الفنون الجميلة ونظرا لتفوقه قيد طالبا فى السنة الثانية . وبعد عامين ساوره القلق من جديد فآثر الانتقال الى اكاديمية فلورنسا وكان قد أصبح فى السنة الدراسية النهائية .

ولكنه فجأة وجد نفسه يواجه مشكلة خطيرة .. انقطع المال عنه من أسرته ولم يكن معه ما يكفى قوته أكثر من أيام ، فلجأ الى محلات الرهونات ليرهن بعض حاجاته وتبخر المبلغ الذى حصل عليه بعد أسبوع وكان امتحان الليسانس قد اقترب ولكن كيف يأكل ؟ كيف يعيش حتى ينتهى الامتحان ؟

وعاد القلق يمزق أعصابه فآثر العودة الى مصر لحسم مشاكله المالية مع شقيقه وتأجيل الامتحان الى العام التالى . ولكنه ماكاد يصل الى مصر حتى مرض أخوه وظل يصارع المرض سنة كاملة توفى فى نهايتها .. واضطر صدقى أن يلازم شقيقه فى مرضه .

وقبل أن يفرغ من تقبل العزاء مرضت شقيقته أيضا مرضا طويلا .. ثم صعدت روحها الى السماء .. وهكذا كان صدقى قد عاد من فلورنسا ليحل مشاكله المالية ولكنه وجد نفسه غارقا لأذنيه فى مشاكل الاسرة كلها. رأى أن عودته لامتحان الليسانس أصبحت مستحيلة قبل أن يحسم مشاكل قانونية وأمورا تتعلق بالتوريث والاوقاف وغيرها تحتاج الى بضع سنوات . ولكن هل يبقى فى مصر بلا عمل ؟

بادر الى تاسيس أول مكتب مصرى للاعلانات ثم اسس أول مدرسة حرة لتعليم الرسم كان يهدف منها الى ضم صفوف الفنانين المصريين الذين كانوا يعانون من سيطرة جمعية محبى الفنون الجميلة . وكان الطالب الذى يدخل هذه المدرسة يدفع قرش صاغ فى اليوم نظير دراسته لمدة ساعتين. وتجاوز نجاح المدرسة كل حد كان يتصوره ، ولكن وزارة المعارف فاجاته بأنها لا تعترف بالمدرسة مادام لم يحصل على ترخيص بها . وأغلقت المدرسة أبوابها رغم انه كان قد نجح فى اقامة معرض كبير أثار اهتمام الرأى العام اشترك فيه مجموعة كبيرة من الفنانين كان فى مقدمتهم المرحوم محمود سعيد والمرحوم محمد ناجى ومحمد ثابت باشا

وولى الدين سامح واحمد عثمان وراغب عياد ومحمد عزت مصطفى ·

وقد افتتح المعرض الاستاذ محمد شفيق زاهر كبير مفتشى الرسم فى وزارة المعارف نيابة عن الوزير حلمى عيسى باشا ·

واتجه محمد صدقى الجباخنجى الى كتابة النقد الفنى وكان أول ماكتبه مقالا فى جريدة السياسة فى عام ١٩٢٤ ثم مقالا فى جريدة روزاليوسف اليومية فى مارس ١٩٢٥ عن معرض مسابقة تخليد ذكرى الفنان الكبير مختار ، ثم استدعاه الدكتور محمد حسين هيكل باشا رئيس تحرير جريدة السياسة وقتئذ لكتابة النقد الفنى فى الجريدة بانتظام ثم اتجه الى ميدان آخر وهو الرسوم المتحركة ثم الورق المقصوص « السلويت » ·

وحدث أن أقيم المعرض الصناعى الزراعى فى عام ١٩٣٦ ولاحظ صدقى الجباخنجى أن المسئولين عهدوا الى جميع الفنانين بالمشاركة فى الاعداد للمعرض ولكنهم تجاهلوه ، وأراد أن يثبت وجوده فأعلن أنه سيرسم فى المعرض كل من يريد صورة كاريكاتيرية نظير خمسة قروش خلال خمس دقائق · وتسابق الناس وتزاحموا على صدقى الجباخنجى ليرسمهم ، وكان هذا العمل ـ بالاضافة الى الربح المادى ـ سببا فى لفت الانظار الى هذا الشاب المكافح الذى لا يهدأ ، فاستدعاه أصحاب مؤسسة دار الهلال وطلبوا منه أن يكتب مقالات فى النقد ·

وكان يحس منذ اللحظة الاولى التى مارس فيها النقد الفنى بمسئولية الكلمة وبأمانة التعبير وكان يشعر بالكلمات وهى تعذب ضميره ما لم تكن تطابق ما يراه بكل دقة ·

ولكن قلقه الاكبر كان يتلخص فى مسألة تؤرقه وتشغل باله هى أنه :

لم يحصل على الليسانس ·

وكان قد تخلص من معظم مشاكل الاسرة ، وصمم على العودة الى أوربا ·· الى فلورنسا والغريب أنه سافر الى ايطاليا فى أكتوبر عام ١٩٣٩ ·· أى بعد قيام الحرب العالمية الثانية بشهر تقريبا · صحيح أن ايطاليا لم تكن قد اشتركت بعد فى الحرب ولكنها كانت ضالعة مع هتلر وكانت على حافة المعركة · كل هذا لم يمنع صدقى من السفر ·

لم يكن يسعى الى وظيفة ولكنه كان يريد أن يستكمل كيانه من حيث الشكل المتعارف عليه بين الناس . كان المثقفون والفنانون يحترمونه ويقدرون أعماله الفنية ولكنه أحس أن المجتمع المصرى لم يكن يعطيه التقدير الكافى مادام لا يحمل الليسانس .

وعاش شهورا عصيبة فى ايطاليا وأدى الامتحان ثم عاد الى مصر فى أواخر مايو عام ١٩٤٠ .. أى قبل دخول ايطاليا الحرب بأيام .

ودعى لالقاء محاضرات فى كلية الفنون الجميلة عن تاريخ الفن ثم انتدب للعمل مدرسا فى المعهد العالى لمعلمات الفنون الجميلة كما دعى للتدريس فى ثلاث مدارس للثقافة النسوية ثم فى الجامعة الشعبية والفنون التطبيقية .

أصبح مدرسا متجولا ـ تماما كالبائع المتجول ـ ولم يحدث فى تاريخ التعليم فى مصر أو فى غير مصر أن انتدب معلم للتدريس فى سبعة معاهد أو مدارس فى وقت واحد . واستمر هذا الجهد من عام ١٩٤١ حتى عام ١٩٥٣ .

وقد كلف بتصميم وتنفيذ جميع رسوم ولوحات قاعة ما قبل التاريخ بمتحف الحضارة المصرية وأصبحت أعمال صدقى الجباخنجى تمثل مكانا بارزا فى متحف الفن الحديث بالقاهرة والمتحف القومى بدمشق ومتحف كلية الفنون الجميلة بالاسكندرية .

واصدر مجموعة رائعة من المؤلفات الفنية هى : كتاب فنون التصوير المعاصر وكتاب الفن والقومية العربية وكتاب سيرة حياة الفنان أحمد صبرى ، كما أصدر تباعا ثلاثة عشر كتابا فى الفنون هى كتاب التصوير والنحت فى ايطاليا فى القرن الخامس عشر وكتاب تكنولوجيا التصوير الزيتى والباستيل وهو معرب عن الايطالية وكتاب مراجعات فى حديث الفنون وكتاب الفن الفرعونى وكتاب مقتنيات متحف محمد محمود خليل وسيرة حياة مجموعة من أعلام الفنانين .

ثم أصدر أول مجلة فى الفنون التشكيلية باسم مجلة صوت الفنان التى كانت بحق مرجعا للحركة الفنية لا فى مصر وحده بل فى العالم العربى كله .

وفى عامى ١٩٥٣ و ١٩٥٤ تعاون مع الادارة الثقافية بالسفار

الايطالية فى القاهرة على تنظيم معرضين باسم «المعرض الايطالى المصرى» •

وفى عام ١٩٦١ حصل على أول جائزة لنقد الفنون التشكيلية من وزارة الثقافة كما حصل على أول جـــائزة من جمعية محبى الفنون الجميلة عن نقد صالون القـــاهرة ثم حصل على جائزة اسبوع الكتاب العـــربى مع شهادة التقدير وميداليـــة ومكافأة مالية •

وقد اختير عضوا مراسلا لأكاديميـــة فن الخزف الدولية فى جنيف بسويسرا •

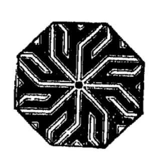
كذلك انتخب أمينا عاما لجمعية اتلييه القاهرة منذ تأسيسها فى عام ١٩٥٤ الى عام ١٩٦٤ كما أنه عضـــو بمجلس ادارة جمعية محبى الفنون الجميلة ورئيس اللجنة الثقافيـــة منذ عام ١٩٦٠ حتى اليوم •

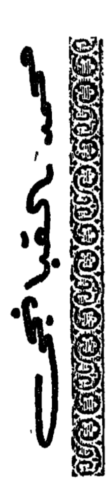
وفى عام ١٩٦٩ اختارته جامعة ليبيا فى بنى غازى مستشارا فنيا لها •

وهو يجيد اللغات الانجليزية والايطالية والفرنسية •

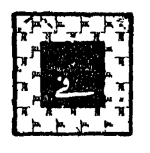
والآن وهو على أبواب الستين من عمره يواصـــل عمله ليلا ونهارا كناقد فنى ومدرس منتدب بكليتى الفنون الجميلة بالقاهرة والاسكندرية وكمؤلف ولكن الشىء الذى لم يحققه فى حياته هو أنه لم يدرس التصوير السينمائى دراسة اكاديمية كمـــا أراد عندما سافر الى أوربا لاول مرة عام ١٩٣٠ •

هذه هى قصة الكفاح •• قصة الصبر•• قصة الاخلاص للفن•









عام١٩٢٩ طلبت شركة بيضافون الالمانيه من شاب عراقى لم يتجـــاوز الخامسه والعشرين من عمره أن يسافر الى المانيا لتسجيـــل سبعين أسطوانة جـــديدة لحسابها •

وكانت هذه الاسطوانات ـ أو المجرشه او الاقراص كما يسميهـــا الاخوة فى العراق ـ تسجيـــلا لجمـــع المقامات العراقية والاغنيات التى تسمى البستات •

واختيار شركة بيضافون للشاب محمد القبانجى لم يكن ارتجالا أو عفويا ، فالالمان اذكياء وعمليون   عظم الاحوال ، ولهذا كان

هذا الطلب وقتئذ من شركة بيضافون حدثا هاما لا فى تاريخ محمد القبانجى فقط ، بل وفى تاريخ الموسيقى العربية العراقية ٠

وفعلا نفدت هـذه الاسطوانات وانتشرت بسرعة فى المنطقـة العربية ٠٠

● ولكن ٠٠ لماذا اختـارت شركة بيضافون الشـاب محمد القبانجى بالذات ؟

● وكيف نجح هـذا النجاح الكبير رغم انه لم يكن قد درس الموسيقى والغناء فى معهد متخصص أو فى أكاديمية ؟

● وهل كان هذا نجاحا مؤقتا أو عابرا ؟

وابسط رد على السؤال الاخير جاء فى صـورة احتفال كبير أقامته وزارة الثقافة العراقية فى العام الماضى تكريما للفنان الكبير فى قاعة الخلد فى بغداد ٠٠

هذا على المستوى الرسمى ، اما مكانته بين الشعب العـراقى بصفة خاصة والشعب العربى بصـفة عامة فستتضح بعد قراءة الاجابة على السؤالين الاول والثانى ٠

وكلمة « قبانجى » نسبة الى « القبان » وهو الميزان الكبير للسلع ، اما «جى» فهى اضافة باللغة التركية العثمانية تستعمل عند النسبة لشىء مثل «الكبابجى» من « الكباب » ٠

والوالد عبد الرازق القبانجى كانت له شهرة مزدوجة ، فهو فى النهار يعمل فى التجارة والقبانة ٠٠ أى الكيل والميزان ، وكان يتمتع بسمعة طيبة بين التجار نظرا لامانته ودقته فى الميزان ، وهو فى الليل من عشاق الفن والفنانين ، وقد ساعده صوته الجميل على أن يحتل مكانة لابأس بها بين منشدى الموالد والحفلات الدينية ٠

فى هـذا الجو المختلط بين الفن والتجارة ولد محمد القبانجى عام ١٩٠٤ ٠

كان منذ طفولته يستمع الى الارقام والاسعار فى دنيا التجـارة والقبانة ، وفى نفس الوقت يستمع الى الالحان والاغانى فى عالم الفن والطرب ٠

تناقض غريب ولكنه وجد فيه لذة وسعادة ٠

وحرص الصبى محمد القبانجي فى سنوات طفولته ثم صباه على أن يرافق والده فى الموالد ، وتطورت هوايته فبدأ يحفظ الاغانى والاناشيد ويرددها ، ثم عشق الشعر فحفظ منه الكثير رغم صغر سنه ، وبعد فترة قادته هوايته الى الاماكن الشعبية والمقاهى الكبيرة التى كان يغنى فيها كبار الفنانين ، وفى هذه الاماكن استمع الى كل الوان الغناء السائد وقتئذ فى بغداد ، وبدأ يتابع الفرق بين المطربين فى الأداء محاولا صقل موهبته الفنية •

ثم حدثت فى حياته قصة غريبة هزت كيانه بعنف ، فقد كان والده يدفعه الى مواصلة التعليم حتى وصل الى مدرسة كانت معدة لتخريج الضباط العسكريين ، وفجأة أخرجه والده من المدرسة قبل أن يكمل دراسته ، وظن أن الأسرة لحق بها خراب مادى أو خسارة فادحة فى التجارة ، ولكنه وجد الأسرة تعيش فى نفس المستوى المادى المعقول كما كانت تعيش من قبل ، ولم يلحظ تغييرا فى حالة التجارة والقبانة التى يمارسها والده ، وبعد الحاح شديد فى السؤال والاستفسار عن أسباب اخراجه من المدرسة علم أن زبانية الحكم العثمانى قد أخذوا اثنين من اخوته للخدمة العسكرية ولم يعودا • سقطا شهيدين فى حرب لا شأن للعراق بها •

وافاق الشاب محمد القبانجي من الصدمة المزدوجه : صدمة فقده لاثنين من اخوته ، وصدمة اخراجه من المدرسة التى كانت ستجعل منه ضابطا •

ورويدا رويدا أحس بالهدوء بل وبالسرور ، فالمدرسة والخدمة العسكرية كانت ستحول بينه وبين ممارسة هوايته للغناء والموسيقى، وبدأ يعمل مع عمه فى مهنة القبانة بسوق الجملة للفاكهة والى جانب مقر عمل عمه كان يوجد مقهى شعبى يرتاده أهل الفن من معنين وموسيقيين تماما كما كان يفعل الفنانون المصريون والعرب فى مقهى الفيشاوى بحى سيدنا الحسين فى القاهرة • هذا المقهى كان لصاحبه شقيق اسمه قدورى العيشة ، وهو من مشاهير المعنين الهواة ، وكان يتميز باتقانه فن غناء المقام العراقى، وأعجب قدورى العيشة بالشاب محمد القبانجي لسببين .

الاول : جمال صوته •

الثانى : حفظه لمئات من قصائد الشعر النفيس •

وقدمه قدورى العيشة لمشاهير المطربين والمغنين الذين لم يبخلوا

عليه بالتدريب وشرح أصول الغناء والموسيقى فى مقابل أن يقرأ عليهم القصائد التى يحفظها لكبار الشعراء ٠

ولم ينس محمد القبانجى كراهيته للحكم العثمانى وزبانيته الذين كانوا يتبارون فى تعذيب المواطنين العراقيين ، وفى ميدان الموسيقى والغناء لاحظ أن الموسيقى التركية كادت تقضى على الموسيقى العراقية ، فبدأ يدرس الفن الشعبى العراقى ٠ عرف البشتة ودرس القصائد وأجاد المواويل ، ولم يكتف بالدراسة فى بغداد ومقاهيها على أيدى كبار مطربيها ، بل قام بمغامرات أشبه بمغامرات الرواد والمستكشفين مخترقا جبال شمال العراق ومتعرضا لزبانية الحكم العثمانى حتى وصل الى مناطق الاكراد وغيرهم ليستمع الى مطربيهم ومغنيهم باحثا عن أصل كل أغنية شعبية ، منقبا عن كنوز الموسيقى العربية العراقية ٠

ومع الدرس والتنقيب كان يغنى ، وازدادت حلاوة صوته ، حتى احتل فى العراق ـ كما يقول الشاعر الكبير الاستاذ أحمد رامى ـ نفس المكانة التى احتلها فى مصر الشيخ أبو العلا محمد ٠

طبعا رأى المتزمتون من قدامى الفنانين وقتئذ فى الاغانى والمقامات العراقية التى قدمها محمد القبانجى خروجا على أساليبهم الجامدة ، فى حين اعتبرها معظم أبناء العراق تجديدا جميلا وبعثا للفن العراقى الاصيل وتطويرا هائلا له وتخليصا له من الوشم العثمانى الذى كان قد بدأ يسود كل نواحى الحياة العراقية ومنها الغناء والموسيقى ٠٠

ثم عادت ضغوط الاسرة تلعب دورها فى حياته :

● فقد تقدمت السن بوالده واعتزل العمل ٠

● ثم لحق به عمه أيضا ٠

● وكان والده قد ضغط عليه وأجبره على الزواج من ابنة عمه قبل أن يتجاوز السابعة عشرة من عمره ٠

وهكذا فجأة وجد نفسه ـ وهو الفنان الرقيق ـ ملزما ومسئولا عن معيشة أسرة ضخمة العدد ٠٠ والده ووالدته وزوجته وأربعة من الاخوة الصبيان والبنات ثم عمه وأسرته ٠٠

ثم وصلت الى بغداد بعثة من شركة بيضافون الالمانية فى عام ١٩٢٦ ، وكان هدفها تسجيل بعض أغانى مشاهير الفنانين فى

العراق ، واستمع خبراء شركة بيضافون الى الكثيرين الذين كانوا يكبرون محمد القبانجى سنا ومقاما وشهرة ، ولكن خبراء بيضافون توقفوا مبهورين وهم يستمعون الى صوت الشاب محمد القبانجى ٠٠ وكان فى الثانية والعشرين من عمره ٠٠ وسجلت له الشركة مجموعة من الاسطوانات تفوق عدد ما سجلته للمطربين الآخرين ، ويبدو أن هذه الاسطوانات لاقت رواجا كبيرا خلال السنوات الثلاث التالية ، فقد فوجىء محمد القبانجى بدعوة من شركة بيضافون فى عام١٩٢٩ لتسجيل جميع المقامات العراقية والاغنيات التى تسمى بستات فى سبعين أسطوانة بصوته فقط دون غيره من المطربين ٠٠ رغم انه كان فى الخامسة والعشرين من عمره فقط ٠

وكانت هـــذه هى الفرصة التى أعدها له القدر مكافأة له على اخلاصـــه لأسرته ووفائه لأهله ، فقد انتهت مشاكله المالية وعادت الأسرة لتعيش فى مستوى كريم ٠

رفع القبانجى أجور حفلاته ، ولكنه ظل متمسكا بعدة أمور :

● لم يتخل عن القبانة ، فقد وجد أن نظرية والده صحيحة ، فالفن لا يتعارض مع أى عمل آخر شريف ، بل ان العمل التجارى يجعله يصـــون نفســـه وفنه من الانزلاق والاضطرار الى قبول ما لا يرتضيه ٠

● لم يسمح لنفسه بالغناء الا فى الاماكن المحترمة وبشرط أن يكون راغبا فى الغناء ٠ يغنّى للفن قبل أن يغنى للمادة ٠

وقد افلس فى تجارته اكثر من مرة بسبب هبوط الاسعار خلال الازمة المالية التى سادت العالم كله بين عامى ١٩٣٠ و١٩٣٥

ولكنه ظل دائما يبتسم ، فاذا افلس فى التجارة جرب مرة أخرى وتكفلت أسطواناته بسد احتياجات أسرته ، واذا زادت أرباحه من التجارة كان هذا خيرا وبركة لا أكثر ولا أقل ٠٠ لا غرور ، ولا تعالى ، ولا اعتزال لمهنة التجارة أو للغناء ٠

شىء واحد كان دائما يثير أحزانه وآلامه ، فهو ـ كما يقول ـ لم يكن موفقا فى زواجه الذى فرض عليه وهو فى السابعة عشرة من عمره ، والزاوية التى تثير أشجانه دائما أن الزواج ـ وخاصـــة للفنان ـ ينبغى أن يتم بتفاهم تام وانسجام كامل ، فالزوجة الحكيمة ـ كما يقول ـ تجعل من الرجل الجاهل حكيما ، وهى التى تعرف متى تقترب من زوجها الفنان ، وهى التى تعلم متى تبتعد عنه وتدعه

غارقا في تأملاته وأفكاره وأحلامه ، وترمقه بنظرات منها تبعث الحب والحنان والرضى والتشجيع في نفسه المرهفة الحس ٠

وقد واصل محمد القبانجي رسالته في ميدان الموسيقى والغناء في العراق فأثر فيها على النحو التالي :

● نجح في تخليص الموسيقى العراقيـــة من تسلط الموسيقى العثمانية ، ووفق الى أسلوب جديد قدم به الاغنية العراقية في العصر الحديث ، وقد اتبعه المطربون المحدثون كلهم ٠

● فطن الى عدد من الانغام المتداولة في البلدان العربية وصاغ منها باقة من الالحان والمقامات والاغنيات أضافها الى الغنـــاء العراقي وموسيقاه كمقام النهاوند والحجاز كار كرد٠

● وضع مقامات جديدة . استخلصها من بعض القطع الغنائية القديمة وطورها الى مقامات بديعة كمقام القطر وغيره ٠

● اشتهر له في البلدان العربية مقامان هما : مقام اللامي الذي تأثر به الموسيقـــار الكبير محمد عبد الوهاب في تلحين أغنيتـه المعروفة « ياللي زرعتو البرتقال » ومقام الحجاز غريب الذي تأثر به ايضـــا محمد عبد الوهاب في تلحين أغنيته الرائعـة « جبل التوباد » ٠٠

● سجل بصوته عددا كبيرا يصعب حصره من المقامات والاغنيات وغيرها حتى أصبحت هذه التسجيلات بمثابة نصب تذكاري جميل لاسم محمد القبانجي وللفولكلور العراقي ٠

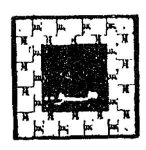
وهكذا لم يعد مستغربا أن يستقبل القبانجي في كل مكان بالتقدير والاعجاب ، وأن تكتب الصحف والمجلات العراقية والعربية دائما كلمات الاعجاب والاشادة بفن القبانجي وبشخص القبانجي ٠

ولم يكن الالمان فقط هم الذين أعجبوا بالقبانجي في أوربا ، فقد منحته الحكومة الفرنسية وسام الكومندور تقديرا لفنه ٠

ورغم انه في السادسة والستين من عمره ، فانه اذا قبل الغناء في احدى الحفلات فان بغداد كلها تسعى الى حضور هذا الحفـــل مهما كان ثمن تذكرة الدخول ٠







يقول أنها عقدة التفوق ..
وعلماء النفس يسمونها عقدة النقص ..
ويضحك زكي طليمات قائلا :

ـ عقـــدة النقص هي التي دفعتني الى السعي للتفوق ، فقد كان كل هدفي وكل أملي منذ طفولتي أن اتفوق على أفراد أسرة تيمور باشا ، ولهذا لانسميها عقدة التفوق ولا عقـــدة النقص .. نسميهـــا « عقدة تيمور » ..

وزكي طليمات تربط والدته صلة قرابة بأسرة تيمور ، ولكن والده فقد ثروته كلها في المضاربات وفي القمار ، فنشأ زكي طليمات ، وعاش زكي طليمات وهو لا يلعب القمـــار ولا يشرب الخمـــر الا نادرا ، كما دفعه ثراء آل تيمور ـ رغم قرابته لهم ورغم رقتهم في

معاملته ـ الى أن يحاول التفوق عليهم وأن يسعى الى عمل ما يعجزون عن عمله حتى ولو قام فى سبيل هذا بمخاطر تكاد تفقده حياته •

يقف وهو فى الخامسة على حافة سور المنزل فى عابدين فيتجمع الاهالى فى رعب خوفا عليه ، ثم يتعاون الناس فى انزاله من هذا المكان الخطر ، وتضربه أمه علقة ساخنة ولكنه يبتسم وهو سعيد ، فقد فعل ما يعجز صبية وأولاد آل تيمور عن عمله ••

ويقف فجأة بين عربتى ترام بحيث يكون أى اهتزاز منه كافيا للقضاء عليه ، ويتجمع الناس ، ويأخذ العلقة •• ويزداد سعادة•

ويصعد فوق شجرة كلها شوك ثم يسقط مصابا فى رأسه •• ولكن الدم السائل منه يشيع الفرح فى نفسه ، فمن فى أسرة تيمور يستطيع أن يفعل ذلك ؟

هذه الميول الاستعراضية التى سيطرت على تصرفاته لم تتوقف عند هذه التصرفات الصبيانية ، فقد أثرت عليه فى دراسته أيضا ، فقد كان يتفوق فى دراسته لانه يريد أن يكون أحسن من أولاد عائلة تيمور باشا ، حتى عندما كره علم الحساب بسبب ضرب المدرس له ثم رسوبه جعلته عقدة تيمور ينتصر على نفسه ويتفوق فى العام التالى ويحصل على الدرجة النهائية •

وكانت أسرة أحمد تيمور باشا تفيض رقة وكرما فى معاملة الناس ، وكانت تسمح له بالتردد على مكتبتها الضخمة ، وكان أحمد تيمور باشا يكون فى الصيف فرقة تمثيلية من أولاد الأسرة والأسر المجاورة ومن الخدم ••

وكان زكى طليمات هو مطرب الفرقة الذى يقلد الشيخ سلامة حجازى باتقان •

فى هذه الفرقة العائلية للتمثيل ، وبدافع من عقدة «تيمور» تربى صوت زكى طليمات تربية طيبة ، وفى مكتبة آل تيمور قرأ الكثير ، وأصبح «خامة» طيبة تنقصها الصناعة ليصبح فنانا كبيرا ، وبفضل هذه المكتبة أتقن اللغتين الانجليزية والفرنسية •

وبعد البكالوريا دخل معهد التربية ، وانضم الى جمعية أنصار التمثيل وجمعية فنون الآداب والتمثيل ، ولكن هل يكتفى بالتمثيل ؟

لقد انتظر حتى برز بين اخوانه كممثل ، ثم بادر الى فرض نفسه على ميدان الاخراج •

وفى هــذه الفترة واجهته ثورة فى محيط الأسرة ، أمه كانت قد انفصلت عن والده ، والوالد لم يدخل المنزل طوال خمس عشرة سنة ، ولكنه كاد يجن عندما علم أن ابنه أصبح ممثلا أى فاســقا لا يصح أن يعيش مع الاشراف ، وضغط الأب على نفسه ودخل البيت بعد غياب طويل ليتعاون مع الأم فى انقاذ ولدهما

وحاول الأب والأم أن يقنعاه بأن اصراره على الاشتغال بالتمثيل سيصيب الاسرة بكارثة لا يمحوها الدهر ، وسيدمغها بالعار

ولكن زكى طليمات ـ وقد ورث العناد عن والديه ـ لم يستسلم

وذكره والده بأصله الدينىالعريق الذى يصلالى قبيلة بنىالاسعد فى الجزيرة العربية والتى خرجت مع الحسين تناصره وتبايعه فى الكوفة ضد يزيد بن معاوية ثم تفرقت الأسرة فى الاناضول والموصل وحمص و ٠٠٠ و ٠٠٠

وكل هذا لم يجعل زكى طليمات يضعف ، فعقدة «تيمور» كانت تدفعه الى أن يتفوق وأن يكون مشهورا ، والمسرح سيتيح له فرصة الشهرة الكبرى ٠ سيعمل شيئا وسيصبح شيئا لم يفعله آل تيمور ٠

وكان شــــباب جيل ما قبل ثورة سنة ١٩١٩ يحاول الهروب من الواقع الأليم الذى كانت تعيشه مصر والقيود التى فرضها الاستعمار والمجتمع المتعفن ، ولذلك كان اقدام زكى طليمات ويوسف وهبى وعبد الرحمن رشدى وغيرهم من المثقفين على التمثيل مثار اهتمام أتى لهم بالشهرة التى كان يحلم بها زكى طليمات ٠

ويئس الأب ٠٠ واستسلمت الأم ٠٠ وان كانت قد انتزعت منه وعدا بأن يكمل تعليمه فى معهد التربية ٠

ولكن حدث ما غير طريق حياته تغييرا شاملا ، فقد انقطع عن الدراسة أربعين يوما ، وبكل براءة وبساطة كتب شقيقه خطابا الى المعهد يعتذر فيه عن غياب زكى لمرضه بالتيفود ، وعندما شفى منعه المعهد من الدخول ما لم يثبت بالتحاليل وخلافها أنه أصبح سليما

وغضب زكى طليمات ، وأسرع الى جورج أبيض الذى رحب بضمه الى فرقته ٠٠

وظهر على المسرح كمحترف لاول مرة وصفق له الجمهور ، فأصابه الغرور وركبته الخيلاء ، وقرر أن يترك الدراسة نهائيا ٠

ولكنه بعد فترة مارس فيها مهنة التمثيل وعاش خلالها حياة الفنان بكل ما فيها من مرارة وقسوة تلك الايام ، شعر بصدمة هزت

كيانه ، لم يجد مايشبعه ، لم يجد نقابة تحمى الممثل • رأى مدير الفرقة وهو يطرد الممثل ببساطه • صاحب الفـرقة يتصرف فى الممثلين كما يتصرف السيد فى عبيده • وجد زكى طليمات نفسـه فى ضياع ••

واحس بالندم ، فترك التمثيل ليعمل سكرتيرا لحديقة الحيوانات• وكانت تابعة لوزارة الاشغال •

ومن القرود والنسانيس تعلم الكثير ، كان يجلس امامهم ساعات واعتبرهم أساتذة تلقى عنهم العمق فى التعبير والصدق والقوة •

وفى عام ١٩٢٤ قررت وزارة سعد زغلول أن تهتم بتشجيع التمثيل العربى • والاوبرا كانت تابعة لوزارة الاشغال مثل المجارى والرى وحديقة الحيوانات !!

واعلن مرقص فهمى باشا عن مباراة فى التمثيل يشترك فيها من يحترف التمثيل ومن كان يحترفه ، وسمحوا لكل مشترك بتقـديم مشهد فى عشرين دقيقة ، فاذا اشترك ممثل مع ممثلة سمحوا لهما بأربعين دقيقة ••

ورحبت السيدة روز اليوسف ـ وكانت نجمة فرقة رمسيس ـ بالاشتراك مع زكى طليمات ، واشترك فى هذه المسابقة العمالقـة حسين رياض واحمد علام وعباس فارس وغيرهم ، أما جورج ابيض فكان فى رحلة الى الشام ، واما فرقة رمسيس ، وعلى رأسـها يوسف وهبى فقد امتنعوا جميعا ماعدا •• روز اليوسف •

وقدم زكى طليمات بالاشتراك معها رواية فيدورا ••

وفازا بالمركز الاول ••

وكانت جائزة التفوق رحلة خمس سـنوات يدرس فيهـا زكى طليمات فى فرنسـا •• وكان بذلك أول مبعوث رسمى للحكومة المصرية لتلقى فنون التمثيل فى معاهد فرنسا ومسارحها •

ترك زوجته السـيدة روز اليوسف وابنته وتنقـل بين فرنسا وانجلترا وبلجيكا والمانيا ينهل من ثقافتهم

وعاد الى مصر فوقع عليه الاختيار ليعمل سكرتيرا فنيا للمسيو موتكير مراقب عام الفنون الجميلة ، وكان قد استدعى من فرنسا لتنظيم معاهد الفنون الجميلة ومراجعة شئون المسرح ، وكان اول عمل تولاه زكى طليمات بعد حياة عريضة جميلة فى مسارح باريس

ولندن هو أن يترجم الى اللغة الفرنسية ميزانية ادارة الفنون الجميلة لوزارة المعارف وقتئذ ، حتى يطلع عليها المسيو هوتكير ، وكان النص العربى مليئـا بالتعبيرات والمصطلحات التى لا يفهمهـا الا خبراء الاقتصاد والميزانيات ، ولذلك صدم زكى طليمات صدمة كبرى ٠

وكانت محنته الثانية بعد عودته أن زملاءه فى المصلحة اخـذوا يناصبونه العداء ، وهى الحرب التى تنشب دائما بين العائدين من البعثات والذين لم تتح لهم فرصة السفر ٠

والمحنة الثالثـة التى عاشـها انه أراد أن يشبع نفسه ويرضى ضميره ، فانصرف الى كتابة النقد الفنى بغير أجر فى جريدة المقطم ، ولكن أصحاب الفرق المسرحية ثاروا عليه وهددوا بقطع اعلاناتهم عن الجريدة مما جعل رئيس التحرير يطالبه بالتخفيف من صراحته فتوقف عن الكتابة ٠

والمحنة الرابعـة التى عاشها بعـد عودته أن زوجته السـيدة روز اليوسف كانت قد اعتزلت الفن وتفرغت لاصدار جريدة تناصر الوفد بحماس شديد ، وقد حاول خصوم الوفد وهم فى الحكم أن يضغطوا على زكى طليمات كى يؤثر على زوجته حتى تنحاز الى الحكومة القائمة ، ولكنه قال لهم أنه تعلم فى فرنسا أن يقدر الرأى وأن يحترم شخصية الغير ، فهو شخصية وزوجته شخصية أخرى لها أن تفعل ما تشاء وليس له أن يجبرها على تغيير رأيها ،

وعادت وزارة الوفد الى الحكم فكلفته بوضع تقرير شامل يرسم خطوطا بعيدة المدى للنهوض بالمسرح وأخرى قريبة المدى تكفل انعاش الحركة المسرحية القائمة والفرق القائمة ٠٠

وبالنسبة للفرق القائمة رأى أن تساعدها الوزارة باعانة مالية بشرط أن توافق الرقابة على نصوص مسرحياتها قبل عرضها ٠٠

وبالنسبة للتخطيط البعيد المدى فقد شمل :

● انشاء معهد للتمثيل لتخريج ممثلين وممثلات يجمعون الى جانب الاستعداد الفطرى ـ علم الممثل والمخرج وثقافتهما ٠

● انشاء فرقة قومية يديرها شخص لا يعمل بالاخراج أو التمثيل حتى لا ينحرف فى تصرفاته متأثرا بعواطف شخصية أو غيرة حمقاء على أن تقدم هذه الفرقة مسرحيات ذات مستوى رفيع ٠٠

● انشاء المسرح المدرسى أى أن يكون المسرح من الهوايات التى

يباشرها الطلبة فى أوقات فراغهم ، تماما كالجمباز والكرة ، وبهذا ننشىء جيلا يحب التمثيل ويقبل عليه .

● تشكيل المسرح الشعبى بحيث تطوف بالاقاليم فرق تنشئها الوزارة تقدم للعمال والفلاحين مسرحيات تعالج مشاكلهم

وفى عام ١٩٣١ انشىء معهد التمثيل ، ولكن وزارة اسماعيل صدقى الغته بعد عام واحد بحجة انه مخالف للتقاليد الاسلامية وللعرف الاجتماعى السائد ، وثارت معركة صحفية اتهم فيها المرحوم الامام الشيخ الظواهرى شيخ الازهر الاستاذ زكى طليمات بانه كافر وفاسق . واشتدت المعركة واستمرت ، وأمسكت الوزارة العصا من الوسط فانشأت معهد الدراسات المسرحية بالمدرسة الابراهيمية الثانوية وجعلت التلاميذ فى مكان والتلميذات فى مكان آخر .

وفى عام ١٩٣٥ اخذت الوزارة بالقسم الثانى من التقرير ، وهو انشاء الفرقة القومية واختارت خليل مطران مديرا عاما لها وتولى زكى طليمات الادارة الفنية .

وفى عام ١٩٣٧ اخذت بالقسم الثالث وانشأت المسرح المدرسى .

وفى عام ١٩٤٥ ولد المسرح الشعبى ..

وفى كل هذه المنشآت كان زكى طليمات يعمل مديرا ومنجزا وممثلا ومخرجا ..

واصبح لزكى طليمات مدرسة ضخمة فى فن التمثيل وفن الاخراج ..

فى معهد التمثيل .. تولى منصب العميد .. وتخرجت الدفعة الاولى وكان من بينها معظم من يفرضون أنفسهم وفنهم على الجمهور حتى اليوم وهم فاتن حمامة وفريد شوقى وشكرى سرحان وسميحة أيوب وسعيد أبو بكر وسناء جميل ونعيمة وصفى وحمدى غيث وسعد أردش وعبد الرحيم الزرقانى وعمر الحريرى ونبيل الالفى .. وغيرهم ..

ولكن زكى طليمات فوجىء بشىء لم يكن فى الحسبان ، فقد واجه تلاميذه من خريجى المعهد حربا عنيفة من كثير من الممثلين القدامى فى الفرقة المصرية .

الاعلانات تظهر فيها أسماء القدامى فقط ، والمرتبات الكبيرة للقدامى فقط ..

وجن زكى طليمات •• كان يرهق نفسه « لخلق » جيل جديد ؛ ولكن هذا الجيل رغم ثقافته ونبوغه لم يكن يلقى الا الصد والحرب• القدامى لهم أسلوب ومدرسة ، والجدد لهم أسلوب ومدرسة ، أصبح هناك تنافر هائل •

واهتدى زكى طليمات الى الحل وكان يتلخص فى انشـــاء فرقة المسرح المصرى الحديث عام ١٩٥٠ ، وقد عاونه فى تحقيق الكثير من مشروعاته الدكتور محمد صلاح الدين الذى كان من عشاق الفن والسياسة فى وقت واحد ••

وحتى عام ١٩٥٣ كان زكى طليمات هو قلب المسرح المصرى وهو الرئة ، له خصومه وله أصدقاؤه ، ولكن الجميع لا ينكرون عليه جهده فى ارساء قواعد النهضة المسرحية الحديثة ، وقد اقترن اسم المسرح المصرى باسم زكى طليمات منذ عام ١٩٣٠ حتى عام ١٩٥٣، وحدث خلالها تغيير شامل فى مختلف نواحى فن المسرح المصرى •

وفى عام ١٩٥٣ كان يعمل فى وقت واحد :

عميدا للمعهد العالى لفن التمثيل العربى ، ومديرا عاما لفرقة المسرح المصرى الحديث ومراقبا عاما للمسرح المدرسى •

ثم حدث خلاف بينه وبين الاستاذ وجيه اباظة عندما كان يعمـل فى الشـئون العـامة للقوات المسلحـة فقدم استقالته من جميـع مناصبه •

وفى نفس العام استدعته حكومة تونس ليسهم فى وضع أســاس لحركة تمثيلية تتسم بالنظام والمستوى الرفيع ••

وخلال السنوات الاربع التالية أنشأ معهدا للتمثيل ، كما أنشأ فرقة البلدية للتمثيل العربى التى شاهدها جمهور القاهرة أخيرا

ثم عاد الى القاهرة فى عام ١٩٥٧ ليرحل من جديد الى الكويت بناء على دعوة من المسئولين فى الكويت ، وهناك فوجىء بأن الرجال يقومون بتمثيل أدوار النساء ، تماما كما كان يحدث فى مصر فى أواخر القرن الماضى وأوائل القرن الحالى ، واعترض زكى طليمات على هذا الاسلوب فلم يعد مقبولا أن يرى المتفرج رجلا يتميع أو يتبختر على المسرح كالمرأة ، ولكنهم اعتذروا له بأن الفتاة فى الكويت لم تسفر عن وجهها بعد ، فاقترح عليهم الاقتداء بما حدث فى مصر ، قال لهم ابدأوا بممثلات من خارج الكويت •

ونجح زكى طليمات فى تكوين أربع فرق تمثيلية أهلية يصــل

انتاجها الى ١٢٠ حفلة فى العام وتتقاضى كل منها اعانة ٨٠٠٠ دينار بشرط أن تقدم ثمانى مسرحيات على الاقل سنويا ٠

وأنشأ معهدا للتمثيل فى عام ١٩٦٤ يتخرج فيه الفوج الثالث فى يوليو ١٩٧٠ ٠

ومن حريجى هـــذا المعهـد امتلأت اذاعة وتليفزيون الكويت بالمخرجين والممثلين من أبناء الكويت ٠

كذلك قام بالاشتراك مع لجنة فنية يرأسها الشاعر المعروف أحمد العدوانى وكيل الوزارة بترجمة مسلسلات فى الادب والمسرح بعضها جديد علينـا مثل « سـمك عسير الهضم » لمؤلف من جواتيمالا ، ومسرحيات من استراليـا وأخرى من الصـين ، كما ترجموا كل أعمال أبسن وكل أعمال برنارد شو وكل أعمال شكسبير ٠

ووضع عصير تجاربه فى كتاب يدرس فى معهد التمثيل الآن هو :

التمثيل ٠ التمثيلية ٠ فن التمثيل العربى ٠

وله الآن كتابان تحت الطبع هما فن الممثل العربى، وما المسرح ؟

وهو يؤمن بأن الفنون هى التعبير الصادق عن طبيعة أى مجتمع من المجتمعات ، ولهذا فهى المعايير الاساسـية فى قياس المستوى الحضارى الذى حققته أمة من الامم ، فكلما ارتفعت الشعوب فى السلم الحضارى ، ساير ذلك تقـدم وارتقاء فى ألوان الفنـون السائدة بها ، ومن ثم فانه اذا أراد باحث أن يقف على طبيعة حضارة من الحضارات فما عليه الا أن يبدأ بالفنون فى تلك البيئة الحضارية

لهذا يعتبر زكى طليمات أن مساهمته فى النهوض بالمسرح فى أية دولة عربية انما هى رسالة هامة عليه أن يخلص لها ويعمل جاهدا من أجلها بما يشبه التقديس ٠

وتسأل زكى طليمات :

● هل هو الايمان بالرسالة ، أم هى عقدة « تيمور » التى تدفعك الى العمل ؟

فيضحك ويقول :

ــ كان ذلك فى عهد الطفولة والصـبا ، أما اليوم فهو الواجب المقدس ٠

أضف إلى معلوماتك

تضم المؤسسه المصريه العــامه للسلع الغذائية مجموعة كبيرة من الشركات التابعة لها هى :

١ ــ الشركة المصرية لتعبئة وتوزيع السلع الغذائية وتقوم بتهيئة وتعبئة الشاى والسلع الغذائية ·

٢ ــ الشركة المصرية لتجارة السلعالغذائية بالجملة وتقوم بتجــارة التجــزئة فى السلع وأدوات النظافة والصابون والخردوات ·

٣ ــ شركة اسكندرية للمجمعــــات الاستهلاكيــــة وتقوم بتجــارة التجزئة فى السلع الغذائيــة وأدوات النظافة والصابون ·

٤ ــ الشركة العــامة للحوم والدواجن والتوريدات الغذائية : وتقــوم بالذبح وتهيئـــة وحفــظ اللحوم ــ تجارة الجملة فى اللحوم الطازجة والمجمدة والمحفوظة والدواجن ·

٥ ــ الشركة المصرية للثلج والتبريد : وتقـــوم بصناعة الثلج وتوزيعه ·

٦ ــ الشركة العــامة للتبريد «جركو» : وتقـــوم بصـــناعة الثلج وتوزيعه ــ التخـــزين فى الثلاجات ــ النقل بالسياراتالمبردة ــ صناعة فرش الكربون ــ مقــاولات تركيب أجهـــزة وأنظمة تكييف الهواء والتدفئة والتبريد ·

٧ ــ شركة اسكندرية للتبريد : وتقوم بصـــناعة الثلج وتوزيعه ــ التخزين فى الثلاجات ·

٨ ــ شركة بور سعيد للتبريد « ويلس » : وتقوم بصـــناعة الثلج وتوزيعـــه ــ التخزين فى الثلاجات ــ الاتجــار بالجملة فى المشروبات وبعض السلع الغذائية ·

٩ ــ شركة النيل للمجمعات الاستهلاكية

١٠ــ شركة الاهرام للمجمعات الاستهلاكية

١١ــ الشركة المصرية العــــامة لاســـواق الجملة

مع تحيات

المؤسسة المصرية العامة للسلع الغذائية

أضف إلى معلوماتك

★ تبلغ مساحة محافظة المنوفيه حوالى ٣٦٥ الف فدان

★ عدد سكانها مليون ونصف مليون نسمة ٠

★ تضم ٨ مدن و ٣٠٥ قرى ٠

★ احرزت المحافظة تقدما كبيرا فى عهد الثورة وفى ظل نظام الادارة المحلية وحققت الكثير من الانجازات الثورية الباهرة٠

★ فى مجال العمران : انفق على مشروع كهربة الريف ٣٣٤٩٦٧ جنيها ، وبلغت اطوال خطوط التغـذية جهد ١١ ك٠ ف ١٦٥ كيلومترا ، وسيتم هذا العام انارة ٧٥ قرية ٠

★ فى مجال التربية والتعليم : تضم المنوفية ٤٨٩ مدرسة ابتدائية، و ٧٨ مدرسة اعدادية ، و ١٣ مدرسة ثانوية ، و ١٧ مدرسـة فنية ، وكلية للزراعة ومعاهد عليا للصناعة والبترول ومعهـدا عاليا للالكترونات ومعاهد دينية ٠

★ فى مجال الزراعة : تبلغ مسـاحة الارض المزروعة ٣٢٩٧٠٦ فدانا ، وتعتبر المنوفية اولى المحافظات فى مشروعات تحسـين الانتاج الزراعى والتجميع الزراعى والتسويق التعاونى للقطن والصرف المغطى وانتـاج الخضر والفاكهة فى مجال الاسكان والمرافق : بلغت جملة المبالغ التى تم صرفهـا على مشروعات الاسكان حتى يونيو ١٩٦٩ مبلغ ٥٩١ الف جنيه لبناء ٤٩ عمارة سكنية كما تم تزويد جميع القرى بالمياه الصالحة للشرب ٠

★ فى مجال المواصـلات والطرق : تم اعادة توزيع شبكة خطوط المواصلات الداخلية ، وزودت بعدد ٤٦ سيارة جديدة لتعزيزها ولربط القرى بالمدن ، وعاصمة المحافظة بالمحافظات المجاورة ، كما تم انشاء وصلات طرق جديدة فى حدود ٧٠ الف جنيه ، ويجرى العمل حاليـا فى ربط مركـز تلا بالطريق الزراعى القاهرة ــ طنطا ٠

★ فى مجال العمل والعمال : استطاعت المحافظة حـل مشكلة عمال التراحيـل عن طريق تهجيرهم الى مناطق الاستصلاح للعمل باجر حده الادنى ٢٥ قرشا ، كما اعدت المحافظة مشروعا لتدريب الصبية من سن ١٢ ــ ١٨ سنة لاعدادهم للعمل ٠

★ فى مجال الصحة : افتتح فى هـــذا العام مستشفى الدكتور النبوى المهندس بشبين الكوم سعة ٤٠٠ سرير ، وتضم المحافظة ٨ مستشفيات مركزية ، ٤ للصدر ، و ٤ للحميات ، ومستشفى للرمد ، وعيادة للجذام ، و ٢٣ مجموعة صحية ، و ٢١ قسما صحيا بالمراكز الاجتماعية ، و ٤٤ وحدة طبية ريفية ، و ١٠٨ مراكز لتنظيم الاسرة ، ويجرى العمل فى توسيع مستشفى الهلال الاحمر وفى تنفيذ مشروع الاسعاف الليلى •

★ فى مجال النشـــاط الاجتماعى : تضم المنوفيـــة ٤٦ وحـدة اجتماعية ، و ١٩ قسما اجتماعيا بالوحدات المجمعة و ٧٦ دار حضـانة و ١٩٦ جمعية اجتماعيـــه و ٤ مؤسسات للايواء ، ومركزا للتدريب المهنى ومركزين لتدريب الرائدات الريفيـات و ١٢ ناديا نسائيا •

★ فى مجال التعاون : انشئت الجمعية التعاونية الاستهلاكية حتى الان ١٨ فرعا بالمحافظة •

★ فى مجال الصناعة : تضم المحافظة مصنع الغزل والنسيج الذى اقيم على مساحة ١٣٧ فدانا ويعمل به ٧ آلاف عامل ، ويجرى انشاء محلج بتلا ، ومصـــنع للطوب الرملى ومحطة لتعبئة الخضر والفاكهة ، وذلك بالاضافة الى مصانع النصر للدخان بمنوف ومصنع الزجاج بسرس الليان ومصانع الدخان بقويسنا وشبين الكوم •

★ فى مجال شباب الجامعات والمعاهد العليـا : انشأت المحافظة مكتبا لرعايتهم ، وقد بلغت قيمة المساعدات التى قدمها للطلبة حتى الان ١١ الف جنيه •

★ فى مجال السياحة : من ابرز المعـــالم الجديرة بالزيارة فى المحافظة قرية دنشواى ومكامير الفول ببرهيم وبرج المنوفيـة بقويسنا •

مع تحيات

((محافظة المنوفية))

أضف إلى معلوماتك

- أنشئ مركز التدريب المهنى بدمنهور فى ٩ أكتوبر ١٩٦٣ على مساحة ٧ أفدنة كانت أصلا مركزا قديما لفرق الامن ٠
- يضم فى الوقت الراهن ١٥٠٠ دارس ودارسة يتدربون على ٤٠ حرفة ٠
- تخرج من المركز ٤٠٠ دارس ألحقوا جميعا بمصنع السجاد ومصنع نسيج دمنهور وبعض المصالح الحكومية والهيئات والورش، ويؤدون جميعا أعمالهم على مستوى مرموق من الكفاءة والقدرة ٠
- يجرى التدريب فى المركز على أساس الممارسة العمليـــة والتدريب المباشر وتعريف الدارس بدقائق حرفته بالمشاهدة على الطبيعة والمشاركة الفعلية فى العمل ٠
- يمر الدارس فى المركز بثلاث مراحل متتاليـة هى « فترة التدريب الاولى » و « فترة تطبيق التدريب » و « فترة الانتاج » ٠
- يقدم المركز للدارسين فيه ـ الى جانب التعليم ـ مختلف الخدمات الصحية والاجتماعية والثقافية والرياضية والوجبات الغذائية المجانية ٠
- يقوم المركز بفتح دفتر توفير لكل دارس يحجز له فيه ثلث المبالغ التى يتحصل عليها ٠
- تغطى ايرادات مركز التدريب من حصيلة بيع منتجات الموبيليات والاحـذية والسجاجيد كل نفقات المركز بل وتحقق ربحا معقولا ٠
- عندما تكونت فرقة البحيرة للفنون الشعبية من أبناء مركز التدريب المهنى بدمنهور لم يدر بخلد القائمين عليها أنها ستعرض فنونها فى موسكو ودمشق وغيرهما ٠

مع تحيات

((مركز التدريب المهنى بدمنهور))

أضف إلى معلوماتك

★ تبلغ مساحة محافظة الدقهلية ١ر٣٤٦٣كم٢ ·
★ عدد السكان حوالي ٠٠٠ر٥٠٠ر٢ نسمة ·
★ بها ١٠ مجالس مدن و ٤٢٥ قرية ·
★ المساحة المزروعة ٩٦٦ر٩٧٥ فدانا ، وتنتج المحافظة ١٤٪ من انتاج الجمهورية من القطن و ١٠٪ من انتاجها من القمح و ٢٩٪ من انتاجها من الارز ·
★ بالنسبة لقطاع التعليم تضم المحافظة ٣ كليات جامعية (طب - معلمين - علوم) و ٣ معاهد عليا تخدم ٥٥٠٠ طالب (تجارية - زراعية - صناعيه) و ٦١ ٨ مدرسه ·
★ في قطاع الاسكان : تم خلال العامين الماضيين اقامة ٧١٦ وحدة اسكان متوسط و١٥٢٨ وحدة اسكان اقتصادى و٦٠٠ وحدة اسكان عاجل بلغت قيمتها ٥ر٢ مليون جنيه ·
★ في قطاع الصناعه : تضم محافظة الدقهليه عددا من المصانع الهامه التى تلبى العديد من احتياجات الشعب ، ومن بينها مصنع الغزل والنسيج بالمنصورة الذى بلغت تكاليفه ٧٠٠ر٦١٩ر٢جنيه ، وبه ٨٠٠ر٢٤ مغزل ، ووصل انتاجه الى ١٩٧٢ طنا ، ويزيد الدخل القومى بمقدار ٠٠٠ر٥٠٠جنيه ، بالاضافة الى تشغيل ٣٠٠٠ عامل ، وهناك أيضا مصنع الغزل والنسيج بميت غمر الذى تبلغ طاقته الانتاجية ١٨٠٠ طن سنويا ، وبه ٠٠٠ر٣١ مغزل، وبلغت تكاليفه ٠٠٠ر٦٦٠ر٢ جنيه ، ويساهم في زيادة الدخل القومي بمقدار ٤٦٥ ألف جنيه سنويا بالاضافة الى تشغيل ١٥٠٠ عامل ، ومن بين مصانع الدقهلية مصنع السماد الذى يتكلف ٤٠ مليون جنيه ، ويبدأ انتاجه عام ١٩٧٥ ، ويعطى ثلثى انتاج الجمهورية ، وسيوفر ٦٠٠٠ فرصة

عمل لابناء الدقهلية ، وستقام الى جانبه مدينة سكنية لخدمة العمال والمهندسين .

★ المزرعة السمكية بالمنزلة : مقامة على مساحة ١٠٠٠ فدان ببحيرة المنزلة ، ويجرى الآن استصلاحها وتأجيرها للاهالى لتنمية الثروة السمكية .

★ مستشفى الصدر بالمنصورة : يعتبر أحدث مستشفى بالشرق الاوسط لعلاج الامراض الصدرية ، وهو مزود بمعامل بيكتوروجية وأجهزة اشعة حديثة ويضم ٣٠٠ سرير .

★ مصيف جمصة السياحى : أضيف اليه ٧٠٠ شاليه جديد لاتاحة فرصة الاصطياف للمواطنين متوسطى الدخل ، كما تم انشاء سوق تجارية جديدة .

★ مزرعة المجارى الجديدة بالمنصورة : أقيمت لتغطية الصرف الصحى بالمنصورة . تكلفت ٢٥٠ الف جنيه ، وبها حوض لتجفيف السماد يوفر ٢٥٠ جنيها شهريا .

★ انارة القرى بالجهود الذاتية : يهدف المشروع الى انارة قرى الدقهلية من التيار الرئيسى مباشرة وذلك بمساهمة أصحابها . وقد وضعت الخطة لانارة ٣٠٠ قرية فى ٧ مراكز ، وتبلغ قيمة المشروع ٢ر٥ مليون جنيه .

★ أعمال الرصف وتمهيد الطرق : تم رصف ما يقرب من ٥٤ كم بالمنصورة والمراكز الاخرى ، وتم تنفيذ ١٠ وصلات اقليمية بمراكز المحافظة ، وأنشىء كوبرى السنبلاوين وصهرجت الصغرى ، ويجرى حاليا تشطيب كوبرى سندوب الجديد ، ثم انارة كافة شوارع المنصورة باللمبات الزئبقية .

★ أتم الجهازان الشعبى والتنفيذى شق ١٠٥ كم من المصارف تغطى ١٠ الاف فدان، تزيد انتاجية الفدان بنسبة ٦٠٪ .

★ قدمت المحافظة للمعركة نصف مليون جنيه للمجهود الحربى بالاضافة الى تبرعات الذهب ، الى جانب تدريب المواطنين فى مجالات الدفاع المدنى والجيش الشعبى •

★ رحبت المحافظة بضيوفهـــا من أبنـــاء القنال ، وخصصت لهم ٦٠٠ شقة بالقطاع العام وشغلت ١٥٣٢ منهم بمختلف الهيئات •

★ تعتز محافظة الدقهليــه بجهود نخبــة من خيرة العاملين فيها وأخلصهم لاهداف البلاد القومية•• فى طليعة الهيئات التى تتصدر النشاط فى المحافظة جمعية النقل بالسيارات التى يرأس مجلس ادارتها السيد حسن فؤاد ومديرها العـــام السيد خيرى القاضى • بدأت الجمعية نشاطها عام ١٩٦٣ • وضعت خطة متكاملة لتقدم الجمعيه وتنسيق العمل بتقديم كافة امكانيات النقل وقطع الغيار للسائقين• وتؤدى الجمعية دورا مرموقا فى مساندة المجهود الحربى• كما شاركت فى نقل القطن والارز والقمح خـــلال الموسم الماضى • تعتبر الجمعيــة نموذجا حيا ورائدا للخدمة المخلصة والتفانى فى الواجب•

★ ومن أبرز الهيئات العاملة فى المحافظة الجمعية التعاونية الاستهلاكيــة التى أنشئت عام ١٩٦٧ • لقد زاد عدد فروع الجمعية فى عام ١٩٦٩ من ٤٥ فرعا الى ٧٦ فرعا • وسجلت المبيعـــات طفـــرة واسعة فقد ارتفعت من ١ر٤٥٨ر٨٧٠ جنيها عام ١٩٦٦ الى ٢ر٦٨٣ر٣١٢ جنيها عام ١٩٦٨ ، كما افتتحت ٨٠ فرعا لخدمة القرى النائية ، كما يجرى الاستعداد الآن لافتتاح فروع لخدمة مراكز ايواء المهجرين •

مع تحيات

((محافظة الدقهلية))

أضف إلى معلوماتك

- يستهدف « مكتب تشغيل ورعاية العمال الزراعيين » تشغيل وحماية العمال الزراعيين من الاستغلال وتوفير الرعاية الصحية والاجتماعية والنفسية لهم ..
- يعتمد المشروع على التمويل الذاتى عن طريق خصم ١٠ مليمات من اجر كل عامل .
- تصرف هذه الحصيلة فى الاغراض التالية :

١ ـ دفع اجر أيام مرض العامل بحد اقصى نهاية شهر المرض .

٢ ـ دفع ٢٥ جنيهـا لأسرة العامل فى حالة الوفاة الطبيعيـة و٥٠ جنيها اذا كانت الوفاة بسبب حادث أثناء العمل ، بخلاف مصاريف الدفن .

٣ ـ أداء الخدمات الصحيـة والاجتماعيـة والثقافية .

٤ ـ استثمار جزء من الفـائض فى بعض المشروعات الاستثمارية .

٥ ـ المصروفات الادارية للمكتب .

- تتراوح أجور العمال بين ٣٠٠ مليم لعـامل المعسكرات و١٦٠مليما للصبى و١٢٠مليما للولد
- يقوم رؤساء مجالس القرى بزيارة العمال فى مواقع العمل لتفقد أحوالهم وعلاج مشاكلهم.
- يقيم العمال فى معسكرات بهـا غرف مجهزة بالسراير والاغطية .
- يتعامل المكتب مع القطاعين الشمالى والجنوبى لمديرية التحرير وشركة الكروم والكحول المصرية (جاناكليس) والاصـلاح الزراعى ومؤسسة تعمير الصحارى .
- يوصى المكتب باصدار تشريع يلزم المؤسسات بعدم التعامل الا مع مكاتب التشغيل بالمحافظات حماية للعمال من الاستغلال .

مع تحيات

«مكتب تشغيل ورعاية العمال الزراعيين»

(محافظة البحيرة)

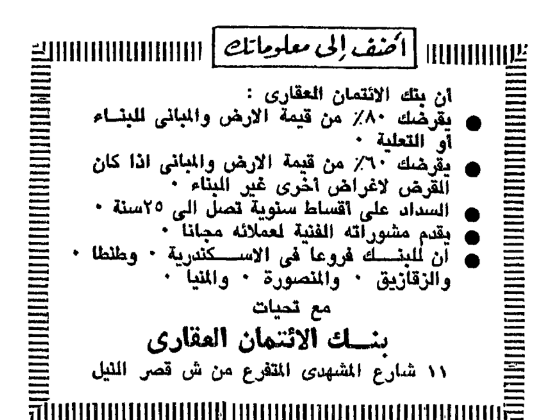
أضف إلى معلوماتك

- ★ كانت مصـــانع شركة النصر لانتـاج الحراريات والفخار « سورناجا » ـ « احدى شركات المؤسسة المصرية العـامة لمواد البناء والحراريات » التى انشئت عام ١٩٠٥ نواة صـناعة الحراريات فى مصر ·
- ★ اتسعت منتجات المصانع تدريجيا لتلبى احتياجات البلاد المتزايدة فشملت الطوب الحرارى العـادى والألوميتى اللازم لأفران وغلايات المصـــنع ، والطوب المضغوط اللازم لمشروعات الرى ومواسير المجارى ، والخزف والصينى والادوات الصحية والبلاط السيراميك والتحف المنزلية ·
- ★ فى عام ١٩٥٦ أسس البنك الصناعى شركة مساهمة مصرية باسم « الشركة العامة لانتاج الحراريات والفخار (سورناجا) » قوامها موجودات المصنع المنشأ عام ١٩٠٥ ، وأقامت الشركة الجديدة وحدة حديثة لانتاج الحراريات التى كانت تستورد، وهى حراريات عالية ـ سليكا ـ مجنزيت ـ كروميت ـ مجنزيت كروم ، بعد تجـارب استخدام الخامات المصرية ·
- ★ كانت قيمة الانتـاج عام ٥٦/٥٧ تبلغ ٢٤٠ الف جنيه ووصلت فى عام ٦٨/٦٩ الى ١٫١٧٢٫٠٤٩ جنيهـــا ، وبلغت قيمة المبيعـــات عام ٥٦/٥٧ ٢٠٢ ألف جنيـــه ووصلت عام ٦٨/٦٩ الى ٩٥٣٫٣٩٠ جنيها
- ★ تقوم الشركة أيضـــا بأعمال الانشاءات المختلفة كبناء الافران والمداخل وأعمال الديكور ، ومن أمثلة الاخيرة ديكورات فنـــدق هيلتـون ومطار القاهرة الدولى ·

مع تحيات

شركة النصر لانتاج الحراريات والفخار

سورناجا


أضف إلى معلوماتك
أن بنك الائتمان العقارى :
يقرضك ٨٠٪ من قيمة الارض والمبانى للبنـاء أو التعلية •
يقرضك ٦٠٪ من قيمة الارض والمبانى اذا كان القرض لاغراض أخرى غير البناء •
السداد على أقساط سنوية تصل الى ٢٥سنة •
يقدم مشوراته الفنية لعملائه مجانا •
أن للبنـك فروعا فى الاسـكندرية • وطنطا • والزقازيق • والمنصورة • والمنيا •
مع تحيات
بنـك الائتمان العقارى
١١ شارع المشهدى المتفرع من ش قصر النيل

أضف إلى معلوماتك

★ شاركت شركة مصر للبترول – وهى احـــدى شركات المؤسسة المصرية العامة للبترول – بدور مرموق فى تدعيم اقتصاديات البلاد عن طريق الاسهام فى مشروعات التنمية الصناعية وتقديم أفضل الخدمات المتطورة لها .

★ فى مجال المبيعات: تستهدف سياسة الشركة مايلى:
أ- زيادة حجم المنتجات المباعة .
ب- تسويق منتجات جديدة ظهرت الحـاجه اليهـا نتيجه التنمية الصناعيه مثل السولارين والنافتا . وتطوير هـــذه المنتجات الى أرقى المستويات .
ج- تقديم عدد من المنتجات الكيميائية الجديدة التى تمس اليها حاجة البلاد .
د - غزو الاسواق الخارجية بمنتجاتها وتقديم خدماتها الى العملاء فى خارج الجمهورية .
وقد سجلت الشركة نجاحا باهرا فى اعمال تموين الســفن والطائرات ، وعقدت اتفاقيات توكيــل مع عدد من أكبر الشركات الاوربيــة بالاضافة الى علاقاتهــا التجــارية مع الدول الافريقيه وفى مقدمتها السودان .

★ خدمة الطيران : تعاقدت الشركة على استيراد عدد من وحدات التموين الحديثــة سرعة ١٦٠٠ جالون فى الدقيقــة كى تتمكن من خدمة احدث وأسرع الطائرات. وقد اهتمت الشركة بتدريب العاملين بها ليكونوا على مستوى التطور الهائل فى مجال الطيران ، وقد أكسبت الشركة بذلك ثقة عدد كبير من شركات الطيران العالمية ، وتزيد نســـبة مبيعـــات وتسليمات شركة مصر البترول وحدها على ٧٩٪ من اجمالى كميات وقود الطيران التى تصرف فى ج.ع.م.

★ الخدمات الفنية : تعتز الشركة بالكفاءات الفنية المرموقة التى تضمها أجهزة التسويق بها ، وقد ساعدت الخـدمة الفنية التى تقدمها

الشركة على تدعيم الصناعات المصرية اذ يقوم مهندسو الشركة بتحديد المنتجات المناسبة لتشغيل الآلات وبالمواصفات الملائمة ، كما يعدون لوحات تتضمن أصناف المنتجات اللازمة لصيانة الآلات .

★ الصيانة الوقائية بالمصانع : تساعد الشركة المصانع على الأخذ بنظم الصيانة الوقائية وتوفير الاخصائيين والامكانيات اللازمة للمحافظة على المستوى العالى لانتاجية الآلة وبالتالي خفض تكاليف الانتاج ، وتمد المصانع بارشادات التشغيل والصيانة .

★ الخدمة الفنيــة للمشاريع الهامة : تخصص الشركة أحد مهندسيها لعمل مسح شامل لآلات ومعدات المصنع وتحديد الزيوت والشحوم اللازمة له ، واعداد لوحات ارشادية لتزييت وتشحيم كل آلة ، والاشراف على أعمال تخزين وتداول المواد البترولية بالمصنع .

★ معامل بحوث الأداء : انشأت الشركة أول معمل لبحوث الأداء للمنتجات البترولية في الوطن العربي ، لا لخدمة أبحاثها فحسب ، بل ولتقديم كافة أجهزتها وامكانياتها الفنيـة والبشرية لخدمة معامل التكرير وجميع الشركات والمصانع العاملة في حقل البترول ، ايمانا منها بأهمية بحوث واختبارات الاداء في التقدم الصناعي والاقتصادى . واذا أدخلنا في الاعتبار أن التطور التكنولوجي السريع يؤدى الى استحداث منتجات جديدة والى تطوير استخدام المنتجات ، أمكننا أن ندرك أهمية بحوث واختبارات الأداء وخاصة فى الدول النامية .

مع تحيات

« شركة مصر للبترول »

أضف إلى معلوماتك

- أنشئت المؤسسة العــــامة للحوم والالبــــان عام ١٩٦٤
- تضم ٦ مراقبات بمحافظات الجمهورية تتبعها ٣٨محطة لتربية وتنمية الثروة الحيوانية موزعة كالآتى : ١٥ محطة البـان و١٦ محطة لحوم و ٧ محطات غنم ٠
- مشروعات انتاج اللحوم :

أ ـ مشروع البتلو (حقق التعاقد على٤٥٤٩٧ عجل بتلو) ٠

ب ـ مشروع تسمين العجول البقرية البلدية٠

ج ـ مشروع تسمين العجول البقرية على البرسيم (جملة القطعـان فى محطات التســمين ٦٥٠٠ راس) ٠

- مشروعات تربية الاغنام المرينو :

(٢١٠٠٠ راس) يستهدف انتاج اللحم والصوف الناعم٠ أنتج٤٤٩٣٥ حملا و٣٠٦ صوف ناعم٠

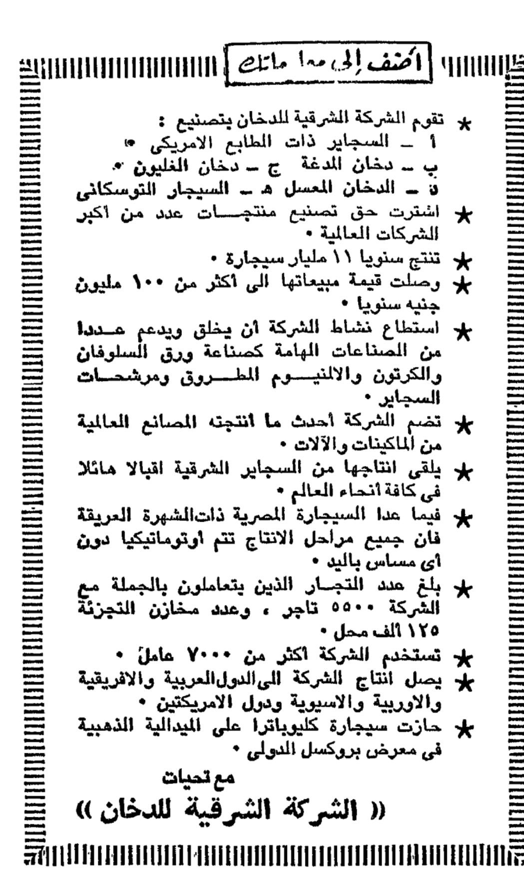
- مشروع انتاج الالبان :

(١٥ مزرعة) انتج حتى الان ٢٢١٠٥ أطنان من الألبان ٠ أدخلت المؤسسة فى البلاد لاول مره نظام الحليب الالى ٠

- تضم المؤسسة ٨ مصانع لانتاج العلف (٣٠ الف طن سنويا) ٠
- فازت المؤسسة بكأس انتاج الصوف عام١٩٦٨ وبكأسى انتاج اللحم واللبن عام ١٩٦٩ ٠
- تؤدى المؤسسة دورا طليعيا فى توفير اللحوم والألبان الطازجة ٠

مع تحيات

((المؤسسة العامة للحوم والألبان))


أضف إلى معلوماتك
★ تقوم الشركة الشرقية للدخان بتصنيع :
أ ـ السجاير ذات الطابع الامريكى •
ب ـ دخان الدغة ج ـ دخان الغليون •
د ـ الدخان المعسل هـ ـ السيجار التوسكانى
★ اشترت حق تصنيع منتجات عدد من اكبر الشركات العالمية •
★ تنتج سنويا ١١ مليار سيجارة •
★ وصلت قيمة مبيعاتها الى اكثر من ١٠٠ مليون جنيه سنويا •
★ استطاع نشاط الشركة ان يخلق ويدعم عددا من الصناعات الهامة كصناعة ورق السلوفان والكرتون والالنيوم المطروق ومرشحات السجاير •
★ تضم الشركة احدث ما انتجته المصانع العالمية من الماكينات والآلات •
★ يلقى انتاجها من السجاير الشرقية اقبالا هائلا فى كافة انحاء العالم •
★ فيما عدا السيجارة المصرية ذات الشهرة العريقة فان جميع مراحل الانتاج تتم اوتوماتيكيا دون اى مساس باليد •
★ بلغ عدد التجار الذين يتعاملون بالجملة مع الشركة ٥٥٠٠ تاجر ، وعدد مخازن التجزئة ١٢٥ الف محل •
★ تستخدم الشركة اكثر من ٧٠٠٠ عامل •
★ يصل انتاج الشركة الى الدول العربية والافريقية والاوربية والاسيوية ودول الامريكتين •
★ حازت سيجارة كليوباترا على الميدالية الذهبية فى معرض بروكسل الدولى •
مع تحيات
« الشركة الشرقية للدخان »

أضف إلى معلوماتك

★ بدأ نشاط شركة كفر الزيات للمبيدات والكيماويات فى عام ١٩٥٧ ، وهى احدى شركات المؤسسة المصرية العامة للصناعات الكيماوية .

★ تقوم بانتاج وتصنيع وتشكيل وتعبئة المبيدات الحشرية التالية :

١ ـ مبيدات زراعيـة وصحية : مساحيق التعفير المختلفة ومساحيق المعلقات المائية والمستحلبات بانواعها والمحببات .

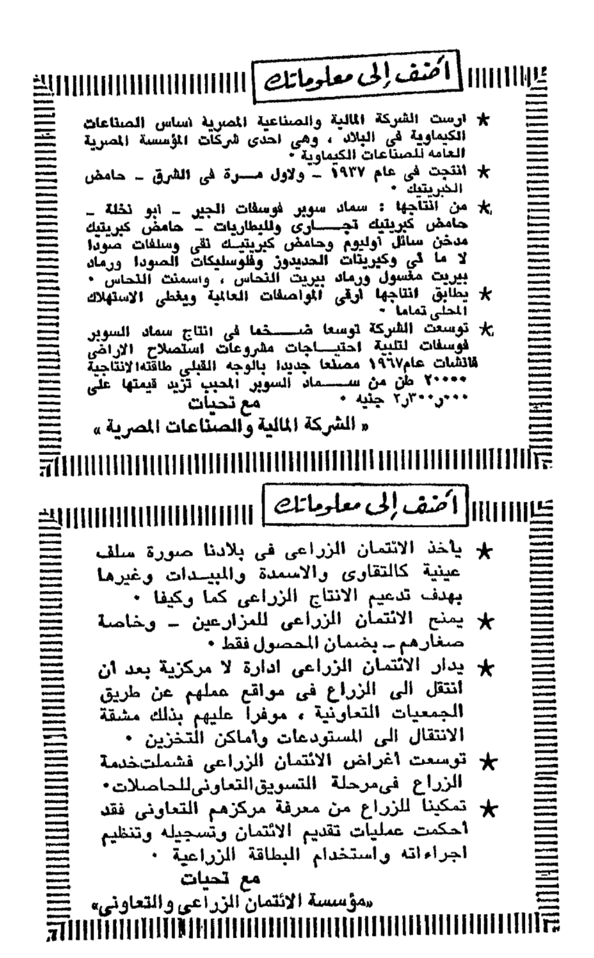
٢ ـ مبيدات منزليـة : كفروبيـد ٥٥ لابادة الصراصير والحشرات الزاحفـة .
كفروتوكس لابادة الذباب والناموس .
فاروبيد ٣٢ لابادة الفئران .

٣ ـ مبيدات الحشائش : يجرى حاليا انتاج مبيدات الحشائش وتستخدم بنجاح فى المحطات الزراعية .

★ يطابق انتاج الشركة أدق المواصـفات العالمية ويـخضع للرقابة الفنية .

مع تحيات

«شركة كفر الزيات للمبيدات والكيماويات»

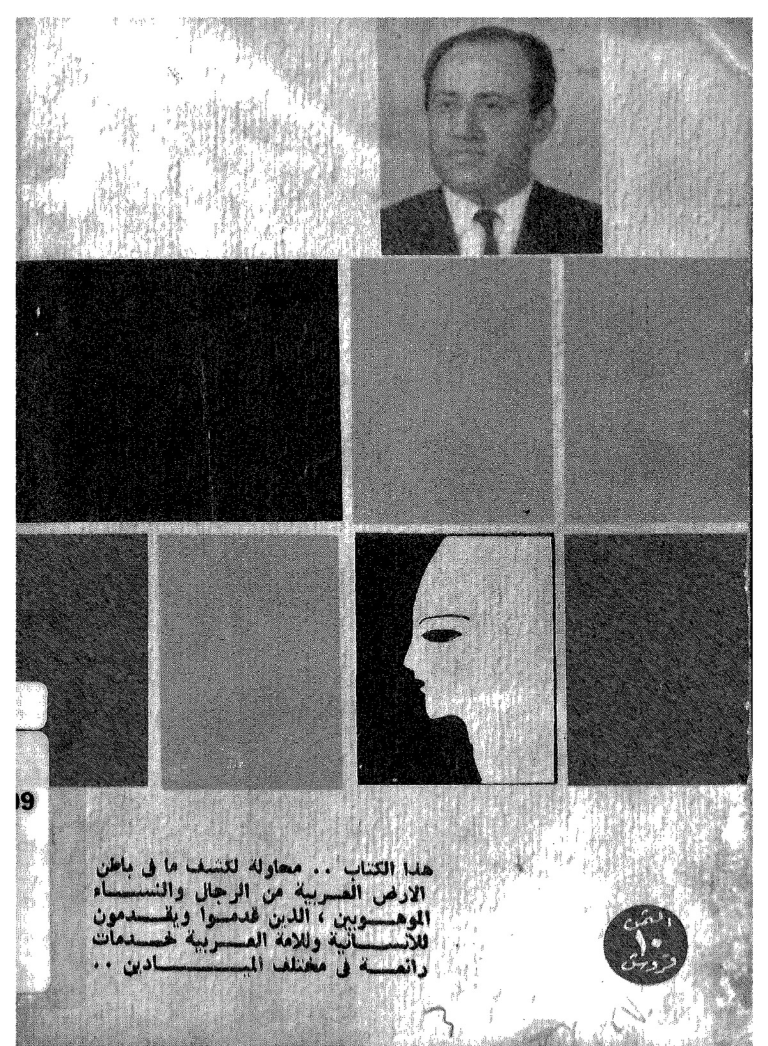



في هذا
الكتاب

صدر من كتاب اليوم



كتاب اليوم
القادم
في كل مكان !
شيوعيون !
بقلم موسى صبري
مذكرات رحلة طويلة ..
إلى الاتحاد السوفيتي .. ألمانيا الديموقراطية .. بولندا .
أخبار اليوم


هذا الكتاب .. محاولة لكشف ما فى باطن
الارض العربية من الرجال والنساء
الموهوبين ، الذين قدموا ويقدمون
للانسانية وللامة العربية خدمات
رائعة فى مختلف الميادين ..
الثمن
١٠
قروش